فتحى أبو الفضل

Bibliotheca Alexandrina
0144769

الشعب الضيق

دار المعارف

الشعب الضيق

تأليف

فتحى أبو الفضل

الطبعة الثالثة

دار المعارف

تصميم الغلاف : اسماعيل دياب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

تقديم

بقلم : محمود تيمور

صديقنا الأستاذ « فتحى أبو الفضل » ، ظاهرة من ظواهر حياتنا الأدبية والفنية المعاصرة ، تستوقف النظر ، وتسترعى الانتباه .

قارئ كاتب نقاده ، وصحفى إذاعى ، وله بالمجال السينمائى اتصال وثيق ، وأنه لحلو الحديث ، عذب الروح ، جياش العاطفة ، وهو فى أثناء ذلك كله وبعد ذلك كله ، فى نشاطه اليومى الدائب ، ممثل بالفطرة ، نزعته إنسانية ، وأداؤه صادق ، ولكنه لا يزاول تمثيله احترافا على مسرح بعينه ، وإنما يقوم به تلقائياً أو تطوعا على منصة المسرح الرحيب ، مسرح المجتمع الذى يعيش فيه صباح مساء !

عرفته منذ أعوام غير قصار ، فلم أجد له تشبيها يلائمه إلا أن أعده « سنترالا » أو « محطة مركزية » ، تجمع بين خطوط كثيرة متشابكة للفن وأهله ، ففى شخصيته مزاج عجيب « كوكتيل » يؤلف بين ألوان شتى من صميم بيئتنا الأدبية الحاضرة ، بما تحوى من أعمال واتجاهات وأناسى .

إنه فنان بأوسع ما فى هذا الوصف من معنى . . .

فنان فى معيشته ومعاشرته ، فى ظاهره وباطنه ، فى محيطه الواقعى وأفقه الخيالى . ولو أتيح لآلة تسجيل أن تخرج له شريطاً يشمل حياته فى يومه ، جلساته ومنادماته ، يقظته ومنامه ، لكان الشريط كله موكبا عريضاً يموج بأشتات من قصص وأحاديث ، تحت راية الفن والأدب ، فى حمية وحماس .

وأكبر ما يميز هذا المزاج العجيب ، شيوع نزعة « الرومانسية » فيه . وهذه النزعة تتمثل فيها روح الطيبة والخير والرفق ، وكما تطبع تلك الروح حياته الخاصة ، تسطع كذلك فيما يلهج به لسانه من قول ، وفيما يجرى به قلمه من تعبير .

وبين يدى الآن قصة له ، عنوانها « الثوب الضيق » ، يسعدنى أن أتولى تقديمها إلى القراء . ولقد أحسن المؤلف صنعا ، حين اختار هذا العنوان الطريف ، فما هو إلا رمز لما يهدف إليه ذلك العمل الفنى الخصيب .

فالثوب الضيق ، تمثيل لتلك المعيشة المحدودة

التى تضيق بها النفوس غير القانعة ، إذ تشعر كأنها تختنق فى نطاقها ، فيدفعها الطمع والشراهة أن تمد العين إلى ما ليس لها من سعة ويسر وترف . وفى فورة هذا الاندفاع لا تأمن الزلل والانزلاق ، ولا يلبث الثوب أن يتهتك ، ولا تلبث فتوقه أن تكشف عن عورات خليق بها أن تصان . ويومئذ تتبلج حقيقة الإثم الذى تردت فى حضيضه النفس الخاطئة ، ولا تجد لها فى محنتها ملاذا غير الندم اللاذع والتكفير المرير .

تطالعنا فى هذه القصة زوجة طموح ، كان لها أن تحيا راضية بما استيسر لها فى كنف الزوجية من رزق طيب محدود ، ولكنها نظرت إلى أختها التى حظيت من دونها بحياة البحبوحة والرفاهية ، فنفست عليها ما تنعم به ، وإذا هى تنقم على نفسها ، وعلى زوجها ، وعلى حياتها جميعا . . ثم إذا هى فراشة سكرى تلتمس النور مترنحة فى لهب النار . . وما أسرع أن اندفعت فى تيار الخيانة تستكمل به من مطالبها ما يشره إليه الروح المحروم . وللغواية طريق غير مأمون

العثار ، محفوف بالأشواك والمخاطر ، فلا بدع أن نجد المرأة الغاوية قد ارتطمت فى حبائل أفضت بها إلى الريبة والاتهام ، ومن ثم اتخذت أحداث الرواية صبغة الكشف عن الجريمة ، واكتناه الأسرار خلف الأستار ، وينتهى الأمر بالمرأة التى كانت فريسة لغرائز متمردة ، كما كانت أسيرة ملابسات اجتماعية جائرة ، إلى أن تحتمل تبعتها من الإثم ، وتكابد ما جنت يداها من الخزى ، ولكن المؤلف يبر بإنسانيتها الضعيفة ، ويهب لها نفحة من شفقة وحنو ، فيفسح لها طريقاً جديداً فى غدها المرجو ، لعلها تستأنف فيه حياة غير حياتها الغابرة ، ومستقبلاً غير ماضيها البغيض ، معتبرة بما قاست من محنة ، وما أفادت من تجريب .

وفى هذه القصة ، يتوافر عنصر التحليل الصحيح والمعالجة السليمة ، سواء فى ذلك ما يتعلق بآدمية الشخوص ، وما يتعلق بطبيعة الأحداث ، ولكن هذا العنصر – على ما يوحى به من معنى الجد والجفاف – جرى فى القصة على نحو يكفل المتعة والإيناس ، فقد امتزج به عنصر التشويق امتزاج الماء بالصهباء : يخفف

من حدثها ، ولا يذهب بنشوتها .

وتكاد هذه القصة تنقسم شطرين ، أحدهما تصوير اجتماعى محض ، والآخر لونه أقرب إلى ما نسميه « القصص البوليسى » ، قصص الحيل والألغاز ، التى تنطوى فى كثير من الأحيان على أحداث إجرامية . بيد أن المؤلف لم يعجزه أن يلائم بين الشطرين كليهما ملاءمة فنية ، عملت فيها الشخصيات مع العقدة ، وتمشى فيها العرض مع الكشف عن السر ، وتجلى فيها الحرص على الاستفادة من طابع القصة البوليسية ، فى إيجاد شعور الترقب والتوقع « Suspense » عند القارئ فى أثناء متابعته لمراحل الموضوع مرحلة بعد مرحلة .

ومهما يكن من توفيق الأستاذ « فتحى أبو الفضل » ، فى « ثوبه الضيق » ، فإننا ننتظر منه مزيداً موصولا من التوفيق فيما ينسج ويدبج من حلل سابغة يتحف بها معرض القصص الفنى الرفيع .

محمود تيمور

يوليو ١٩٦٩

إلى ذات عينين خضراوين تسكن
من العين إنسانها . .
ومن القلب حبته . .

فتحى

لست الرجيم ولا الملاك وإنما
بعضى على أرضى وبعضى فى السما
ويل لنور فى السماء إذا ارتمى
أرضا ، وطوبى للتراب إذا سما

[من ديوان لهب وأمواج]

للشاعرة شريفة فتحى

الإهـداء

هذه القصة ولدت كما يولد الطفل بجراحة قيصرية إن جاز التعبير.

وكان الكاتب الكبير محمود تيمور قد كتب شهادة ميلادها وهى « مازالت جنينا » قبل أن تأخذ طريقها إلى المطبعة لترى النور ، وسجلها مولوداً « قيد الحياة » فى دفتر مواليد خاص به أصدره عام ١٩٦٢ تحت عنوان :

[مناجيات للكتب والكتاب]

سجلها تيمور – قبل أن ترى النور – مولودا حيا ، إلى جانب غيرها من « بنات » كبار كتاب الشرق والغرب اللواتى ولدن وشببن عن الطرق وأصبحن « عرائس » منذ أعوام .

وكانت شهادة الميلاد – هذه – التى كتبها تيمور خلال هذه الفترة الحرجة ، بمثابة المبضع الذى أجريت به القيصرية ، لترى النور ، ولترى الحياة . .

إلى محمود تيمور ، الكاتب ، الأديب ، الفنان ، أهدى الثوب الضيق .

فتحى أبو الفضل

الجزء الأول

اغفروا لي

فأنا – بعد – بشر ، ومن طين

فتحي أبو الفضل

١

اسمها عفاف . .

ولا أحد يعرفها . .

أعنى لا أحد يعرف قصتها سوى أربعة . .

أختها أمينة التى تكبرها بأعوام . .

كمال التهامى . . زوج هذه الأخت . . مهندس معمارى حقق كثيراً مما يرجو أن يحققه كثيرون من أبناء مهنته .

صحفى كبير ، هو الذى أعطانى مفتاح هذه القصة دون أن يخبرنى من أين عرفها على حقيقتها .

ثم زوجها هى . . زوج عفاف . . أحمد راغب . . أحد موظفى الدرجة الرابعة بمصلحة البريد .

اسمها عفاف كما قدمت .

وأذكر جيداً متى رأيتها لأول مرة .

كنا جمعاً من الكتاب والصحفيين والفنانين على موعد مع الممثلة الأمريكية « إيفون دى كارلو » فى مؤتمر صحفى عقدته فى أحد أبهاء فندق سميراميس بمناسبة قدومها للقاهرة لتمثيل دورها فى فيلم الوصايا العشر.

والتاريخ بالضبط ، الخامس عشر من نوفبر عام ١٩٥٤ والساعة الخامسة بعد الظهر.

وعند الباب المؤدى إلى قاعة كليوباترا ، حيث سنلتقى بزوجة فرعون فى فيلم الوصايا العشر . . اصطدمت بها . .

بعفاف . .

ولم أكن أعرف اسمها يومئذ .

اصطدمت بها . . ورفعت عينى لأعتذر . . وفى هذه اللحظة فقط . . جاءتنى الإجابة الواضحة الموجزة البسيطة عن سؤال حيرنى منذ طفولتى . . وأعترف هنا أن كثيرين من أساتذتى أيام الدراسة . . وكثيرين من أصدقائى مصورى الصحف وأفلام السينما قد شرحوا لى الإجابة على هذا السؤال شرحا وافيا مستفيضا . . ولكنى – أبدا – لم أستطيع أن أهضم هذا الشرح أو أستوعبه . .

كيف تلتقط عدسة آلة التصوير الصورة التى أمامها ؟ ؟

عندما صافحت عيناى وجهها ، تذكرت هذه المشكلة التى حيرتنى . . وفى هذه اللحظة فقط عرفت وأدركت وفهمت ميكانيكية آلة التصوير وكيف تعكس عدستها الصورة التى أمامها لتسجلها على الشريط الداخلى الذى يسمونه الفيلم . .

أدركت سر هذه الآلة العجيبة كما لو كنت مخترعها ، ذلك أن صورتها – صورة عفاف – قد عكستها عيناى خلال هذه اللمحة الخاطفة . . فاستقرت فى نفسى . . فى أعماق نفسى .

لم تكن عادية أبدا . .

كل ما فيها غريب . . مثير . .

عطرها يفسح لها الطريق . . بشرتها مصقولة ناعمة لامعة . . جمعت بين لونى الخمر وعصير الورد ضمتهما كأس واحدة . . وعلى خدها الأيسر خال أسود دقيق ضغطته بقلم التظليل فبان أكثر وضوحا من حقيقته . . شعرها أسود . . كأنه أمواج الليل . . أرسلته – ناعما لامعا فوق ظهرها – فى ضفيرة واحدة غليظة عقدت نهايتها بشريط من القطيفة السوداء .

وكان وجهها من تلك الوجوه التى لا تنسى . . له طابعه وله شخصيته . . يخيل إليك لفرط غرابته وغرابة تقاطيعه وقسماته أنه فريد . . فريد بين تعداد العالم بأسره فلن تعثر على شبيه به أبدا . . ولو أن لها شقيقة توأما ، لحملت ملامح أخرى وسمات أخرى تختلف تمام الاختلاف عن ملامحها وسماتها . .

جبينها عريض . . زاده اتساعا أنها خطفت شعرها جميعه إلى الخلف . . وأبدعت من خصلاته هذه الضفيرة الواحدة الغليظة التى كانت نهايتها تدق منتصف خصرها تماماً . . ثم ينخفض هذا الجبين العريض عند التقاء الحاجبين انخفاضاً واضحاً يبرز أنفها المستقيم الدقيق الجميل . . وتنسحب وجنتاها إلى أسفل عريضتين فتكسبان وجهها فى مجموعة صورة أنثوية حارة .

وكانت تسير رافعة رأسها فى قوة وتحد واعتداد كأنها تحس بجمالها . . وسطوته . . كان قوامها خطرا . . خطرا عليها وعلى الغير . . لم تكن به غلطة واحدة ولم يكن به عيب واحد فخصرها يكون مع صدرها وردفيها معادلة جبرية أو قانونا من قوانين الطبيعة واضح التطبيق . . لا يمكن أن يخطئ النتيجة . .

أبدا لا يمكن أن يخطئها .

لا أعرف كيف أصفها . . ولكنى أستطيع أن أقول إنها كانت شيئاً جميلاً . . أجمل ما رأيت فى حياتى . . أجمل من إيفون دى كارلو التى رأيتها وحدثتها وصافحتها بعد ذلك بلحظات . فيها من التفاحة ما يغريك بإمساكها فى كفك لكى تغرس فيها أسنانك . . وفيها من القطة الفارسية الجميلة ما يغريك بانتهاز لحظة تغفل فيها عنك لتمد يدك إلى بطنها مداعبا فتستلقى على ظهرها فى دلال وقد أسندت مخلبيها الصغيرين إلى يدك . . وأبرزت أظافرها استعداداً لأى هجوم جدى . .

فيها كل شىء . . كل ما يمكن أن يتمناه الرجل فى امرأة . . فيها من كل نساء الأرض أجمل ما فيهن جميعاً . . وتذكرت كلمة « لورد بايرون » .

« يا إلهى . . لماذا لم تجعل لكل نساء الأرض ثغرا واحدا . . إذن لقبلته واسترحت . . » .

هكذا كانت عفاف . . جمعت فى كيانها كل نساء الأرض ، فمن قبلها فقد قبل نساء الأرض جميعا . . ومن ضمها فقد ضمهن جميعا .

وتسمرت قدماى فوق بلاط سميراميس . . وأدرت رأسى أقفوها بعينى وبحواسى وبكل مسام جلدى . . كانت تسير كالبطة البيضاء النظيفة السابحة فى الماء ، مزهوة متباهية بجمالها . . ومن حولها الذكور وقد صعدت الدماء إلى . . « نغاشيشها » جميعاً .

وكان يرافقها شاب فى نحو الثانية والثلاثين من عمره . . أنيق . . أحسن اختيار ثيابه ، من حذائه إلى رباط عنقه . . يبدو على وجهه الإجهاد كمن لم ينم منذ ليلتين . . تحس بالراحة عندما تنظر إلى وجهه . . ففيه صفاء . . وفيه طيبة . . أفسح لها الطريق فتقدمته داخلة كالضوء ، لا يعوقه شىء متى فتحت أمامه المنافذ والأبواب . . وتبعها داخلا . . وغيبهما منعطف البهو . .

وأحسست بأصابع صديق كان يرافقنى تضغط يدى وهو يستحثنى الإسراع بالدخول . . فسألته بصوت مبهور :

– أرأيت ؟

فرفع كفيه كمن يرفع علم التسليم الأبيض وهو يقول :

– هذه ليست من البشر . . من هذا السعيد الذى يرافقها ! !

فأجبته دون وعى :

– بل من هذا الشقى ؟ ؟

وكان هذا السعيد الشقى . . زوجها . . أحمد راغب ، موظف الدرجة الرابعة بمصلحة البريد .

وانطفأت رغبتى الجامحة فى مقابلة إيفون دى كارلو ومشاهدتها عن قرب فمها كان جمالها ، فلن تكون فى جمال عفاف . . وأحسست أننى أريد أن أتحدى تقديرى . . فخطوت إلى الداخل حيث كانت جالسة يحيط بها الجميع وهى تسجل حديثاً لإذاعة القاهرة .

وأمعنت فيها النظر . . فى عينيها الخضراوين وشعرها الأسود الجميل وسحرها الذى يضفيه عليها المجد والشهرة والشاشة العريضة الملونة واسم إيفون دى كارلو . . ولكنها . . مع هذا . . لم تكن فى جمال عفاف . . كانت عفاف أجمل منها بكثير . . بكثير جدا . . إننى لم أر أجمل من عفاف أبدا .

* * *

٢

هذه كانت المرة الأولى التى أرى فيها عفاف . . الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ .

لم أكن أعرف عنها شيئاً . . أى شىء بالمرة . . من هى ؟ ما اسمها ؟ بنت من ؟ زوجة من ؟

وأقول زوجة من لأنه كان من المقطوع به أنها امرأة – أنها زوجة . . فإن هيئتها ومظهرها ومشيتها ولفتتها وعطرها وخصوبة جسمها ، لم تكن توحى أبدا بأنها مازالت « بنتاً » تنتظر العريس . . بل كانت جميعها تقطع فى الدلالة بأنها امرأة . . هانم صغيرة . . زوجة . . اقتحمها الرجل فأكسبتها الليالى بين ذراعيه ذلك الرواء والهناء اللذين تقرؤهما الأعين على وجوه وأجساد كثير من الزوجات اللواتى يعشن الليل صاحيات بين أحضان أزواجهن .

وراحت الأيام تمضى . . والشهور تتعاقب . . ترددت فى خلالها على كل الأمكنة التى يمكن أن تغشاها . .

سميراميس . . الأوبرج . . الفونتانا . . شبرد الجديد . . وغيرها وغيرها . . لم أكن أقصد الذهاب إلى هذه الأمكنة بحثا عنها . . ولكنى ما هممت مرة بارتياد أحدها إلا تذكرتها وقفزت صورتها أمام عينى . . والسؤال الخالد يراودنى . .

ألا يجوز أن أراها هنا ؟

ولكنى لم أرها . .

وارتبط فندق سميراميس – بالذات – فى ذهنى بها كما يرتبط أى مكان بذهن أى إنسان بحادث كبير معين جرى له بين جدرانه . . السجين مثلاً بسجن أمضى فيه مدة عقوبة . . المريض بمستشفى أجريت له فيه جراحة خطرة . .

إلى أن كان يوم . . يوم لا أنساه . . والتاريخ ، الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ والساعة الخامسة بعد الظهر . . وفى البهو الكبير لفندق سميراميس . . أى بعد ثلاثة أعوام بالضبط .

ورأيتها . . . .

ولست أدرى بم أسمى توافق التاريخين ونفس المكان حيث شاهدتها فى المرة الأولى منذ ثلاثة أعوام ، ثم فى هذه المرة الأخيرة التى لم أرها بعدها أبدا . . أهى المصادفة ؟ أهو القدر ؟ أهو شىء آخر يحمل اسما غير المصادفة وغير القدر ؟ لست أدرى . . ولكن الحقيقة الواقعة التى لا تقبل المناقشة أننى رأيتها أمامى . . وهذا وحده كفيل بإهمال أية تفاصيل أخرى .

كنت أجلس إلى صديقى الصحفى الكبير فى بهو الفندق . . قريبا من بابه الرئيسى . . ورأيته ينهض فجأة ويتجه نحو الباب ليصافح سيدة ورجلا دخلا فى هذه اللحظة . .

السيدة فى نحو الخامسة والثلاثين ، ولكنها تبدو أصغر وأكثر صبا من هذا

بكثير . . طويلة . . أنيقة . . لها مهابة . . من ذلك النوع الذى تحس – متى نظرت إلى صاحبته – أنها خارجة لتوها من الحمام . . كل ما فيها نظيف . . لامع . . يوحى بالطهارة والطيبة والعذوبة والحنو . . وكانت بشرتها بيضاء . . صافية . . من ذلك النوع الذى يذكرك بزهرة الياسمين الرقيقة .

كانت جميلة . . ولم يكن الجمال صفتها الوحيدة المميزة . . بل واحدة من صفات عديدة كان من الواضح أنها تتمتع بها جميعاً .

للوهلة الأولى تظنها أوروبية . . فقوامها الناحل وبشرتها البيضاء . . وشعرها « الهافان » وقد صاغت منه يد الحلاق الماهرة تاجا يبهر العين . . والنمش الأشقر الخفيف حول أنفها الدقيق الجميل – أنف طفلة فى الثامنة من عمرها – كل هذا يوهمك للوهلة الأولى أنها أوروبية .

والرجل فى نحو الأربعين وإن كان يبدو أكثر وقارا من سنه . . أنيق أناقة عالية – من نظرة واحدة تحس أنه يعرف جيداً حقيقة مكانه تحت الشمس . . وأنه يقف فوق أرض صلبة لن تسوخ فيها قدماه . . كله ثقة بنفسه واعتداد بها . . إنسان تناول الحياة كما هى فأعطته خير ما فيها ليعيشها ويهنأ بها . . السيجار بين أصابع يده اليسرى وهو يصافح صديقى الصحفى بحرارة . . والسيدة تبتسم كما لو كانت الشمس تشرق بعد غيم طويل .

وسمعت صديقى يدعوهما لتناول الشاى ولكنهما اعتذرا بأنهما لن يمكثا طويلاً لأنهما قادمان لمهمة قصيرة لن تستغرق دقائق . . ومدت السيدة يدها المغطاة بقفاز من الشف الأبيض الرقيق فصافحت صديقى وهى ترجوه أن يزورهما يوما . . ثم صافحه زوجها مكررا مؤيداً دعوة زوجته . . وانطلقا إلى داخل البهو الواسع الكبير .

كان يبدو عليهما كأنهما يبحثان عن شخص بعينه . . فكانا يتلفتان هنا وهناك بين أرجاء البهو . . وكان صديقى الصحفى قد عاد فسألته :

- من هما ؟

فأجابنى :

- كمال التهامى . . صديق العمر . . من أنجح مهندسينا المعماريين ، وهذه زوجته أمينة التهامى ابنة المرحوم حسن زغلول . . كان هو الآخر مهندسا .

قلت :

- إنها جميلة .

قال :

- بل هى ملاك . . من بخته .

واتجهت بعينى إلى حيث سارا . . فرأيتهما مازالا يتلفتان كمن يبحثان عن شخص بعينه وفجأة . . أشار الرجل بيده كمن يقول هذا هو أو هذه هى . . وانحرفا يمينا . . قريبا من المكان الذى تعرض فيه الصحف والكتب لنزلاء الفندق ورواده فأخفاهما أحد الأعمدة الضخمة . . وغابا هناك . . ولم تمض دقائق حتى رأيتهما مقبلين نحونا . . نحو باب الخروج . . وكانت عفاف تسير بينهما .

وكان من العسير على أن أصدق عينى للوهلة الأولى . . ولكن الحقيقة راحت تتأكد لى كلما اقترب الثلاثة منا خطوة فخطوة . . وتشبثت كفاى بمسندى مقعدى . . وكدت أهم واقفا . . ولحظ صديقى الصحفى ما طرأ على . . فسألنى .

- مالك ؟

فأجبته دون أن أحول عينى عنها :

- هذه هى . . إنها هى . . انظر . .

ونظر الصديق إليهم . . وانفرجت أساريره عن ابتسامة عريضة . . وكان الثلاثة قد أصبحوا قيد خطوات منا فنهض مرة ثانية ، ولم تكد عفاف تراه حتى خرجت من بين كمال التهامى وزوجته أمينة . . ومدت يدها تصافحه بحرارة .

كانت كما هى . .

كما رأيتها يوم اصطدمت بها منذ ثلاثة أعوام فى نفس هذا المكان . . عطرها يفسح لها الطريق . وبشرتها جمعت بين لونى الخمر وعصير الورد ضمتهما كأس واحدة . . وعلى خدها الأيسر خال أسود دقيق ضغطته بقلم التظليل فبان أكثر وضوحاً من حقيقته . والضفيرة الواحدة الغليظة التى جمعت كل شعرها وعقدت نهايتها بشريط من القطيفة السوداء تدق منتصف خصرها تماما . كل شىء فيها على ماكان عليه . . مازال فيها من التفاحة ما يغريك بإمساكها فى كفك لكى تغرس فيها أسنانك . . ومازالت تجمع فى كيانها كل نساء الأرض ، فمن قبلها فقد قبل نساء الأرض جميعا ومن ضمها فقد ضمهن جميعا .

ولكنى رأيت فى عينيها شيئاً . . .

هل قلت لك إن عينيها خضراوان ؟

نسيت أن أذكر لك هذا . . فعيناها خضراوان . . يكونان مع بشرتها التى جمعت بين لونى الخمر وعصير الورد ، وشفتيها المصبوغتين بلون البرتقال – أغرب أحمر شفاه رأته عيناى – والخال الأسود على خدها الأيسر – لوحة أبدعتها ريشة السماء ، فبدت كاملة الألوان والظلال .

ماذا رأيت فى عينيها ؟

لم تكن فيهما النظرة المرحة السعيدة القوية الجارحة التى شكتنى بها منذ ثلاثة أعوام . ولكنى أحسست – وأهدابها السوداء اللامعة تلتقى وتفترق فى قبلات سريعة

خاطفة – أنها فقدت خطورة النظرة وحدتها وتحديها . . وحلت محل هذا كله ، نظرة أخرى . . فيها دعة وفيها هدوء . . وفيها الإحساس بأنها تحيا لأنها محكوم عليها بالحياة .. ونظرت فى عينيها طويلاً . . وكانت قريبة منى وهى تحدث صديقى . . وأحسست وأنا أسبح فى هاتين العينين إحساس من يقف بشاطئ المحيط ، محاولا – على غير طائل – أن يخترق الأفق بنظره لعله ظافر بالشاطئ الآخر المقابل .

هكذا كانت عيناها فى خضرتهما الصافية . . متاهتان . . لهما سحر البحر بكل غموضه وعمقه واتساعه . . بكل أبعاده المخيفة التى تبعث الرهبة إلى القلب والنفس .

ولم يطل حديث صديقى معها طويلاً . . فمدت له يدها مودعة . . وقبل أن يتجه الثلاثة نحو باب الخروج . . سمعت كمال التهامى يكرر دعوته لزيارته . . وزوجته أمينة تبتسم فى رقة الملائكة كمن تؤكد الدعوة . .

كان فيما يبدو من أقرب الأصدقاء إلى الزوجين السعيدين . .

وعاد صديقى إلى . . وأحس بأن رؤيتى عفاف كانت شيئاً له أثره فى نفسى فقال – كأنه يقرر بداهة لا تقبل المناقشة . .

– لست الوحيد الذى عصرته مجرد رؤيتها . . هذه مخلوقة غير عادية .

وأخبرته أننى أعانق خيالها منذ ثلاثة أعوام مضت . . وأننى أعيش فى شبه انتظار دائم وترقب قلق للحظة التى أراها فيها لأعرف من تكون .

وجاءنى جوابه يتناهى بساطة .

– إنها أخت أمينة . . أختها الوحيدة . . ليس لها غيرها الآن .

وعدت أسأله :

– ولكنى يوم رأيتها منذ ثلاثة أعوام .. كان يرافقها شاب فى نحو الثلاثين أو

أكثر قليلا . . لعله . .

ولم أكمل حديثى . . فأكمله صديق قائلاً :

- إنه أحمد راغب . . كان زوجها .

ولاحظت أنه ضغط على كلمة «كان» كأنما لا يريدها أن تفوتنى . . وأدركت هذا منه فسألته :

- أتعنى أنها . .

وجاءتنى إجابته قبل أن أتم سؤالى :

- طلقت منه . . منذ نحو عامين .

طلقت ! ! .

* * *

أحسست للكلمة فى أذنى طنيناً غريباً .

طلقت ! ! .

أيمكن هذا ؟ أهذه مخلوقة يفرط فيها إنسان ؟ أهذه امرأة يتخلى عنها رجل ليعود إلى داره وفراشه وحياته ليراها وقد خلت منها بعد أن كانت تملؤها جميعاً ؟

ومن هذا الرجل ؟

زوجها ؟ أحمد راغب ذلك الشاب الرقيق الوديع الذى رأيته معها منذ ثلاثة أعوام والإجهاد يرسم خطوطه على وجهه كمن لم ينم منذ ليلتين ؟ » .

أيستطيع هذا الشاب أن يحتمل فراقها ؟ ووجدتنى أقحم نفسى وأضعها مكان هذا الزوج .

لو كنت مكانه . . لو كنت زوجها وكانت امرأتى ؟

أتستطيع أية قوة فى الوجود أن تجعلنى أنفصل عنها ؟
وجاءنى الجواب . . أسرع من خفقة قلب .
- قطعا لا . .
فلن يحتمل إنسان هجير الشمس بعد أن عاش فى الظل . .
ولن يألف الزمهرير بعد أن تعود الدفء . .
ولن تقبل معدته العلقم بعد أن كان طعامها الشهد . . . .

وأحمد راغب - زوجها - لاشك أنه كان يعيش فى خلال الفترة التى جمعتهما زوجين ، فى الظل . . والدفء . . والشهد بين يديه وعلى شفتيه وجبة دائمة لا تفرغ ولا تنتهى .

أو لم تكن عفاف الظل الذى يأوى إليه هربا من هجير الحياة وكدها ؟ ألم تكن الدفء الذى يسرى فى فراشه عندما يحتويها بين ذراعيه ؟ ألم تكن الشهد المصفى عندما تهبه شفتيها ليعتصر منهما زاد نهار كامل إلى أن يجمعهما ليل الوصال مرة أخرى .

ووجدتنى أنظر إلى صديقى فجأة وأنا أقول . وكأن الأمر يعنينى أكثر من أى إنسان آخر .

- قل كلاما غير هذا . . ماذا تعنى بقولك أنها طلقت ؟

وأشعل الصديق سيجارة وهو ينظر إلى كمن يقرأ كل ما بنفسى بكل وضوح وسهولة وقال :

- اسمع . . إن قصة عفاف لا يعرفها سوى أربعة . . زوجها وأختها وزوج هذه الأخت و . . وأنا .

والتفت إليه أعنى . . اقتربت منه أكثر مما كنت . . وسألت فى لهجة من يرجو شيئاً :

– أعندك مانع فى أن تضمنى إليكم فأصبح الخامس .

ومرت لحظات قبل أن يقول :

– لو تدرى ماذا قالت لى الآن ؟

سألته فى لهفة :

– ماذا قالت لك . . أرجوك .

– سألتنى . . ألا تنوى أن تكتب قصتى ؟

وتنبهت كل حواسى . . وأحسست بقلمى يتململ فى جيب سترتى الداخلى ويشك قلبى فقلت له .

– إذن هناك قصة . . وهى لا تتحرج من أن يكتبها كاتب وينشرها . . وأنت على قدر علمى لن يدع لك عملك الصحفى فسحة من الوقت لكتابتها أما أنا فإننى لم أحترف الصحافة بعد .

وسألنى صديقى الصحفى سؤالاً مفاجئاً .

– لو كانت عفاف هذه زوجتك . . أتستطيع أن تطلقها كما فعل أحمد راغب ؟

وكانت إجابتى كالقذيفة .

– مستحيل . . مستحيل . . هذه لا يفرق بينى وبينها إلا موت أحدنا . . وأفضل موتى أنا حتى لا تتركنى محكوماً على بحياة خالية منها .

ونظر صديقى إلى ساعته وهو يقول :

– هيا بنا فقد أزف الوقت .

وقمنا معاً . . ونحن فى طريقنا إلى باب الخروج قال لى . .

– تعال غداً إلى مكتبى . . وسأعطيك بضع صفحات فيها قصة عفاف . .

اكتبها أنت من جديد . . فأنا – كما قلت – لن يدع لى عملى الصحفى وقتا لكتابة مثل هذه القصة بالعناية التى تتطلبها والتى أثق بأنك ستوليها إياها . . وبعد أن تفرغ منها وتكتب السطر الأخير فيها ، تعال لأكتب لك السطر الذى بعده ، اعنى الذى بعد الأخير . .

ولم أفهم عبارته فقلت له . .

– هل هناك شىء بعد السطر الأخير. ولم نسميه الأخير إذن ؟

وكنا قد غادرنا بهو فندق سميراميس ووقفنا فى شرفته والنيل أمامنا . . والتفت الصديق إلى وهو يقول :

– السطر بعد الأخير . عرفته الآن . . منها . . ومن أختها وزوج أختها عندما حضرا الآن كى يصحباها كما رأيت .

وسألته فى لهفة :

– ليصحباها إلى أين .

أجابنى وهو ينفث دخان سيجارته :

– هذا هو السطر بعد الأخير.

وأمسكت بذراع صديقى فى جد واهتمام وأنا أقول :

– اسمع . . أنت صديق هذه الأسرة . . وأنا أوسطك لزواجى بعفاف وأترك لك بحث كل التفصيلات ومناقشتها .

أجابنى والابتسامة مازالت ترتسم فوق وجهه :

– وهذا أيضاً متروك لما بعد كتابتى . . السطر الذى أكتبه أنا بعد أن تكتب أنت سطرك الأخير.

٣

من أين أبدأ قصة عفاف ؟

هذه الصفحات السبع التى سلمنى إياها صديقى الصحفى أشبه ما تكون بسبع حبات إذا ألقيت فى تربة خصبة أنبتت كل منها سبع ملازم . . فى كل ملزمة مائة صفحة . .

هذه التفصيلات الصغيرة واللمسات الدقيقة فى قصة عفاف . . كتبها صديقى فى كلمات والحوادث الضخمة فى حياتها ، أوردها – وقد غلبته مهنته – فى صورة خبر . . ولكنى أمام قصة تتحدى العرف والمألوف والآداب والمثل والقيم بوقائعها التى قد تحدث بكل بساطة – برغم هولها وغرابتها – لى أو لك . . لزوجتى أو لزوجتك . . نحن معا على حديث طويل تحيرنى نقطة البداية منه . .

هل أبدأ من عفاف وزوجها ؟ أعنى من كان زوجها أحمد راغب ؟

أم أبدأ من شقيقتها أمينة وزوجها كمال التهامى .

إنى أرتعد . . أرتعد كلما عادت عيناى إلى هذه الصفحات السبع التى أمامى . .

أرتعد كلما تصورت هذه اللحظات التى مرت بعفاف وعاشتها ولا أتمالك أن أشفق عليها برغم ما قد يلقاه إحساسى هذا نحوها من استنكار الآخرين ونقمتهم على وعليها بعد أن يقرأوا قصتها .

والقصة ليست قصة عفاف وحسب . . ولكن الإطار الرهيب يضم معها زوجها – أو من كان زوجها – أحمد راغب . . ويضم شقيقتها المسكينة أمينة . . وزوجها كمال التهامى . . ويضم أيضاً مراد عزمى . . صديق أحمد . .

مراد عزمى ! !

هل منكم من يعرفه ؟ ؟

أعنى هل منكم من لا يعرفه ؟

إنكم جميعا تعرفونه . .

قد يكون بهذا الاسم أو باسم آخر ، فالأسماء لا قيمة لها لأنها مهما اختلفت فلن يؤثر اختلافها فى صورة هذه الشخصية . . شخصية صديق الزوج . . الرجل الذى تعدى الخامسة والثلاثين وشارف الأربعين فأكسبته السن والتجارب والثراء والحياة العريضة التى عاشها سحرا لا يقاوم . . يحدثك عن طرقات باريس ولندن وروما وبرلين ونيويورك ومقاهى كل منها وحوانيتها وملاهيها وفنادقها ومتاجرها ومتاحفها كما نتحدث نحن عن شوارع عماد الدين وسليمان باشا وقصر النيل والمتاجر التى على جانبيها والطرقات الصغيرة المتفرعة منها . .

فى كل ركن منها له قصة . . وفى كل بلد مغامرة . . والقصص والمغامرات بين عواصم أوربا حديث يستهوى الآذان والأفئدة . . وفى كثير من الحالات يبدو القاص أو الراوى فى أعين بعض من يروى عليهم قصصه ومغامراته فى صورة بطل من أبطال الأساطير . .

وهو أنيق أناقة عالية . . وسيم . . حنون . . خفيض الصوت . . حديثه – والبسمة لا تفارق شفتيه – كأنه الهمس . . كريم إلى حد السفه . . من ذلك النوع الذى يسهل الحياة لكل من له غاية فى تسهيلها له . . لا عقدة أمامه بلا حل . . ولا مأزق بغير مخرج ، ولاضيق يعجزه تفريجه والمال فى يده سلاح ماض رهيب يلقى به فى استخفاف وزراية . . ولم يحدث مرة واحدة أن أخطأ الهدف .

ويوم وقعت عيناه على عفاف . . أصبحت هدفه الجديد العزيز المأمول .

* * *

٤

متى وقعت عيناه عليها ؟

إنه يوم لا ينساه . .

هى أيضاً لا تستطيع أن تنسى ذلك اليوم . . أو تلك الليلة على وجه التحديد أول يونية عام ١٩٥٤ .

فى ملهى الأوبرج والساعة الحادية عشرة مساء . . وعفاف جالسة إلى مائدة صغيرة مع زوجها أحمد راغب يحتفلان معا بعيد ميلادها . . وكان مراد هناك فى ذات الليلة . . والتقى بصديقه أحمد على غير موعد وبلا تدبير سابق . .

وأحست عفاف من حرارة التحيات التى تبادلها زوجها وصديقه . . أن صداقة قديمة تربطهما . . وأن فترة طويلة قد مضت لم ير خلالها أحدهما الآخر . .

وتطور حديثهما . . سريعا سريعاً . . زوجها ينبئ صديقه وهو يشير إليها جالسة فى مكانها مضيئة لامعةأنه تزوج منذ عامين . . وصديقه يحول عينيه إليها وهو يبتسم وينحنى محييا فى عذوبة آسرة . . ثم يعتب على أحمد ويأخذ عليه إغفاله دعوته

لشهود حفل زواجه . . ثم يتذكر فى الحال – وهو ينفث دخان سيجارته – أنه كان فى أوربا – فى إسبانيا على وجه التحديد – فى هذا الموعد . . فيسرع أحمد قائلاً إنه حتى لو حاول دعوته أنئذ لكان هذا مستحيلا . . ويضحك الصديقان وكل منهما يشد على يد الآخر بيد وقد أسند الأخرى إلى ذراع صاحبه فى مودة صادقة .

وقدم أحمد صديقه وزوجته . . كلا منهما للآخر . . ثم أردف قائلاً :

– الليلة عيد ميلادها وقد جئنا نحتفل به هنا معا . .

وكان مراد قد هم بسحب يده بعد أن صافح عفاف . . ولكنه ظل ممسكا بها وهو يقول .

– عيد ميلادها ؟ نحتفل به جميعاً إذن . . تفضلا . . الأوبرج بكل من فيه يحتفل بعيد ميلادها .

وأشار إلى مائدة طويلة فى صدر المكان وقد اصطف على جانبيها عدد من الرجال والنساء فى أبهى مظاهر الترف .

– هذه مائدتى وهؤلاء ضيوفى . . وأرجو أن تقبل عفاف هانم أن تكون ضيفة الشرف وأن تسمح لنا بالاحتفال بعيدها . . إن الليلة ليلتها .

وبادلت عفاف زوجها نظرة . . وسمعته يقول لصديقه .

– لا مانع يا مراد . . لا مانع أبدا . . هذه فرصة فإنى مشوق لحديثك الساحر .

واتجه الثلاثة إلى المائدة الكبرى . . وأخذ مراد عفاف من يدها وأجلسها على رأس المائدة وهو يقدمها هى وزوجها إلى مدعويه .

كانوا جميعاً يجلسون كيفما اتفق ومراد بينهم . . واحد منهم . . والسيدات الخمس اللواتى كانت تزدان بهن المائدة . . كن يجلسن فى غير تكلف ولا ترتيب . . ولكن مرادا جعل من عفاف فى جلستها وفى مكانها من المائدة – ربة لها . .

وأحس الجميع هذا . . وبادل بعضهم البعض نظرات سريعة خاطفة . . كان يبدو جليا أن مرادا شديد الحفاوة بضيفيه الجديدين .

وأجلس زوجها إلى يمينها . . وجلس هو إلى يسارها . . وأشار بإصبعه إلى المشرف على خدمة الحاضرين فخف نحوه مسرعا . . ثم همس فى أذنه طويلاً حديثا لم يسمعه أحد . . ثم ابتعد بفمه عن أذنه وهو يقول له بصوت مسموع وفى ابتسامة عذبة .

– سريعا على قدر الإمكان . . أرجوك .

قالها بالفرنسية . . ثم التفت إلى عفاف وقد أضاءت وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول :

–كان يجب أن أعلم من الصباح أن الليلة عيد ميلادك .

وابتسمت عفاف فى صمت . . وأتم هو حديثه وكأنه يتوجه به إلى زوجها .

– ولكن الذنب ذنب أحمد .

وحاول أحمد أن يشرح لمراد كيف تعود أن يحتفل معها بعيد ميلادها فيما بينهما بأن يصحبها إلى أى مكان يمضيان فيه سهرة هادئة . . ولكن مرادا قاطعه بقوله :

– هذه المرة – أعنى هذا العيد – سأحاول أنا بمناسبته أن أحتفل بكما معا . . لقد فاتنى حفل زواجكما . . فلنحتفل به الليلة مرة أخرى .

ولم تمض دقائق حتى أحاط بالمائدة أكثر من خادم . . وتولى رئيسهم خدمة عفاف بالذات .

الطعام يقدم لها أولا . . ثم الباقين بعدها .

والكأس الأولى من كل زجاجة شمبانيا لها . . ثم للباقين بعدها . .

وراحت الدقائق تجرى . . وإذا برواد الملهى يفاجأون بالفرقة الموسيقية تعزف

لحن عيد الميلاد التقليدى . . كان الليل قد انتصف . . وبدأت الدقيقة الأولى من اليوم الوليد . . الجميع يهنئون عفاف بعيد ميلادها . . الجميع يذكرون اسمها فى المقطع قبل الأخير من الأغنية . . فمن أخبرهم بكل هذا ؟ ؟ من أخبرهم أنها تحتفل بعيد ميلادها . . واسمها ؟ من أخبرهم باسمها ؟

ونظرت إلى مراد من خلال المتاهتين الخضراوين العميقتين – عينيها – وصمتت وأحست أنه فعل من أجلها كثيراً . .

وأحست أيضاً – لأول مرة – أنها شىء له قدره وأهميته .

وأحست إلى جانب هذا أن الليلة ليلتها فعلا . . وأن الأوبرج بمن فيه يحتفلون بعيد ميلادها كما قال مراد . .

ألم يردد كل من فيه اسمها .

وأقبل نوبيان من خدم الملهى يحملان صينية كبيرة عليها كعكة ضخمة زانتها شموع صغيرة مضاءة وضعاها أمام عفاف ثم انسحبا ليقفا بعيدا والتقط مراد سكينا طويلة من الفضة موضوعة بجانب الكعكة المضيئة وقدمها لعفاف وهو يقول :

– سنرى إن كنت ستطفئين الشموع كلها دفعة واحدة

وابتسمت عفاف وهى تتناول السكين من مراد . . واقتربت بوجهها من لهب الشموع وضمت شفتيها المصبوغتين بلون البرتقال فبدت كعصفور الجنة . . وشهقت نفسا طويلاً عميقا ثم نفخت بكل قوتها محاولة أن تطفئ الشموع كلها دفعة واحدة وهى تغالب الضحك . . ولم تفطن إلى عينى مراد تكويان بنظراتها نهديها القلقين تحت ثوبها الحريرى ، وقد أخذ الضحك والانفعال يزلزلانهما ثمرتين أشهى ما تكون الثمار . . وصفق لها الجميع وقالوا لها :

–كل سنة وأنت طيبة .

وامتدت يدها بالسكين فقطعت الكعكة الكبيرة قطعا قطعا وقدمت منها للجميع . . وسمعت مرادا يأمر القائم على خدمتهم بأن يقدم الشمبانيا لأفراد الفرقة الموسيقية باسم حرم أحمد راغب .

* * *

٥

هذه الحياة جديدة عليها . . وهذا الأسلوب لم تألفه من قبل . . إنها احتفلت بعيد ميلادها مع أحمد قبل ذلك مرتين . . المرة الأولى . . وكانت عامئذ عروسا لم يمض على زواجها أسابيع . . فى فندق سان ستفانو بالإسكندرية . . صحبها إلى هناك فتناولا العشاء ثم رقصا معا إلى ما بعد منتصف الليل . . وعادا إلى غرفتهما بالفندق فى هدوء . . وقبل أن يضمها الفراش علق فى جيدها مصحفا صغيرا داخل علبة جميلة من الذهب . . ثم قبل وجنتيها وعينيها وشفتيها ويديها وشعرها وهو يقول :

-كل سنة وأنت طيبة .

وعانقته . . وقبلته وهو يتم حديثه .

- هذا المصحف ليحميك لى . . وليحرسك ويذود عنك كل شر .

وعانقته ثانية ، وقبلته ثانية . . فقد كانت سعيدة به . . فهو زوجها . . وهى تحبه . . وهو يحتفل بعيد ميلادها لأول مرة . . ولم تتجاوز نفقات السهرة ليلتئذ

ثلاثة جنيهات . . وهى تعلم أن هذا المصحف الذهبى قد استأداه سبعة جنيهات أخرى فقد سبق لها أن شاهدته منذ أيام معروضا فى أحد المحال التجارية وأبدت إعجابها به . . ولم يعلق أحمد يومئذ بشىء . .

كان يعده مفاجأة لها فى عيد ميلادها . . وقد نجح فى أن يفاجئها فعلا .

هذه كانت المرة الأولى . .

والثانية كانت فى العام التالى . .

صحبها إلى الملهى الليلى بفندق شبرد . . إنه لم ينتقل للاصطياف فى الإسكندرية كما فعل فى العام الماضى . . وكما حدث فى سان ستفانو . . حدث فى شبرد . . رقصا معا إلى منتصف الليل . . ثم عادا إلى دارهما فى هدوء . . فى شبرا . . فى شارع شنودة بشبرا . . وقبل أن يضمهما الفراش . . أحاط معصمها بسوار من الذهب زانته فصوص صغيرة من حجر الفيروز الأزرق ، ثم قبل وجنتيها وعينيها وشفتيها ويديها وشعرها وهو يقول :

– كل سنة وأنت طيبة .

وعانقته وقبلته وهو يتم حديثه .

– أرجو أن يروقك ذوقى هذه المرة .

وعانقته ثانية . . وقبلته ثانية . . فقد كانت سعيدة به . . فهو زوجها . . وهى تحبه وهو لا ينسى عيد ميلادها أبدا . . ومدت معصمها فى دلال . . والسوار الذهبى – برغم بساطته – يبدو حوله جميلا لامعا أنيقا . . ثم رفعت عينيها إلى زوجها وهى تقول :

– غاية الرقة والذوق والجمال يا أحمد . . لو لم تختره من تلقاء نفسك لتمنيته عليك .

وخطفها بين ذراعيه . . وخبأها فى صدره وهو يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها . . ثم حملها . . إلى فراشها الموعود .

أين تلكما الليلتان من هذه ؟

الجميع ينظرون إليها ويبتسمون . . الأوبرج بمن فيه يهنئونها بعيد ميلادها وكأنهم جميعا يعرفونها . . والشراب قد قدم لأفراد الفرقة الموسيقية باسمها . . حرم أحمد راغب . . لا شك أنهم سيتساءلون فيما بينهم عن حرم أحمد راغب هذه . . ومن تكون ؟ إنها الليلة شىء آخر غير ما كانته ليلة العام الماضى فى ملهى فندق شبرد وليلة العام الذى قبله فى حديقة فندق سان ستفانو حيث لم يشعر بها أحد . . إنها الليلة شىء له قيمته . . شىء مضروب فى مثله مائة مرة . . ألف مرة .

وانعكس هذا الإحساس الساحر الجميل ، تزفه كؤوس الشمبانيا التى سرت بين أوصالها ، على كل ما حولها . . فرأت المكان وكأن أضواءه قد زادت ألف مرة . . والموسيقى وكأنها استوردت خصيصا لها من جنة قريبة لتفرش الفضاء بأنغام تكاد العين تراها مع الأذن التى تسمعها . . والرجال والنساء – أصدقاء مراد وصديقاته – من حولها . . لقد كانت تشعر عندما قدمها مراد إليهم أنهم شىء أكبر منها . . أو أنهم من عنصر آخر يمتاز عن عنصرها بشىء لا تستطيع أن تفهمه أو تعبر عنه . . ولكنها الآن تحس أن قامتها قد ارتفعت حتى ساوتهم . . إنها وهم سواء بسواء . . بل إنها بدأت تقارن بين نفسها وكل من التفوا حول المائدة . . فكانت النتيجة إحساسها عن يقين بأن ليس بين السيدات من تفضلها وليس بين الرجال من يفضل زوجها أحمد .

وليست تدرى . . لم قفز إلى ذهنها هذا السؤال .

حتى مراد ؟ ؟

واستدارت برأسها إلى جهته . . فرأته يرفع كأسه يمس بها كأس زوجها . . والتقت الكأسان : كأس زوجها . . وكأس صديقه – أمام عينيها . . وسمعت مراداً يقول :

– فى صحتك يا أحمد . . وفى صحة عفاف هانم .

والتقت أعينهما . . وابتسم لها وهو يرفع كأسه إلى شفتيه . . وابتسمت عفاف ثم استدارت إلى ناحية زوجها فطالعها بوجهه الوديع وهو يرفع كأسه إلى شفتيه فى صحتها . . . وفى حبها .

ولم تفطن إلى أنها كانت بينهما كالبندقة الصغيرة بين فكى الكسارة . . وألح السؤال عليها . . ولم يرحمها . .

– حتى مراد ؟ ؟

ولكن مرادا رحمها من عناء الإجابة إذ رأى بعض مدعويه يقومون إلى حلقة الرقص فقال لأحمد .

– لم لا ترقص مع عفاف ؟ هيا . . الرقصة الأولى لك فهذا عيد ميلادها . . والثانية لى إذا لم تكن قد تعبت .

وتبادلت عفاف وأحمد نظرة . . ونهض الاثنان وتوجها إلى حلقة الرقص . . ولم يكد رئيس الفرقة الموسيقية يرى عفاف وسط الحلقة ، حتى أوقف العزف فجأة لثوان معدودات . . ثم أعطى إشارة البدء من جديد وهو يومئ لها مبتسماً . . وأحست عفاف أن التحية لها . . وتضرج وجهها بلون التفاح وهى تقول لأحمد :

– إنهم يبالغون فى الحفاوة بى . . لقد أخجلونى .

وأجابها أحمد وهو يحيط خصرها بساعده ويدور بها على أنغام الموسيقى :

– أنت الليلة عروس الأوبرج . . ومراد له نفوذ ضخم فى الأمكنة التى يتردد عليها .

– انفق الليلة كثيرا .

ومط أحمد شفتيه وهو يقول :

– لم يكن للمال عنده قيمة فى يوم من الأيام . . كلنا عرفنا عنه هذا منذ كنا معا طلبة فى كلية الحقوق .

– تعرفه إذن منذ زمن .

– صداقة عشرة أعوام يا عفاف . . وكان دائماً شهماً . . كريماً . . ملاذ إخوانه وزملائه فى الملمات . . نشلت من أحد الطلبة مصاريف الكلية ذات مرة فسددها عنه فوراً . . وفى مرة أخرى لاحظ أن لجنة صغيرة من الطلبة تجمع قروشاً من الزملاء . . وبعضهم يدفع والبعض الآخر يعتذر . . فاستفسر فعرف أن والدة أحد الطلبة قد توفيت ونفقات الدفن تعوزه . . فأشار بإعادة كل ما جمع إلى أصحابه . . وانتحى بالطالب المنكوب فى أمه جانباً وأعطاه خمسين جنيهاً ليكرم أعز الناس لديه فى رحلتها الأخيرة . . وفى مرة ثالثة . .

وقاطعته عفاف . .

– ما هذا كله ؟

فأجابها أحمد وكأنه يدلى بحقيقة لا تحتمل أية مناقشة :

– من هذا كثير . . المواقف أكثر من أن تعيها الذاكرة .

– ولكنه الليلة . . ترى كم تكلفه مثل هذه الليلة . . إن زجاجات الشمبانيا التى فتحت . . والكافيار . . و . . .

ولم يدعها أحمد تتم إذ قال :

– لا يهمه . . مائة . . مائتان . . إنه يفضل أن يعيش حياته عرضا لا طولا .

– ولكنى لم أره معك من قبل . ! لم يزرنا مثلاً مرة . لم يكن ضمن مدعويك

عند زواجنا ! !

– تعرفين هذا النوع ياعفاف . . مثل مراد له حياته الخاصة . . محيطه . . أصدقاؤه . . وسطه . . طبيعة حياته . ؟ نظام معيشته . . ثروته وغناه عن الوظيفة والعمل . . وظروف كثيرة أخرى تباعد بين أمثاله وأمثالى . .لا يمكن أن يتم الاندماج كليا بين مثلى ومثله . . ولكن هذا لا يعنى أبدا أن صداقتنا أو زمالتنا القديمة الطويلة قد انتهت أو ماتت . . وها أنت ذى ترين كيف كان لقاؤنا حارا وقد انقضت سنتان أو أكثر دون أن يرى أحدنا الآخر . . وعدم دعوته لشهود زواجنا – وبصرف النظر عن تغيبه فى إسبانيا فى ذلك الحين كما علمت منه الليلة – لم يكن أكثر من إغفال عادى كما أغفلت الكثيرين . . إن الحفل كان محدوداً جدا كما تذكرين .

ومس خدها بخده . . وضمها إليه وهو يدور بها على نغمات الموسيقى الهادئة . . واقترب بشفتيه حتى ألصقها بأذنها وهمس :

– لو تعلمين كم أنت جميلة الليلة ! ! وكم أحبك ! ! إنك أجمل الموجودات بلا استثناء . . بلا نزاع .

وكانت إجابتها أن ألقت برأسها فوق كتفه . . وضغطت كتفه الأخرى بكفها وكأنها تضمه إلى قلبها .

وانتهت الرقصة . . فعاد بها إلى المائدة . . وفى طريقهما إليها سألته :

– أظن مرادا سيسألنى أن أرقص معه . . فهل أعتذر ؟

فالتفت إليها وقد ارتفع حاجباه قليلا وكأنه يستغرب سؤالها :

– ولماذا تعتذرين ؟ لا مانع أبدا من أن ترقصى معه . . إنه صديق قديم وأخ عزيز وفى التماس الرجل مراقصة السيدة ، تحية لها . . مرادعاش حياته ويختلف عن الكثيرين .

وقام مراد واقفاً عند وصول عفاف وزوجها . . وسحب لها مقعدها أمام المائدة ثم دفعه خلفها بلطف فجلست وهى تبتسم له شاكرة . . وجلس أحمد بجانبها . . وأخرجت من حقيبة يدها علبة للبودرة . . سوداء مستديرة . . أنيقة . . ركب على غطائها الحرف اللاتينى A تعبيراً عن الحرف الأول من اسمها . عفاف . . وراحت تصلح من زينة وجهها . . وابتسم مراد لها ولأحمد وهو يقول :

– كنتما أجمل وأرشق وأليق اثنين لبعضهما فى الحلقة .

وربت أحمد كتف زوجته فى حنان وهو يقول موجها الحديث لمراد :

– كنت أقول لها الآن أنها أجمل الموجودات . . بلا استثناء . . وبلا نزاع .

وراحت عفاف تبتسم وهى تتم صقل زينتها . . ونقلت عينيها بين زوجها وصديق زوجها وهى تقول فى شبه تساؤل . . واستحياء :

– أتتآمران على ؟

وأغلقت علبة البودرة وأعادتها إلى حقيبة يدها وهى تقول :

– الواقع أن الأستاذ مراد قد أخجلنى الليلة بكرمه و . .

ولم يدعها مراد تتم ما تريد أن تقول . . فوضع طرف سبابته فوق شفتيه إشارة رجاء بالصمت وهو يقول :

– أرجوك . . لا أحب الحديث أبدا فى مثل هذه الأشياء . . إننى آسف أشد الأسف إذ لن يتاح لى أن أقدم لك هدية عيد ميلادك قبل سفرى لأنى سأبرح الأوبرج الليلة إلى المطار . . إن حقائبى فى مكتب شركة الطيران وستبرح الطائرة بى مطار القاهرة فى تمام الخامسة صباحا إلى فرنسا .

وكان هذا مفاجأة لأحمد وعفاف معا .

وأتم مراد حديثه قائلاً :

– ستكون رحلة لا بأس بها . . سأمر بفرنسا وسويسرا . . ثم أعرج على ألمانيا ومنها إلى إيطاليا ثم إلى ساحل الريفيرا . . ثم أرى وجهيكما بخير بعد ثلاثة أشهر . . بهذه المناسبة يا أحمد . أنا الآن لا أعلم أين تعمل ؟ . . أين تقيم ؟ كيف أتصل بك : إذا أحببت أن أكتب لك فى خلال رحلتى . . على أى عنوان أكتب .

فأخرج أحمد بطاقة من جيبه قدمها لمراد وهو يقول :

– هنا عنوان العمل وعنوان البيت يا مراد .

وابتسم مراد وهو ينظر فى البطاقة ويتمتم :

– أحمد راغب . . مصلحة البريد . . منزل ٣ مكرر شارع شنوده بشبرا . . القاهرة .

ورفع عينيه إلى أحمد وهو يسأله .

– ليس لديك تليفون يا أحمد ؟

ونكست عفاف رأسها وراحت تعبث بمحبس حقيبة يدها . . لطالما تمنت على أحمد أن يدخل التليفون مسكنهما . . ولكنه كان يعتذر دائماً متعللا بعجزه عن توفير رسوم الاشتراك وما يتبعه من قائمة حساب المكالمات الزائدة التى تفاجئ مصلحة التليفونات مشتركيها بها كل ثلاثة أشهر .

وأحست بالخجل وأحمد يجيب صديقه :

– والله . . التليفون فى المكتب فقط يامراد . . وعلى أية حال . . ما حاجتك إلى التليفون بالمنزل ؟ إن بيتى بيتك . . وسيشرفنا – رغم بساطته وتواضعه – أن تفاجئنا بالزيارة فيه فى أى وقت تشاء وفى أية ساعة تعن لك . . ولو أننى واثق بأنك ستنسانا بمجرد أن ترتفع بك الطائرة فجر اليوم فى سماء القاهرة .

وابتسم مراد وهو يقول :

- هذا تقديرك أنت يا أحمد .

وحول عينيه إلى عفاف وهو يتم قوله :

- أتمسك بك شاهدة على كلينا يا عفاف هانم .

وابتسمت عفاف وقالت :

- الدور دورك لتثبت له خطأ تقديره .

وأطفأ مراد سيجارته وهو يقول :

- عفاف هانم تسمح لى بهذه الرقصة . . إذا لم تكن متعبة .

وابتسمت عفاف . . ووضعت حقيبة يدها على المائدة . . وتأهبت للقيام . . فأسرع مراد وسحب مقعدها إلى الخلف فقامت . . وأفسح لها الطريق مشيراً بيده أن . . تفضلى . .

وودعت أحمد بابتسامة عذبة رقيقة وتقدمت إلى الحلقة . . ومراد خلفها . . بينه وبينها خطوة واحدة .

لم يكن قد استعرض قوامها بعد . . فكان يراها تسير أمامه لأول مرة . . وتمنى لو أن الذوق لم يكن يحتم عليه أن يلحق بها ليكون إلى جانبها . . فلم يكن يريد أن يحرم عينيه متعة النظر إليها وهى تسير أمامه .

كانت شيئاً لا عهد له به من قبل رغم وفرة ما رأى فى عواصم الدنيا . .

إن خصرها - بين صدرها وردفيها - يكاد يقول شيئا لكل من يراقبه . . شيئاً مثيراً . . لا يمكن أن يقال إلا همساً . . وخصر المرأة كان دائماً فى تقدير مراد ميزان الجمال .

وأحس فجأة أنه ارتد إلى مراهق فى السادسة عشرة من عمره . . يطل الحيوان الكامن فى أعماقه من كل مسام جلده . . وأحس أنه تباطأ خلفها بشكل ملحوظ . .

فأسرع ولحق بها وسط الحلقة وقد وقفت واستدارت بوجهها إليه وقد شاعت فيه ابتسامة قطة جميلة لو استطاعت القطة أن تبتسم.

وكاد يفقد السيطرة على نفسه عندما رفعت ذراعيها لتمكنه من مخاصرتها . . فشاع عطرها المثير من إبطيها . . نفاذا . . قويا يدير الرؤوس . . وكان ثوبها صيفيا يكشف عن ذراعين بضتين قطيفيتين لا أثر للتطعيم فيهما . . وأدرك لتوه أن التطعيم لابد أن يكون فى مخبأ دقيق آخر من هذا الجسم الجميل . .

وكان إبطاها ناعمين . . أملسين . . لامعين . . لا يفترق لونهما عن لون بقية لحمها كطفلة لم تنطلق فى جسدها معالم الأنوثة . . وضغط أعصابه كى لا تنفجر وتمالك نفسه . . وقابل ابتسامتها بمثلها . . وأحاط خصرها بساعده الأيمن وأمسك بكفها اليمنى . . بينما أسندت هى راحتها اليسرى إلى كتفه . . وحملتهما الموسيقى بين حشد الراقصين.

لم يحاول أن يقترب منها أو يلصق صدره بصدرها . . لقد نفذ بخبرته وتجاربه ونظرته الثاقبة إلى نفسها . . إلى أعماق نفسها . . وخلص من ذلك إلى أنها من النوع الذى قد ينفر من الانقضاض الخاطف فتكون النتيجة أن يفقدها . . وهو لا يريد أن يفقدها أبدا . . إن « السياسة » الهادئة المتزنة طويلة المدى . . يجب أن تكون رائدته حيال هذه « الحالة » الفريدة . . كان يعتبرها « حالة خاصة » . . لا امرأة كغيرها من النساء . .

وأحس أنه لا يجوز أن يخطو خطوة قبل أن يتأكد من موضع قدمه . . وكانت خطوته الأولى أن يكسب ثقتها فراح يراقصها كما لو كانت أختا أو ابنة أخت ، دون أن يحاول الابتعاد بها عن زحمة الراقصين . . وكانت قامته أطول من قامتها . . فكانت عيناه تتكئان بنظراتهما إلى نقطة التحام نهديها وقد رقد بينهما المصحف

الذهبي الصغير متدليا من عنقها . . ولم يكن عسيرا عليه أن يفطن إلى أنها لا تحيط صدرها بمُنهده للكتزين الغاليين ، فقد كانا طليقين . . يتلاطمان تحت الثوب . . بلا قيد ولا ضغط . . وكفه التي كانت تلامس ظهرها لم تحس وجود رباط أو نتوء محبس يلتقي عنده طرفا المنهدة لو كانت هناك منهدة . . وأيقن أن الله عندما أبدعها كال لها الفتنة والجمال بغير حساب . . كان صدرها من أبلغ آياته . . ثمرتان تتحديان إجهاد الليالي بين شفتي زوج عاشق كأحمد . . يعتصر منهما الشهد والصحة والعافية والشباب . . فتزدادان شهدا وصحة وعافية وشبابا . .

وفاجأت عينيه المشتعلتين تكويبان هذا الصدر . . فلم يرتبك . . ولم يهرب بنظراتهما إلى جهة أخرى . . بل ظل ينظر إلى الثمرتين الضاحكتين وهو يقول – كأنه اكتشف أمريكا ثالثة :

– هذا مصحف جميل . . هل هي مجرد علبة ؟ أم أن الكتاب بداخلها فعلا ؟

فابتسمت عفاف وهي تقول ،

–كيف تكون علبة وحسب . . إن الكتاب بداخلها . . طبعا . .

– إنها من أجمل ما رأيت بين نظيراتها .

– إنها ذوق أحمد . . أهدانيها في عيد ميلادي قبل الماضي .

والتقت أعينهما . . وأحس أن الحديث خيط طرفه في يده . . فأسرع يلفه حول إصبعه حتى لا يفلت منه فقال :

– بهذه المناسبة . . لن يتيسر لي اختيار هدية عيد ميلادك لأنني – كما قلت لك ولأحمد – سأبرح القاهرة عند الفجر . . فأي شيء تحبين أن أحضره لك معي عند عودتي من الخارج .

وأرخت عفاف عينيها وهي تقول في خجل :

– شكرا . . لا شيء . .

وأسرع مراد وكأنه ينكر قولها

– لا شيء ! ! ! مستحيل .

–المهم أن تعود سالما .

– من هذه الناحية اطمئنى . . فعمر الشقى باق .

وضحكت عفاف وهى تقول :

– أنت شقى ؟

– أعنى أننى بسبعة أرواح . . كالقطط . . أتحبين القطط ؟

وضحكت عفاف ثانية وهى تقول :

– القطط ؟ ؟ لم أجرب أن أحبها .

– أنا أحبها جدا . . وعندى قطة تستقبلنى كما لو كانت إنسانا تربطه بى أقوى الصلات .

– ماذا تحب فيها .

– أحب فيها الكثير . . استقبالها لى . . قفزها على ركبتى . . رقادها فى حجرى وهى مستكينة هادئة . . شعرها الناعم الجميل . . نظافتها البالغة كأنها فتاة جميلة تعرف أنها جميلة فتعنى بزينتها . . عينيها الخضراوين الجميلتين . . وأنا ضعيف أمام العيون الخضر .

ونكست عفاف عينيها . . ثم رفعتهما ثانية . . فأتم حديثه وكأنه فطن إلى شيء كان غافلا عنه .

– يا إلهى . . إن عينيك خضراوان . . لم ألحظ هذا إلا الآن . . هل يناديك أحمد ببسبس ؟ ؟

وكان كاذباً . . وكان ممثلا . . لأنه كان يسبح فى عينيها كلما التقتا بعينيه وللوهلة الأولى أسرته خضرتهما الصافية ولكن عفاف لم تدرك كذبه ولم تفضح تمثيله وصدقت أنه لم يلحظ خضرة عينيها إلا الآن .

وعاد إلى حديثه الأول .

– هيا . . أرجوك أن تقولى لى . . ماذا تحبين أن أحضر لك معى من الخارج ؟

وعاد الخجل يبهظها وهى تقول :

– لا شىء والله !

ونظر إلى شفتيها . . إلى شفتيها بالذات وسألها .

– أحمر شفتيك هذا ، لا يباع فى القاهرة .

– هذا صحيح . . من أين عرفت ؟

– هذا اللون البرتقالى لا يباع إلا فى باريس . . أنا أعرف كل ما يباع هناك ولا يباع هنا .

– شقيقتى أحضرته لى معها . . إنها تعرف عنى شغفى ببعض الأشياء الغريبة . . فلما كانت فى فرنسا مع زوجها . . أحضرت لى بعض أشياء . . من ضمنها علبة كاملة من هذا اللون بها أربعة وعشرون إصبعا .

– من لون واحد ؟

– من لون واحد .

– إنك الوحيدة فى القاهرة التى تستعمل هذا اللون

– إنه غير مألوف .

– ولكنه جميل .

– للشقراوات .

– أنت سمراء . . وهو عليك أجمل بكثير منه على أية شقراء .
– الجميع يقولون إنه للشقراوات فقط .
– إنك أكثر الجميع فهماً للألوان وما يتمشى منها مع الآخر .
– وكيف ؟
–كيف ؟ هذا سؤال تسرنى الإجابة عليه حتى لا تظنى أننى أجاملك لمجرد المجاملة . . إذا كنت ترتدين ثوبا بنى اللون . بنى أو ما يتفرع من البنى . . الهافان مثلاً ؟ أو ماهو أكثر إشراقاً منه . . أعنى ثوباً قريب اللون من بشرة السمراوات .
– عندى ثوب بهذا اللون تقريبا .
عظيم جدا . . أى الوشاحين أو القفازين أو الحزامين أليق بهذا الثوب ؟ الأحمر أم البرتقالى ؟
– البرتقالى طبعاً .
– هو إذن أليق بالسمراوات من الأحمر .
– هذا صحيح .
لم أعقد مثل هذه المقارنة قبل أن أستعمله . .
– أعرفت أنك أكثر الجميع فهما للألوان وما يتمشى منها مع الآخر .
– الجميع – أعنى صديقاتى – رفضن استعماله . . جربته ثم أسرعن بإزالته عن شفاههن فى الحال . . حتى شقيقتى التى أحضرته لى . . لم تمس شفتيها به . . ولكنه أعجبنى . ومن يومها لم أغيره ولم أستعمل غيره . وهو فوق هذا كله يعجب أحمد كثيراً .
– أحمد مشهود لذوقه بالامتياز دائماً .

- لم يبق من الأربعة والعشرين إصبعا غير ستة .

وابتسم مراد وهو يضمها إلى صدره قليلا ليجنبها اصطدام أحد الراقصين بظهرها ثم قال :

- ها قد عرفت شيئاً أستطيع أن أحضره لك معى من الخارج .

وارتجفت أهدابها . . وتلاقت . . وافترقت . . وأحست بالخجل يهبطها وهى تقول .

- أبدا . . إننى لا أعنى هذا .

وابتسم مراد وقال .

- أعرف أنك لا تعنين هذا . . ولكنى سعيد إذ أتيح لى أن أعرف بعض ما قد تكونين بحاجة إليه .

-كنت سأوصى أختى بهذا عندما تسافر مرة أخرى مع زوجها .

- وأنا . . ألست أخاك الكبير.

وخفضت عفاف عينيها وهى تقول فى صوت خافت .

- طبعا .

- لماذا إذن تتحرجين من ذكر كل ما تريدين . إنك طبعا لا تعرفين متى تسافر شقيقتك مع زوجها إلى الخارج . . وهزت عفاف رأسها نفيا وهى تبتسم .

وقال هو . .

لماذا ننتظر إذن بينما سيسافر واحد منا بعد ساعات .

وتعمد أن يضغط على قوله « واحد منا » .

كان يريد أن يسكب فى نفسها الإحساس بالاطمئنان إليه . . بأنه قريب منها ومن زوجها . . بأنه « واحد منهم » بأنه أخ لها ولأحمد . . وسألها فجأة .

– ألك إخوة .

– ليس لى غير أختى أمينة .

– إذن أرجو أن تعتبرينى «آبيه» مراد .

وابتسمت مرة أخرى وقالت .

– شكرا . . لقد أعطانى أحمد فكرة عن مدى صداقتكما .

وأسرع مؤكداً .

– أنا وأحمد أخوان . . أخوان برغم أن ظروف كل منا وطبيعة حياته تباعد بينه وبين الآخر فلا نلتقى إلا نادراً .

لقد أخبرنى بهذا الآن .

ولم يكن يريد أن تنتهى الرقصة أبدا حتى لا ينتهى هذا الحلم الجميل . . ولكن ! الموسيقى توقفت فجأة . . فسحبت كفها عن كتفه . . ولم يشأ أن يمعن فى التشبث بمراقصتها أطول مما راقصها . فأفسح لها طريق العودة إلى المائدة حيث يجلس أحمد . . زوجها . .

وفى خلال الخطوات القليلة بين الحلقة والمائدة . . ساءلت نفسها . . هل تخبر أحمد بأن مرادا سألها ماذا تريد أن يحضر لها معه من الخارج . . وأحست بالحيرة تستبد بها . . ولكنها لم تكد تصل إلى حيث يجلس زوجها ، حتى أعفاها مراد من حيرتها – سحب لها مقعدها وهو يقول لأحمد :

– حاولت أن أعرف من عفاف هانم ماذا أستطيع أحضر لها معى عند عودتى من أوروبا . . ولكنها بخلت على بهذا الشرف .

وابتسم أحمد وأجاب قائلاً .

– إنك قمت الليلة بما فيه الكفاية يا مراد . . هذه ليلة لا تنسى .

وكانت عفاف قد جلست بعد أن دفع مراد مقعدها خلفها وجلس إلى جانبها وهو يقول .

– هذا لا يننى أن هديتى لها بمناسبة عيد ميلادها مازالت فى ذمتى . . أما أنت يا أحمد . .

ورفع يده إلى رباط عنقه ونزع حلية ذهبية على شكل ثور من ثيران حلقات المصارعة الإسبانية وقد رشقت السهام فى ظهره قريبة من رقبته وقدمه لأحمد وهو يقول :

– هذه الحلية أهدانيها أحد مصارعى الثيران فى إسبانيا ، كنت أقمت له ولزملائه ولزوجاتهم وصديقاتهم حفلة فى ملهى الهمبرا بعد استعراض رائع مع ثور ذاعت وحشيته وشراسته فقدمها لى . . فأرجوك أن تقبلها منى يا أحمد !

وحاول أحمد أن يعتذر . . ولكن مرادا لم يدع له الفرصة . . وأسرع يرشق الثور الذهبى فى رباط عنقه وهو يقول فى ابتسامة عذبة :

– مبروك .

وبادل أحمد عفافا نظرة . . وبادلها مراد ابتسامة وهويقول لأحمد .

– ماذا تريد أن أحضر لك معى من الخارج ؟

– لا شيء يامراد . . لا شيء بالمرة . . المهم أن تعود لنا سالماً وأن تكتب لنا من كل بلد تنتقل إليه

– لك على هذا .. ستصلك رسالة من كل بلد أزوره . . ولكنى أرجو أن أعرف أى شئ تحب أن أحضره لك معى ؟

وأكد له أحمد أنه فى غير حاجة لأى شيء وتمنى له سفرا سعيداً وعودة موفقة ، ثم لمس بإصبعه الحلية الذهبية تزين رباط عنقه وهو يقول :

– فى هذه الحلية الجميلة كل الكفاية . . ألا يكفى أنها – أصلا – هدية لك . . ومع ذلك لم تجد بأسا فى أن تتنازل لى عنها .

ورفع مراد كأسه إلى شفتيه وشرب القدر القليل الذى كان متبقيا فيها من الشمبانيا وقال :

– إنك وعفاف هانم سواء . . لا حيلة لى معكما . . هى الأخرى . حاولت أن أعرف منها ما قد تكون بحاجة إليه فلم أصل إلى شىء . . عرضا عرفت منها أن أحمر الشفاه الذى تستعمله قارب أن ينفذ . . ولا شىء غير هذا . . ولولا الصدفة فى حديث عابر لما عرفته . . أمرى لله فى الأخ أحمد والأخت عفاف .

قالها وهو يبتسم . . وهو يحاول أن يضفى على لهجته ونبرة صوته مسحة من الألفة . . ألفة الأخ بين أخوين حبيبين .

وقطع على الثلاثة حديثهم صوت إحدى المدعوات – ضيوف مراد – قادمة من حلقة الرقص وخلفها زميلها وهى تقول :

– الساعة قاربت الثالثة يامراد . . هل ألغيت سفرك ؟

وألقى مراد إلى الساعة فى معصمه نظرة وقال :

– هكذا سريعاً ! ! يجب أن أكون فى مكتب شركة الطيران فى تمام الثالثة . . وكمن طرأت له فكرة . . فكرة تتناهى بساطة وسهولة .

– اسمع يا أحمد . . ما رأيك ؟ أؤجل سفرى ثمانية وأربعين ساعة ، تقدم فى خلالها طلب قيامك بإجازتك السنوية . . واترك لى مهمة استخراج جوازى سفر لك ولعفاف هانم وتأشيرة الخروج من مصر . . ويسافر ثلاثتنا لنقضى أجمل وأمتع رحلة فى العمر كله .

وتبادل أحمد وعفاف نظرة . . ونظرة ثانية . . ثم ثالثة . . وابتسما . . فسألها

مراد وكأنه ينكر عليهما دهشتهما .

– ما لكما تتبادلان النظرات هكذا ؟ ؟ إننى أعنى ما أقول .

كان يقترح الرحلة إلى أوربا بنفس البساطة التى قد يقترح بها السفر إلى الإسكندرية لقضاء عطلة نهاية الأسبوع أو جولة بالسيارة إلى فندق مينا هاوس قبل عودتهم إلى المنزل بعد انتهاء سهرة الأوبرج . . وراح يتم حديثه . .

– والله . . ليس هناك أجمل من هذا . . اسمع يا أحمد . . قربى منا يا عفاف هانم . . أنت يا أحمد تطلب إجازتك . . وهى على قدر علمى لا تقل عن شهرين .

– إنها فعلا شهران .

– ولا تحمل هم أى شىء . . ألديك جواز سفر ؟

وابتسم أحمد فهو يعلم أنه كلام سيذوب فى الفضاء . . برغم إحساسه عن يقين بأن مراداً يعنى ما يقول . . ولكن هذا مستحيل . . مستحيل طبعاً .

وابتسمت عفاف . . ولمعت عيناها . . وانتقلت كل حواسها إلى أذنيها تستمع إلى مراد وهو يقول :

– ليس لديك جواز سفر . . ولا عفاف أيضاً لديها . .

لا بأس . . أنتما ضيفى من هذه اللحظة إلى أن نعود . . وسأختصر رحلتى وأجعلها شهرين بدلا من ثلاثة لكى نعود معا عند انتهاء إجازتك . . لا تحملا أى هم . . ما رأيكما ؟

ونظر إلى عفاف وهو يسألها مشجعا .

– ما رأيك ياعفاف هانم سأريك باريس وروما وبرلين ومدريد وجنيف وفى عودتنا نشاهد مؤتمر فينيس للسينما فنلتقى بنجوم الشاشة ومخرجيها وغيرهم وغيرهم من

الشخصيات العالمية . . إن الأيام التي يقضيها الإنسان فى مؤتمرات السينما لا يمكن أن يحسبها من عمره .

واتسعت الابتسامة على وجه عفاف . . واهتز كتفاها كما لو أن قشعريرة عابرة سرت فى أعضائها . . وأحس مراد أنها كانت تتابع حديثه بخيالها . . فاهتزت نشوة وطربا إذ تصورت نفسها فى هذه الرحلة الخرافية . . فعاد يكرر سؤاله :

– هيه يا أحمد . . ما رأيك .

وهز أحمد رأسه مبتسماً وهو يقول :

– ليت هذا ممكنا يامراد .

وسأله فى إنكار لهذا التمنى .

– وما الذى يجعله غير ممكن يا أخى .

– أشياء كثيرة يامراد .

– أولاً أريد أن أقول لك شيئاً . . المسألة المالية لا شأن لك بها مطلقاً . . جوازات السفر ستستخرج غدا . . تذاكر الطائرات ستحجز فوراً . . ثم الإقامة هناك لن تكلفك قرشا واحداً ، هذه الرحلة هديتى التى فاتنى تقديمها لكما بمناسبة زواجكما . . أعندك أسباب أخرى .

وربت أحمد فخذ مراد وهو يقول فى شكر عميق :

– شكرا يامراد .

– إنى أتكلم جادا يا أحمد .

– أعرف هذا يا مراد . . أعرف أنك جاد تماماً . . ولهذا أشكرك من أعماق قلبى وأشكر لك هذا الشعور الأخوى النبيل . . ولست أشك فى أن عفاف تشاركنى هذا الإحساس بالشكر العميق لك .

ونظر إلى زوجته وهو يقول :

- إن صداقتنا : مراد وأنا ياعفاف صداقة العمر .

ورفعت عفاف عينيها إلى مراد ، ثم أرختهما ثانية وهى تقول فى صوت عميق :

- فى الحقيقة إنى عاجزة عن تصوير شكرى . . هى رحلة العمر بلا شك . . ولكن . . وصمتت . .

وأحس مراد أنها تتمناها فى قرارة نفسها . . وأحس إلى جانب هذا أن موافقة أحمد شبه مستحيلة فلم يشأ أن يلح . . فقال :

- على أية حال . . يبدو لى أننى فاجأتكما - فلندعها لمرة أخرى . . وتكون قد عقدت النية على السفر فعلاً يا أحمد .

وابتسم أحمد وهو يقول :

- إن شاء الله يامراد . . أعدك بأن نكون معك فى مرة قادمة . . وثق أننا لن نسافر بغيرك فنحن وحدنا هناك سنغرق فى شبر ماء . . أما معك . .

وقاطعته عفاف سائلة .

- أظن الأستاذ مراد يعرف كل هذه العواصم كما يعرف شوارع القاهرة فابتسم مراد . . وتولى زوجها الإجابة نيابة عنه .

- وأكثر ياعفاف .

ونظر إلى مراد وهو يقول :

- فى أقرب فرصة يا مراد . . سأعد جوازى سفر . . لى ولعفاف . . لنسافر معك . . ربما فى أول رحلة بعد هذه . . سنرافقك الليلة إلى المطار لتوديعك . .و . .

وقاطعه مراد قائلاً :

- لا لزوم لقدومكما للمطار . . سأصحبكما فى سيارتى إلى مكتب شركة الطيران

أمام المتحف المصرى (الأنتكخانة) ثم أودعكما هناك وسيحملكما السائق بعد ذلك إلى منزلكما . . عفاف هانم فى حاجة للراحة بعد هذا السهر الطويل . . وليس هناك ما يدعو لإرهاقها أكثر من ذلك . . أما ضيوفى هؤلاء . . فسيرافقوننى إلى أن ترتفع الطائرة أمام أعينهم فهذه عادتهم .

وألقى إلى الساعة حول معصمه نظرة أخرى ثم قال :

– أظن أنه قد حان الوقت .

وتلفت حوله إلى أن وقعت عيناه على رئيس الخدم فأشار له إشارة خاصة فأسرع هذا إليه مقدما ورقة أنيقة على صفحة من الفضة . . التقطها مراد وألقى عليها نظرة خاطفة ، ثم أخرج من جيبه مائة وخمسين جنيها – وضعها تحت قائمة النفقات فى هدوء .

والتقط الرجل الأوراق المالية فى انحناءة مهذبة . . ثم ابتعد . . وعاد بعد دقائق فوضع نفس الصفحة الفضية أمام مراد . . وكان عليها عشرون جنيها – ورقتين – وبضع ورقات فئة العشرة قروش . . ولمس مراد الصفحة بطرف إصبعه مشيراً للرجل إشارة خاصة . . فانحنى هذا فى شكر عميق وسحب الصفحة بما عليها وهو يردد بالفرنسية كلمة شكر .

كانت نفقات السهرة مائة وثلاثين جنيها تقريباً . . أكثر من ثلاثة أمثال مرتب زوجها عن شهر كامل . . وكانت منحة الخدم ورئيسهم توازى نصف هذا المرتب .

وبارح الجميع الملهى الكبير . . وفى ساحته الخارجية حيث كانت السيارات فى انتظارهم تفرقوا جماعات صغيرة كل منها فى سيارة . . وأشار مراد إلى سيارة سوداء كبيرة وقال لعفاف وأحمد .

– تفضلا .

وأسرع السائق يفتح بابها . . وأشار مراد بيده لعفاف .

– تفضلى ياعفاف هانم .

وابتسمت عفاف . . وقفزت إلى داخلها . . ومس مراد ظهر أحمد بكفه فى مودة ظاهرة وهو يقول :

– تفضل يا أحمد .

وحاول أحمد أن يجعل مراد يتقدمه . . ولكن هذا دفعه بكفة بلطف وهو يقول :

– يارجل . . أنت ضيفنا . . تفضل بجانب عفاف هانم .

وقفز أحمد إلى داخل السيارة وتبعه مراد . . وأغلق السائق الباب خلف ثلاثتهم ثم قفز إلى مكانه خلف عجلة القيادة . . وانطلقت السيارة خارجة من ساحة الأوبرج الخارجية إلى شارع الأهرام .

– لا داعى للسرعة يا سيد . . فأمامنا بعض الوقت . .

قالها مراد لسائق سيارته الذى انطلق عابرا منطقة الجيزة إلى الروضة بسرعة ملحوظة ولم تمض ثوان حتى خفف السائق السرعة . . واستأنف مراد حديثه معه قائلاً :

– يا سيد . . بعد قيامى من مقر مكاتب الشركة إلى المطار . . توصل أحمد بك والهانم إلى منزلها .

وأجاب السائق فى صوت مهذب ودون أن يحرك رأسه .

– حاضر يافندم .

– والسيارة فى أثناء غيابى تحت تصرفها . . فى أية لحظة من ليل أو نهار يستدعيانك بالتليفون تضع نفسك فى خدمتها . . وخذ . . قبل أن أنسى . . هذا

دفتر استجرار البنزين . . ابقه معك . .

وأخرج من جيبه دفتراً صغيراً من تلك التى توزعها شركات البترول على عملائها الدائمين لتموين سيارتهم بالوقود من محطات الخدمة ، ثم يسددون ثمن ما استهلكوا دفعة واحدة فى نهاية كل فترة يتفق عليها . . وأسقط الدفتر إلى جانب السائق . . فالتقطه هذا ووضعه فى جيبه وهو يقول فى نفس الصوت المهذب ودون أن يحرك رأسه :

– حاضر يافندم .

والتفت مراد إلى أحمد وعفاف وهو يقول :

– السيارة والسائق تحت أمركما فى أية لحظة . . ما على أحدكما إلا أن يدير قرص التليفون برقم مسكنى فيرد شعبان فى الحال لأنه لن يترك المسكن فى أثناء غيابى ، وتأمرانه أن يبعث لكما بها فيصلكما سيد فى الحال . . حتى لو كنتما فى الإسكندرية .

وبسط أحمد كفيه كمن يستكثر هذا وهو يقول :

– لا داعى لكل هذا يا مراد .

– الدنيا صيف يا أحمد . . وبديهى أنكما تغادران البيت يومياً فى المساء . . وما دامت السيارة موجودة . . فلم لا تستعملانها ؟

وبادل أحمد عفاف نظرة . . وابتسمت عفاف . . ولم تفتح فمها بكلمة . . وحاول أحمد أن يقول شيئاً . . ولكن مرادا كان أسبق منه إذ قال :

– يا أخى . . لا تعط كل شىء مثل هذه الأهمية . . أم تريد لسيد أن ينسى قيادة السيارة فى خلال الأشهر الثلاثة التى سأتغيبها ؟ ثم لماذا لا تصحب عفاف هانم إلى الإسكندرية لقضاء بعض إجازتك هناك ؟ ومادامت السيارة موجودة وسيد موجوداً . . فلم لا تسافران بها ليسهل عليكما التنقل من مكان إلى مكان ؟ أنا

لا أستطيع تصور إنسان يقضى إجازة فى الإسكندرية بلا سيارة .

وانحنى بجذعه إلى الأمام ووجهه إلى ناحية عفاف وسألها :

ألیس کذلك یا عفاف هانم .

وكانت عفاف تعبث بسبابتها وإبهامها بالعلبة الذهبية الصغيرة الراقدة بين نهديها والمصحف بداخلها . . وفاجأها مراد بسؤاله . . فتوقف إصبعاها عن الحركة . . وابتسمت وهى تقول فى خفر :

– معقول .

ولم يعلق أحمد . . وكانت السيارة قد جاوزت شارع المنيل ثم انحرفت منطلقة فى طريق الكورنيش والنيل إلى يسارها . . ومرت لحظة صمت قصيرة . . التفت مراد بعدها إلى النافورة المضيئة وسط النيل وهو يقول :

– ملهى الفونتانا مازالت أضواؤه تتلألأ .

والتهمت السيارة جزءاً من الطريق . . وقاربت فندق شبرد . . ووضع مراد يده فى جيبه وأخرج مجموعة من الأوراق المالية . . ثم التفت إلى أحمد وهو يقول :

– يا أحمد . . كما تعلم . . غير مسموح لأى مسافر خارج القطر أن يركب الطائرة وهو يحمل نقداً مصرياً . . وهذه مائة جنيه تبقت معى الليلة . . ولن يتيسر لى الخروج بها من القاهرة . . فأرجوك أن تحفظها معك . . لحين عودتى .

وحاول أحمد أن يعتذر . . وطلب من مراد أن يعفيه من هذه المسئولية ولكن مراد صاح به .

– أية مسئولية يارجل ؟ أتسمى استيداعك مائة جنيه مسئولية ؟

– وأية مسئولية ؟

– يارجل . لاتقل هذا .

– اعمل معروف يامراد . . أعفنى . . إن حمل الأمانة شيء تنوء به الجبال !
وسأله مراد وكأن الحيرة بلغت به منتهاها .
– وماذا تريد منى أن أفعل إذن ؟ هل ألقى بها إلى الطريق ؟
فأجابه أحمد على الفور .
– ولم لا تستودعها أحد أصدقائك الآخرين .
– وما الفرق بينك وبين أى واحد منهم ؟
وضحك أحمد وهو يقول فى صوت تتقاطعه الضحكات .
– يارجل ارجع عنى . . أنا رجل على قدى . وقد تحيق بى أزمة أو أقع فى مأزق فأضطر للتصرف فيها .
واستدار مراد ليواجه أحمد أكثر مما كان وهو يقول فى صدق وإخلاص .
– ياسلام . . وأى شيء فى هذا يا أحمد ؟ ولأى شيء جعل المال إذن ؟ ومد يده بالأوراق المالية . . فوضع أحمد يده فوق يد مراد وهو يقول :
– أرجوك يامراد . . . اعفنى من هذه المهمة ولكن مراد أقسم على ألا يستودعها أحد غير أحمد . . ثم أضاف .
– إن إشفاقك من أن تحيق بك أزمة تضطرك للتصرف فيها هو الذى دفعنى لهذا القسم . وأنا مصمم على أن تبقيها معك .
وكمن طرأت له فكرة غائبة عنه .
– أو . . أقول لك . . سأعفيك من هذه المهمة كما تريد . . عفاف هانم ستحفظها عندها !
وقبل أن تتنبه عفاف . . التقط حقيبة يدها من فوق حجرها . . وفتحها وأسقط الأوراق المالية بداخلها . . وشهقت هى شهقة خفيفة وهى تهتف بصوت خفيض .

– أستاذ مراد . . وما ذنبي أنا . .

– اسمع يا أحمد . . اسمعي يا عفاف هانم . . هذه المائة جنيه محكوم عليها بالضياع .

وهتف الاثنان – أحمد وعفاف – معا .

– وكيف .

فأجابهما بكل بساطة .

– المفروض أن أعطيها لأى مخلوق من ضيوف الذين رأيتماهم معى الليلة . . ومعنى هذا أنها لن تصبح لى . . فالتصرف فيها أمر مفروغ منه . . ومادام هذا هو الوضع فضياع بضياع . . أنتما أولى من هؤلاء الغجر الذين سينفقونها غداً فى مثل سهرة الليلة . . غدا بالتحديد . . وأراهن أنها لن تستقر فى جيب من سأستودعه إياها أكثر من أربع وعشرين ساعة . . رجلا كان أم سيدة .

وتبادل أحمد وعفاف نظرة . .

ولو ترجمت ملامح عفاف فى هذه اللحظة إلى كلمات لكانت سؤالا لأحمد .

– ماذا ترى ؟

ولم يجد أحمد بأسا فى أن يحفظ لصديقه الأمانة إلى أن يعود . . فقال لزوجته .

– لا بأس ياعفاف . . إحفظيها لديك فى مكان أمين من غرفة نومنا لحين عودة مراد بالسلامة .

وأغلقت عفاف حقيبة يدها وأصلحت من وضعها فوق ركبتيها كما كانت . . ومضت دقائق . . عبرت السيارة فى خلالها منطقة فندق شبرد وسميراميس ثم انحرفت يمينا متجهة إلى ميدان التحرير فدارت حوله ثم استقامت متجهة فى شارع مريت باشا . . ولم تلبث أن وقفت أمام مكتب شركة الطيران . . تجاه المتحف تماماً .

وهبط الثلاثة . . وكانت سيارات الأصدقاء قد سبقتهم بقليل . . واتجه الجميع إلى مكتب الشركة يحفون بمراد الذى أنجز بعض الإجراءات المتعلقة بسفره . .

وكان كثيرون هناك . . كل يحاول أن يتم شئون سفره . . من مراجعة التذاكر ووزن متاعه وتحقق موظف الشركة من تمام الإجراءات الخاصة بتأشيرة الخروج لكل مسافر .

ونظر مراد إلى أحمد وهو يقول :

– كم تكون هذه الرحلة ممتعة لو كنا ثلاثتنا معا .

ثم إلى عفاف .

– تصورى يا عفاف هانم . . تصورى أنك وأحمد وأنا . تحملنا السيارة الآن إلى المطار وبعد ساعة تكونين فى الجو . . فى طائرة ترسل فى هذا الظلام من جناحيها وذيلها أضواءها الحمراء والخضراء .

ثم ابتسم وهو يميل برأسه جانبا ويقول :

– ألم تغيرى رأيك ؟

وابتسمت عفاف وقالت :

– والله . . إنها رحلة ممتعة ولا شك – ولكن .

وأتم أحمد حديث زوجته فقال :

– لابد أن نسافر يوما يا مراد .

– معى إن شاء الله .

– معك طبعا فلن نسافر وحدنا . . ومناسبات سفر عديلى كمال ، وأمينة هانم شقيقة عفاف ، لا تتفق والموعد الذى قد أستطيع السفر فيه ، فسفرنا – إذا سافرنا – لن يكون إلا معك .

ووصل إلى أسماعهم صوت أحد أصدقاء مراد يتعجله فإن الوقت يمضى ويكاد يسرقه . . فنظر مراد إلى أحمد وعفاف وقال :

– أراكما بخير .

وعانق أحمد وقبله . . وبادله أحمد العناق والقبل . . ومد يده مصافحا عفاف فدت له يدها فالتقطها وانحنى عليها وقبلها فى حركة سريعة مهذبة وهو يقول :

– أرى وجهك بخير يا عفاف هانم .

وصعد إلى سيارة من مجموعة السيارات التى كانت تحمل أصدقاءه الذين سيرافقونه إلى المطار . . وراح ينظر إلى أحمد وعفاف وهو يبتسم . . وما كادت السيارة تتحرك حتى رفع يده ملوحاً لها . . ورفع الاثنان كفيهما ومسحا بهما الفضاء ملوحين وداعا ولم تدر عفاف أن الابتسامة التى كانت ترتسم على وجهها فى هذه اللحظة كانت تزلزل من كيان مراد . . فراح يملأ منها عينيه حتى يحتفظ بها فى ذاكرته إلى أن يعود من رحلته .

وابتعدت السيارة بمراد ومن معه من المسافرين . .

وأحاط أحمد خصر زوجته بذراعه وهو يقول :

– هيا بنا ياعفاف .

وكانت سيارة مراد فى مكانها بجانب مكتب الشركة ، والسائق سيد يقف بجانبها فى انتظار أحمد وعفاف ليحملها إلى منزلها . . وما إن رآهما يقتربان حتى أسرع بفتح الباب المواجه لها . . وظل ممسكا به فى احترام ظاهر حتى ركبت عفاف وتبعها أحمد . . ثم أغلق الباب خلفها . . وجلس فى مكانه خلف عجلة القيادة . . وسمع أحمد يقول له :

– شبرا يا أسطى سيد .

وانطلقت السيارة فى الشوارع الخالية من المارة والمركبات . .

كانت الساعة قد جاوزت منتصف الرابعة ببضع دقائق . . والقاهرة الواسعة يشملها سكون جميل . . والأنوار تتلألأ على جانبى الطرقات والإعلانات المضيئة الملونة فوق قمم المبانى العالية ساهرة تستلفت الأنظار بحركاتها الرتيبة المألوفة . . وكان أحمد يجلس فى أحد ركنى السيارة يرشد سائقها إلى الطريق الموصل للمنزل . . بينما أرخت عفاف جسمها فى الركن الآخر . . وانزلقت فوق مقعد السيارة العريض ، وألقت برأسها إلى مسند الظهر بعد أن جعلت ضفيرتها الواحدة الغليظة فوق صدرها عبر كتفها اليسرى العارية . . وأسلبت جفنيها الساحرين على عينين لم تكن تدرى أنها كانت تشلك بهما قلب مراد كلما التقت بهما عيناه طوال السهرة التى كتب لها أن تكون نقطة تحول فى حياتها .

وكانت السيارة كبيرة . . واسعة . . مريحة . . أتاحت لها أن تمد ساقيها . . وكانت تنساب فوق أرض شارع شبرا فى هدوء . . فلا اهتزاز ولا ارتجاج ولا صوت ولا ضجة . . لا شىء من كل هذا مطلقاً . .

وانطلق خيالها إلى مثل هذه الأيام من العام الماضى حيث سافرت شقيقتها أمينة مع زوجها كمال إلى أوربا . فصحبتها مع أحمد فى هذه الساعة إلى المطار لتوديعها . . وهناك . . راحت ترقب أختها تبتعد وزوجها إلى جانبها وسط رهط من المسافرين إلى أن اقتربوا جميعاً من الطائرة الضخمة الرابضة . . فأخذوا يختفون بداخلها الواحد إثر الآخر إلى أن ابتلعتهم جميعاً . . وأغلق خلفهم الباب المقوس الكبير ثم سحب السلم المتحرك الذى استعملوه فى الصعود إليها وابتعد به أحد موظفى المطار . . ولم تمض دقائق حتى دوت المحركات الهائلة فى هذا الفضاء الواسع العريض فأراقت فوق صفحة الليل والسكون هزيم رعد تطير له القلوب طربا .

وتمنت ساعتئذ لوكانت هي الأخرى ضمن المسافرين .. وتمنت لوكانت تستمع إلى هذا الدوى الهائل وهى داخل الطائرة التى لن تلبث أن ترفع بها بعد لحظات وليس خارجها فوق أرض المطار بين فريق المودعين . . وأن تكون جلستها إلى جانب إحدى نوافذ الطائرة ترقب أرض المطار الهاربة إلى الجهة المضادة لسير الطائرة وبنفس سرعتها . . وتذكرت الأضواء الحمراء والخضراء المثبتة فى طرفى جناحى الطائرة وذيلها والتى أشار إليها مراد فى حديثه الليلة وهو يحاول إقناعها وزوجها أحمد بالسفر معه .

كان من الممكن إذن أن تقوم بهذه الرحلة التى تشبه الأساطير . . إن مرادا لم يكن يجاملها عندما دعاهما لمرافقته إلى أوربا فى رحلة تستغرق شهرين أو ثلاثة أشهر . . بل كان جادا . . وبنفس البساطة التى يدعو بها صديق صديقه للنزهة فى سيارته فى طريق الهرم أو للعشاء فى أى مكان . . كان يلح هو فى دعوتهما إلى أوربا ويؤكد لها أنهما سيكونان ضيفين عليه منذ لحظة البدء فى استخراج جوازى سفرهما إلى أن يعودوا ثلاثتهم معا . . فانطلق خيالها مرة أخرى إلى أرض المطار . . وتصورت نفسها داخل الطائرة وأحمد إلى جانبها . . وفى المقعد الذى يفصل الممشى بينه وبين أحمد يجلس مراد . . والطائرة تدور فى الأرض الفضاء الواسعة لتستقبل طريقها الذى ستسلكه إلى الجو . . وأضواء المطار . . ومن خلفها أضواء مصر الجديدة . . ومن خلفها أضواء القاهرة تبدو من بعيد صغيرة متلألئة مختلفة الألوان كالترتر اللامع فى ثوب راقصة تتلوى تحت الأضواء .

وكانت شديدة الإحساس بجمال هذا الشعور كما لوكانت سبقت لها تجربته من قبل وعاشت فيه بالفعل . . وابتسمت وهى مغمضة العينين . . ولم تكد تذهب بخيالها إلى أبعد من هذا حتى تنبهت على صوت زوجها يقول للسائق :

– عندك يا سيد . . أمام هذا البيت .

وكانت السيارة قد انحرفت من شارع شبرا إلى شارع جانبى ومنه إلى شارع شنوده . . ووقفت أمام باب المنزل رقم ٣ مكرر . . وهبط السائق بسرعة وأسرع بفتح الباب الذى كانت تجلس عفاف بجانبه . . فمدت هذه ساقها خارج السيارة . . ولم تكد تلمس الأرض بقدمها حتى تبعتها بالأخرى .. وانتصبت واقفة أمام باب المنزل . . وكان أحمد قد هبط من الباب الآخر الذى كان جالسا إلى جانبه . . وأخرج من جيبه نصف جنيه . . هم بأن يدسه فى كف السائق . . ولكن هذا اعتذر من قبول المنحة فى أدب وهدوء . . وألح أحمد . . وحاول أن يسقط له الورقة المالية فى جيبه . . ولكنه لم يمكنه من هذا .

ثم أضاف فى لهجة مؤدبة مهذبة .

– اعفنى يا سيدى . . وشكراً . . فمن المستحيل أن أقبل شيئاً . . فهذا قانون كل من يعمل فى خدمة مراد بك

وأرخى أحمد يده بالورقة المالية ثم قال :

– شكراً يا سيد وأصبحت على خير .

وسأله السائق .

– سيدى يأمر . . فى أية ساعة تحب أن أحضر لكم بالسيارة .

فأجابه أحمد فى لهجة تتناهى بساطة :

– لا لزوم لهذا ياسيد . . وإذا أحسست أننى بحاجة ماسة إليك . . فسأتصل تليفونيا بمنزل مراد بك لأخبر شعبان .

ومرت بضع ثوان أردف بعدها ، وكأنه تذكر شيئاً كان غائباً عنه :

– بهذه المناسبة . . من يكون شعبان هذا يا سيد .

- إنه خادم مراد بك الخاص . . لا يترك المنزل أبدا . . ومهما سافر سيده أو غاب عن القاهرة . . فالمنزل مفتوح . . وكل شيء فيه سائر بنظام لا يتغير .

وكرر أحمد شكره للسائق الذى عاد إلى مكانه من السيارة خلف عجلة القيادة وانطلق خارجا من شارع شنودة بشبرا قاصدا شارع الأمير بدر الدين بالزمالك حيث يقطن مراد . . ليعيد السيارة إلى حظيرتها ثم ليتوجه إلى داره القريبة لينام بعد هذا السهر الطويل .

وأحاط أحمد خصر عفاف بساعده . . وصعدا درجات السلم إلى مسكنهما فى كلال ظاهر . كانت السهرة أطول مما تحتمل عفاف فراحت تتحامل على كتف أحمد الذى كاد يحملها حملا حتى يجنبها مشقة صعود السلم . . فقد كان المبنى بلا مصعد .

واحتوتهما غرفة النوم . . وخلع أحمد ثيابه وارتدى منامة صيفية خفيفة بيضاء . . ونضت عفاف ثوبها عنها وارتدت قميصاً من أقمصة النوم . . ورديا . . شفافا . . يكشف عن تفاصيل جسمها ودقائقه وثناياه وخباياه . . وورقة التوت من تحته من نفس اللون والنسيج . وردية شفافة تحرس الجنة المحرمة إلا على من كتبت له وردا وظلا ودفئا وجنى .

واقترب أحمد منها . . وضمها إلى صدره فى حنان عميق . . وأراح شفتيه فوق شعرها الذى أطلقته استعدادا للنوم فحررته من قيد الضفيرة الواحدة الغليظة فتركته منسابا فوق كتفيها وظهرها . . ثم رشق فى صدر قميصها حلية ذهبية فى رسم اسمها (عفاف) بالحروف اللاتينية . . ثم قبل وجنتيها وعينيها وشفتيها ويديها وشعرها وهو يقول :

- كل سنة وأنت طيبة . . هذا لتضمى به طرفى الوشاح حول عنقك فى

الأمسيات الرطبة وعانقته وقبلته وهو يتم حديثه .

– الرسم من تصميمى . . دفعت به للصائغ فنفذه كما تخيلته تماما .

وعانقته ثانية . . وقبلته ثانية . . فقد كانت سعيدة به . . فهو زوجها . . وهى تحبه . . وهو لا ينسى عيد ميلادها أبدا . . ورفعت الحلية – مثبتة فى صدر قيصها – وتأملتها قليلا وهى تقول :

– لم أر أجمل من هذا أبداً . . كيف هداك تفكيرك إليه ! لكأنك كنت تفكر بعقلى وترى بعينى . . وحملها بين ذراعيه وخبأها فى صدره ، وهو يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها ، وكفه اليمنى تحاول عبثا أن تجمع نهدها الزئبق ، بينما راحت اليسرى تضغط ظهرها فى حمى الرغبة وهوس العاطفة .

وحملها إلى فراشها الموعود . . وفى الطريق إليه أطفأ بإصبعه نور الغرفة الرئيسى وبقى المصباح الأزرق الصغير بجانب الفراش وقد شطر الغرفة بغطائه المتحرك على محور . . إلى نصفين. . مضىء . . وشبه مظلم . .

وكان الفراش فى النصف الثانى .

شبه المظلم .

* * *

وعندما هدأت أنفاسها . . تمدد كل منهما مسترخيا فى ناحية من الفراش الواسع . . ولم تمض دقائق حتى انتظمت أنفاس أحمد . . هادئة رتيبة . .

كان النوم قد غلبه وقد شارفت الساعة على الخامسة من صباح اليوم الجديد ولكن عفاف لم تنم .

وبرغم السهر الطويل الذى لم تألفه . . وكؤوس الشمبانيا التى سرت فى أوصالها فبعثت فيها الخدر الإحساس بالرغبة فى التماس الفراش للرقاد ، وبرغم فنائها فى

اللحظات التى اعتصرها أحمد فى خلالها قبل أن ينزوى فى طرف الفراش مستسلما للنوم وقد منح كل منهما ذوب حبه وأعصابه فخارت قواهما وارتخت عضلات جسميهما . .

برغم كل هذا . . لم تنم .

وذهب خيالها بعيداً . . فعقدت مقارنة فذة غريبة بين حالها وحال أختها الشقيقة الوحيدة التى تكبرها بأعوام . . أمينة . .

الاثنتان ابنتا أب واحد وأم واحدة . .

والاثنتان تعلمتا فى مدرسة واحدة . . وبلغتا حدا متساويا من التعلم . . فلم تزد هى على أمينة ولم تزد أمينة عليها .

فلم يحرم على أحدهما ما أبيح للأخرى ولم يبيح ، لإحداهما ما حرم على الأخرى .

والاثنتان على درجة من الجمال . .

وهنا راق لها أن تقف لحظة فهى تعلم أنها أجمل من أمينة بكثير، الجميع يعرفون هذا ولا يناقشونه فهى مسألة لا تقبل المناقشة .

وهذا لا يعنى أن أمينة غير جميلة . . بل أنها على قدر كبير من الجمال . . ولكن حالها أشبه ما يكون بحال رجلين ثريين . . يملك أحدهما مليونا من الجنيهات . . ويملك الآخر خمسة ملايين . . فهل يعنى هذا أن صاحب الملايين الخمسة غنى وأن صاحب المليون الواحد فقير؟

إن أمينة نفسها تعرف عن يقين أنها دون عفاف جمالا بكثير .

وبرغم كل هذا .

فأمينة تسكن الزمالك . . أرق أحياء القاهرة .

وهى تسكن شبرا . . شارع شنودة بشبرا .

وأمينة يضم بيتها أثاثا فخما ورياشا ثمينا صممه ونفذه كريجر - باريس فجعل من بيتها متحفاً صغيراً .

وهى بالكاد يضم بيتها الأثاث اللازم لأى منزل . . صحيح أنه واف بالغرض وجديد ونظيف ومشرف . . ولكن تنقصه الأبهة وتنقصه سمات العز والطرافة .

وإذا دخل غريب مسكن أمينة . . فلن يملك إلا أن يقول معجباً . . يا سلام ! !

وإذا دخل نفس الغريب مسكن عفاف فلن يبهره شىء . ولن يقول يا سلام ! !

وأمينة لديها ثلاجة كهربية (فريجيدير) ومطبخ نموذجى انسيابى الخطوط مزود بمواقد الغاز وأفرانه . . ولديها سخان يلهب الماء فى الأنابيب فتنساب من الصنابير ومن الدش ساخنة . . وتستطيع بمفتاح صغير أن تتحكم فى درجة حرارتها عند الاستعمال .

أما هى . . فليس لديها إلا ذلك الصندوق الخشبى الصغير المثبت فى أحد جدران الحمام ، تشترى له يومياً راتبا معينا من الثلج . . ومطبخها ليس به غير حوض تثبت على أحد جانبيه رقعة من الرخام لوضع الأطباق وأدوات الطعام عليها بعد غسلها . . وفى أحد الأركان منضدة بسيطة عليها موقدان للغاز طراز (بريموس) ثم خزانة تضم فى داخلها المسلى والملح والسكر والشاى والبن وكل ما لا غنى عنه لأى بيت . . ثم رفين كبيرين رصت فوقها الأوانى المصنوعة من الألومنيوم لإعداد الطعام .

أما سخان الماء فهو مشكلتها الكبرى طوال أيام الشتاء . . فوجوده فى المنزل . .

فى أى منزل . . يجعل من الاستحمام تحت الدش الساخن متعة ولذة . . وهى محرومة من هذه المتعة ومن هذه اللذة لأنها لا تملك سخانا للماء . . وعفاف مصابة بمرض اسمه النظافة . . فهى تستحم مرة كل يوم من أيام الشتاء ودعنا من الصيف . . وهى لا أثقل عليها من عملية تسخين الماء فى آنية كبيرة فوق موقد الغاز لكى تستحم . .

ثم ماذا أيضاً ؟

أمينة فى منزلها المسرة – التليفون . . فتستطيع أن تدير القرص بالرقم الذى تريد لتخاطب من تريد دون أن تنتقل من فراشها .

أما هى . . فلا مفر من أن تهبط عند الضرورة إلى الشارع لتتحدث من متجر الحلوى وأقلام الرصاص والكراسات والدفاتر الملاصق لباب المنزل .

وأمينة لديها سيارة تحملها وزوجها فى تنقلاتها .

أما هى . . فليس لديها إلا مركبات الترام أو سيارات الشركات حيث يتراكم الناس داخلها بعضهم فوق بعض كالسردين فى العلب . . وميزانية زوجها لا تحتمل استعمال سيارات الأجرة الخاصة لتنقلاتها . . فالعداد يسجل فى المسافة بين باب مسكنها وشارع سليمان باشا – قلب القاهرة – عشرين قرشاً .

وأمينة تستخدم فى مسكنها طاهيا واثنين من الخدم . . شاب وفتاة ويقوم الشاب إلى جانب عمله بالخدمة فى غرفة المائدة فى أثناء تناول الطعام مرتديا قفطانا أبيض ناصعا . . وهؤلاء بخلاف سائق السيارة .

أما هى فليس لديها غير سيدة . .

وسيدة هذه شابة فى نحو العشرين من عمرها . . ضبط زوجها فى ليلة زفافها إليه بقطعة من المخدرات ، ولم يكن أمضى بين ذراعيها أكثر من ساعة واحدة نقلها

فى خلالها من دنيا العذارى إلى عالم الزوجات . . فسيق يمضى بقية الليلة - ليلة زفافه - فى سجن محافظة القاهرة ثم قدم للمحاكمة حيث حكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام عن تهمة التعاطى . . فالتحقت سيدة بخدمة أحمد وعفاف . . وكانت تقوم بكل أعمال المنزل من كنس ومسح وغسيل وتنظيف وتلميع ثم بعد هذا كله تساعد سيدتها عفاف فى إعداد الطعام .

وأمينة عندها وعندها وعندها .

وهى . . ليس عندها وليس عندها وليس عندها .

مفارقات لا حصر لها . . وبون شاسع بين حالها وحال أمينة . . والأب واحد والأم واحدة والنشأة واحدة والتربية واحدة . . والظروف كلها . . ظروف كل منهما واحدة .

ومع ذلك . .

وبرغم ذلك كله . .

فأمينة تزوجت مهندساً . . وهى تزوجت موظفا بمصلحة البريد . .

لماذا ؟

ولكنها نسيت أن أحمد - زوجها أحمد - ليس موظفا وحسب . . إنه يحمل إجازة تتيح له أن يثور على أسر الوظيفة ليعمل حرا . . وكما اشتغل زوج أختها كمال بالهندسة . . يستطيع زوجها أن يشتغل بالمحاماة .

نسيت أن زوج أختها لم يطق تحديد إقامته خلف مكتب بإحدى غرف تفتيش مبانى القاهرة ليبلو يوميا غرور رئيسه ووقاحته وصفاقته فقدم استقالته وألقى بنفسه فى ذلك الزحام الرهيب سباق الحياة الضارى إلى النجاح والكسب . . وكان يعلم وقتئذ أن الويل للمتخلف فى هذا السباق فإن أقدام المتسابقين ستطأه فى غير رحمة ودون

أن يلتفت إليه أحد .

لقد بدأ بغرفة . .

غرفة واحدة بسيطة متواضعة بحى عابدين . . وظل يعمل ويعمل ويعمل . . ويرى النجاح قيد خطوة منه . . ولا يكاد يمد يده ليجنى ثمرة عمله حتى يمنى بالفشل . . وكان يسرع ليبصق مرارة فشله من فمه حتى لا تؤخره خطوة . . ثم يبدأ من جديد . . كان يؤمن بأن الخطوة الواحدة إلى الأمام شىء كبير ولم يكن يريد أبدا أن تستأديه هذه الخطوة مجهود خطوتين وعرق خطوتين وزمن خطوتين إذا سمح لكل مرة يفشل فيها أن تؤخره خطوة واحدة إلى الوراء . .

إنها تنظر إلى أمينة وكمال . . يسكنان الزمالك . . فى حياة مترفة ناعمة . . دون أن تدرى كم كلفتهما هذه الحياة . . وأى حرمان قاساه كل منهما من عرق وسهر وكدح متواصل حتى بلغا هذا المستوى الذى تقارنه بمستوى حياتها مع أحمد . .

وأمالت رأسها جانبا . . ونظرت إليه نائما يتنفس فى هدوء وانتظام . . إنه لطيف . . هذا شىء لا خلاف عليه .

لطيف ورقيق ومهذب وطيب القلب ويحبها أكثر من أى شىء فى الوجود . . فماله لا يسير على الدرب ويفعل مثل ما فعل كمال . . زوج أختها . .

إنها لا تحقد على أختها أمينة . . ولا تحسدها . . فهى تحبها من قلبها . . من أعماق قلبها وتدين لها بفضل كبير . . فهى لا تترك مناسبة تمر دون أن تفعل من أجلها شيئاً . . فى كل عيد من أعيادها تسألها ماذا تحب أن تكون هديتها لها . . وما تحدده عفاف تحضره لها أمينة فورا .

منذ وفاة أمها – وكانت هى الباقية لها – جعلت أمينة من نفسها أما ثانية لعفاف برغم أنها لم تكن تكبرها بأكثر من تسعة أعوام . . كانت عفاف فى الرابعة

والعشرين . . وأمينة فى الثالثة والثلاثين . . وأمينة أفاء الله على زوجها كثيراً من نعمته . . وكان هو أيضاً يحب عفاف حب الأخ أختا صغيرة عزيزة غالية . . فكان الاثنان يتسابقان لإرضائها ومحاولة إسعادها دون المساس ولو من أبعد بعيد بشعور أحمد .

إنها تحس بكل هذا .

تحس بعطف أمينة عليها .

وتحس برعاية كمال لها .

وهذا العطف وهذه الرعاية يمتدان عن طريق غير مباشر إلى زوجها أحمد . . وهى تكره هذا الوضع . . .

إنها لا تكره أمينة ولا تكره كمالا . . ولكنها لا تحب أن تكون محل عطف أى مخلوق حتى أمينة وحتى كمال . . إنها تريد أن تعطى لا أن تأخذ . . تريد أن يكون فى استطاعتها إعطاء الغير ومنح الغير والعطف على الغير فإن للعطاء لذة تفوق لذة الأخذ مئة مرة . . ألف مرة .

إنها لا تنسى يوم أن كانت خارجة من جروبى بميدان سليمان باشا . . ورأت إلى جانبها ممثلة معروفة مع زوجها الممثل الكبير خارجين من الباب الآخر . . وتلقف الممثلة وزوجها النجم جمع من بسطاء الناس . . بائع الصحف الصغير المرابط أمام الباب . . وبائع المصاحف الذى تعى ذاكرته أسماء كافة سكان هذه المنطقة وبعض منادى السيارات وسعاة الشركات التى تشغل الأبنية المحيطة بالميدان . . الجميع أحاطوا بالممثلة الجميلة يدعون الله أن يحفظ لها شبابها وجمالها وزوجها الذى أسعدهم وأضحكهم وأبكاهم سنين طويلة . . وفتحت الممثلة حقيبة يدها وراحت – فى رقة الملائكة – تعطى وتعطى وتعطى . . والدعوات والابتهالات تتصاعد من الشفاة

والقلوب أن يحرسها الله وألا يحرمهم منها ومن طيبة قلبها . . وتسابقوا جميعا . . كل يريد أن يسبق زملاءه ليفتح لها باب السيارة وهى متجهة نحوها . . تكاد ترتفع عن الأرض بدون جناحين

إنها تريد أن تكون هكذا .

أن تعطى ولا تأخذ . . أن تعطف على الغير لا أن يعطف الغير عليها . . أن يشعر بها كل مخلوق فى أى مكان تحل فيه وأن تكون معقد رجاء الآخرين .

فيقصدونها عند الحاجة لتقضى لهم حوائجهم .

وتصاعد صوت من أعماق نفسها يقول لها :

– ولكن هذه الممثلة نجم لامع . . وزوجها نجم لامع كذلك . . والطبيعى أن يعرفها الناس وغير الطبيعى أن يمرا هكذا دون أن يلتفت إليهما الناس . .

ولكنها أجابت الصوت الذى تصاعد من أعماق نفسها .

– وشقيقتى أمينة ليست بالنجم اللامع . . لا هى . . ولا زوجها كمال . . ومع ذلك فكثيراً ما يتعرضان لمثل ما تعرضت له هذه الممثلة وزوجها . . وفى أكثر من مكان . . فى جروبى ذات مرة . . وفى سميراميس مرة . . وفى أى مكان آخر يغشيانه . . لقد رأت بعينى رأسها . . أكثر من مرة . . أن أمينة شخصية معروفة مرموقة . . هذه حقيقة لا شك فيها والخلاف عليها أو مجرد مناقشتها لغو باطل .

هى أيضاً تريد أن تكون هذه الشخصية .

ولأول مرة أحست أنها سمكة . . بلطية كبيرة مكانها البحر الواسع العريض العميق ولكن حظها التعس ألقى بها فى وعاء كروى صغير من الزجاج وأنها عبثاً تحاول أن تلطم جدرانه بذيلها لتحطمه . ولم تكن تدرى أن فى هذا الوعاء الصغير الضيق حياتها . . وأنها لو حطمته لتدفقت هذه المياه التى تمنحها الحياة وتبددت

تاركة إياها عارية ترتعش اختناقا إلى أن تفقد الحياة .

وخيل إليها أنها تسمع أزيز طائرة فى الجو . . فذهب خيالها إلى مراد . . صديق زوجها . . رجل يقول زوجها عنه أنه يعيش حياته عرضا لا طولا . . واستعرضت السهرة من أولها فى شبه شريط سينمائى سريع . . دعوته لها . . هى وزوجها . . عنايته بالاحتفال بها . . إجلاسها على رأس المائدة التى تجمع أصدقاء تربطه بهم – دون شك – صداقة قديمة موصولة . فمن حديثه عنهم وتسميته لهم با (الغجر) ما يقطع بأنهم يلتقون به كل ليلة . . كعكة عيد الميلاد وتحية الفرقة الموسيقية لها وتقديم الشمبانيا لأفرادها باسمها ثم مراقصتها وإلحاحه عليها لتخبره إن كانت فى حاجة لأى شىء يستطيع أن يحضره لها معه من الخارج عند عودته ، ثم اقتراحه الفريد بأن يؤجل سفره ليتيسر لها ولزوجها أن يرافقاه فى هذه الرحلة مدعوين من الدقيقة الأولى إلى أن يعودوا ثلاثتهم .

إنه رجل هرقلى فى كل تصرفاته . . إن زوجها يؤكد لها أنه كان يعنى ما يقول . . وإن دعوتها إلى أوروبا على نفقته كانت دعوة صادقة وليست مجرد كلام .

هل هذا صحيح !

هل هو سفه ؟

إنها لا تدرى . . لقد سدد أمامها قائمة النفقات مائة وثلاثين جنيها تقريبا . . ثم ترك العشرين الباقية منحة منه للخدم . . وهو انتزع من رباط عنقه الحلية الذهبية التى أهداه إياها أحد مصارعى الثيران فى إسبانيا . . ورشقها بكل بساطة فى رباط عنق زوجها . . والحلية جميلة وثمينة وتزن قدرا محسوسا من الذهب ولا يفرط فيها إلا كريم .

واستبعدت صفة السفه عندما تذكرت أنه اختار زوجها ليحفظ معه المائة جنيه التى لا يستطيع الخروج بها من مصر لثقته بأن أصدقاءه سيبددونها فوراً لو استودع واحداً منهم إياها .

ولم تكن تدرى أنه خصها بحفظ الأمانة لا حرصا منه عليها . . بل إمعانا فى التقرب منها .

وتذكرت أن المائة جنيه - ترقد فى حقيبة يدها . .

وقالت لنفسها :

- فى الصباح أحفظها فى مكان أمين .

ولم تكن تدرى أن الصباح قد أقبل . . فقد تسللت خيوط النهار الأولى من خلال النافذة . . وكان السهر والإجهاد والتفكير قد بلغ بها حد الإعياء . . فثقل جفناها . . وأحست بخدر لذيذ يسرى فى أعضائها فاستسلمت للنوم . . وخيالها أسير صورة واحدة لا يستطيع منها خلاصا .

الطائرة تحملها إلى أوربا . . والمضيفة الحسناء تقدم لها أشهى إفطار يتناوله الإنسان فى حياته .

هذه هى الحياة .

وهى تريد أن تحيا .

٦

انقضى خمسة عشر يوماً من شهر يونية . . وفى اليوم السادس عشر ، أز الجرس فى منزل عفاف وأحمد .

وكان الاثنان فى غرفة نومهما – والساعة تشير إلى الخامسة بعد الظهر وقد أخذا يناقشان أمر سفرهما للاصطياف فى الإسكندرية .

عفاف تشكو الحر والعرق وتلف الأعصاب وتوترها وشمس القاهرة التى تلقى شواظا من لهب ومسكنهما ذى الوجهتين التعستين . . قبلية وغربية . . لأن الشرقية والبحرية – حيث النسيم الذى قد يلطف أحياناً حدة الحرارة وعنفها – كانتا من نصيب المسكن الآخر المقابل لمسكنهما . . وشارع شنوده يموج بالعربات والمركبات والدراجات وبائعى الخضر والسمك والفاكهة ومشترى القوارير الفارغة والثياب القديمة . . كل هؤلاء وغيرهم وغيرهم يذرعون الشارع منذ ظهور الشمس إلى ما بعد غروبها ذهابا وجيئة يرفعون عقيرتهم لتصل أصواتهم إلى ساكنى الطبقات العليا .

وأحمد يحاول أن يقنعها بأن السفر سيرهقها مالياً . . وكان قد بسط أمامه ورقة في حجم الكف وأمسك بقلم وراح يدون بعض أرقام ويجرى عمليات جمع وطرح وقسمة إلى أن انتهى لاستحالة السفر فى هذا الصيف .

وأحس أن عفاف قد تقبلت قرار البقاء فى القاهرة على مضض وإن لم تفتح فمها بكلمة . . فنهض إليها . . وأمسك بكفيها الصغيرتين وراح يقبلهما قبلات متلاحقة . . ثم احتواها بين ذراعيه وهو يقول ، وقلبه يطل من عينيه .

– لا بأس يا عفاف . . أنت تعرفين أننى أتمنى لو استطعت أن أجعلك تصطافين فى أوربا لا الإسكندرية وحسب . . ولكن . . ها أنت ذى ترين . . أن الأرقام أبلغ من أى عذر قد أحاول أن أقدمه لك .

وجاءه صوتها وكأنه آت من بعيد .

– لا بأس يا أحمد .

وقال هو .

– أنا أعرف أن مسكننا شديد الحرارة . . والقاهرة عسيرة الاحتمال فى الصيف . . ولكن لا مانع من أن نذهب أحيانا إلى حمام مينا هاوس لنتغلب على هذه الحرارة . . وأعدك أن نقضى إجازة الصيف القادم فى الإسكندرية . . ومن يدرى .. قد تفرج من عند الله ونستطيع السفر إلى أوربا . . سنسافر مع مراد . . إن صحبته تطيل العمر ولا تشبع أبداً وهو يعرف أوربا مثلما تعرفين أنت شارع شنودة .

وابتسمت عفاف . . وأحس أنه استطاع أن يزيل عن نفسها الإحساس بخيبة الأمل فى الاصطياف فاستأنف حديثه .

– وسيارته رهن إشارة منا . . مساء كل يوم إذا أحببت . . نستقلها إلى أى مكان بعيد على النيل حيث نتناول عشاءنا ثم نعود فى أية ساعة تطيب لنا العودة .

ما رأيك ؟

وابتسمت مرة أخرى . . فاحتضنها وراح يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها وهو يقول .

– كنت أعرف دائماً أنك فتاة مدهشة وأنك أكبر من أن تسمحى لمثل هذه الأشياء أن تعكر ما بيننا .

وسمعا طرقا بباب الغرفة – كانت سيدة . . الخادم .

– ما لك ياسيدة ؟

وأجابتهما الخادم بأن زائراً اسمه شعبان يحمل صندوقاً متوسط الحجم بالباب سائلا عن سيدها أحمد .

شعبان . . .

– إنه خادم مراد الخاص .

قالاها معا . . بلا تفكير . . ولا تردد وكأنهما كانا ينتظرانه أوكأن حضوره أمر عادى لا غرابة فيه . . وخرج أحمد إلى ردهة المسكن . . ومن خلفه عفاف وقد وضعت فوق كتفيها ثوباً منزليا يخفى كتفيها وذراعيها . . وضمته حول خصرها بحزام مضفور من نسيج الثوب ذاته ولونه .

وكان شعبان مازال واقفا بباب المسكن . . فأسرع أحمد إليه مرحبا وسأله .

– من قبل الأستاذ مراد ؟

وأجابه الرجل فى صوت مهذب .

– سيدى مراد بك أرسل إلى هذا الصندوق من الخارج وأمرنى أن أحمله لكم . .

ودعاه أحمد للدخول . . وفتح غرفة الضيوف وأجلسه . . وأمرت عفاف

خادمتها أن تعد شرابا مرطبا أدخلته بعد دقائق . . وكان مظهر شعبان لا يوحى أبدا بأنه خادم . . رجل فى نحو الخمسين من عمره . . حسن الهندام . . نظيف . . يبدو كما لو كان رجلا من رجال التشريفة . . بعض الشعيرات البيضاء تشيع فى فوديه . . وعلى رأسه طربوش نظيف يبدو وأنه – لتوه – خارج من بين القالبين النحاسيين .

وقدم له أحمد كوب الشراب المرطب فشربه شعبان فى أسلوب مهذب ثم رده إلى مكانه مع كلمة شكر . . وسأله أحمد عن مراد فأجابه بأنه تسلم منه خطابا يفيد وصوله إلى باريس مع إخطار بالتوجه إلى مطار القاهرة للتخليص على ما فى هذا الصندوق فى الجمرك ثم تسليمه للأستاذ أحمد راغب أو لعفاف هانم شخصيا .

وكان شعبان قد وضع الصندوق جانبا . . ولم يفصح عما بداخله . . وشكره أحمد . . وشكرته عفاف . . وهم بالانصراف فحاولا استبقاءه بعض الوقت . . ولكنه اعتذر فى لطف وقام مودعا وعند باب المسكن قال لأحمد .

– مراد بك أفهمنى فى رسالته أن سيارته – طيلة غيابه عن مصر – فى خدمتكما فى أية لحظة .

وانحنى قليلاً وهو يقول .

– إنى أنتظر الأمر . . تليفونيا . . فى أية لحظة . .

وشكره أحمد مرة أخرى . . ثم التفت إلى عفاف وسألها .

– أتريدين الخروج الليلة يا عفاف !

وابتسمت . . وأمالت رأسها ببطء كمن لا تدرى بم تجيب . . ثم قالت .

– لا مانع .

ونظر أحمد إلى شعبان وهو يقول .

– لا بأس . . أرجو إرسالها حوالى منتصف الثامنة .

وانحنى شعبان وانصرف . . وأغلق أحمد الباب خلفه فى هدوء وأسرع مع عفاف إلى غرفة الضيوف حيث الصندوق الذى أرسله مراد إليهما من فرنسا وتعاونا على نزع غلافه الخارجى ثم رفعا غطاءه وإذا بفراء أبيض ناصع داخل غلالة من النايلون الرقيق . . وإذا به يتهدل بين يديهما شيئا جميلا . . رائعاً . . ثميناً . . فأطلق صدرها صيحة إعجاب وبهر . . وتمتم أحمد كأنما يحدث نفسه .

– هذا أجمل ما رأيت فى حياتى .

وهمست عفاف كأنما تحدث نفسها هى الأخرى . . وبغير وعى .

– ويتضاءل إلى جانبه فراء أختى أمينة .

وأمسكت بأحد طرفيه . . وأمسك أحمد بالطرف الآخر . . وراح كل منهما يملأ عينيه من هذا الجمال . . كانت الفرحة تطل من عينيها وهى تسأل زوجها .

– هل هو الاستراخان ؟

وأجابها أحمد والإعجاب فى عينيه وفى صوته وعلى أطراف أصابعه التى تلامس الهدية النادرة .

– لا أدرى والله ياعفاف . . قد يكون الهرمين .

– أو الفيزون .

– أو المنك .

وظهرت الحيرة على وجه أحمد وهو يقول .

– لا أدرى فلست خبيرا فى مثل هذه الأشياء . . وقد يعنى اسمان مما ذكرنا نوعا واحدا .

ولفتت نظره بطاقة من الحرير مثبتة فى أحد أطرافه . . فقربها من عينيه وقرأ عليها بالإنجليزية – مينك – كندا – فصاح بعفاف .

- إنه المينك ياعفاف . . انظرى . . ومن كندا . . أشهر أسواق الفراء فى العالم .

وسحبت عفاف الفراء من بين يدى أحمد وألقت به فوق كتفيها واقتربت من المرآة فاستقبلتها واستدبرتها ثم بدأت تتخذ عدة أوضاع مختلفة وهى تنظر إلى خيالها فى صقال المرآة . .

وأحست بالحرارة تسرى إلى جسدها . . وبدأت حبات العرق تتناثر كاللؤلؤ فوق جبينها فتخلصت منه وهى تتنفس ملء رئتيها .

وسمعت أحمد يقول .

- انظرى . . هذه رسالة فى قاع الصندوق لم نلتفت إليها .

وفض أحمد الرسالة وراح يقرأ وعفاف تستمع إليه .

عزيزى أحمد .

وعدتك أن أكتب لك من كل بلد أزوره . . وها أنا ذا عند وعدى . . أكتب لك من باريس التى سأبرحها غدا إلى ألمانيا كم تمنيت لو أنك وعفاف هانم كنتما معى ، لا يمكنك أن تتصور كم هى شيقة هذه الرحلة . . وللآن أتساءل ما الذى منعك من تلبية دعوتى حتى نمضى هنا معا أجمل أيام العمر . . ما علينا . . وموعدنا الصيف القادم . . ولن أدع لك أية فرصة للاعتذار من السفر .

عز على أن أضطر لمبارحة القاهرة قبل أن أقدم لعفاف هانم هدية أول عيد ميلاد لها تسعدنى الظروف أن أكون ضمن مدعويه . . فأرجو أن تنوب عنى فى تقديم هذا الفراء لها آملاً أن يفوز برضائها ولا أقول إعجابها . . لا داعى لأن تكتب لى فإننى لن أستقر فى مكان معين حتى يكون لى عنوان ثابت . . أقبلك . . وتحياتى الخالصة لعفاف هانم . . والآن فقط أستطيع أن أجد بعض

الشجاعة لأقول لها كل سنة وأنت طيبة . . مراد .

ملحوظة : أرجو مراعاة إيداع الفراء لدى أحد من يتجرون به فى القاهرة . . سيستوفاريس مثلا أو بسكاليس لحفظه خلال أشهر الصيف فى خزانة التبريد المخصصة لهذا الغرض حتى لا يتلف .

وطوى أحمد الرسالة وهو يقول .

– الحقيقة أنها هدية مثلى . . لا تطمع سيدة فى أجمل أو أرق أو أثمن من هذا .

وسألته عفاف .

– ترى كم يساوى مثل هذا الفراء يا أحمد ؟

ومط أحمد شفتيه وهو يقول .

– من يدرى . . ألف . . ألفين . . أظلم نفسى لو حاولت التقدير .

وقالت عفاف بلهجة الخبير العالم .

– أظنه لن يقل عن خمسة آلاف جنيه بأى حال . . إن أختى اشترت فراءها بثلاثة آلاف جنيه وهو دون هذا بكثير .

وابتسم أحمد وهو يقول .

– من قال لا أدرى فقد أفتى . . وأنا لم أدع القدرة على تقدير ثمنه . . فقد يساوى خمسة آلاف كما تقولين . . وقد يزيد . . من يدرى .

وعادت عفاف إلى الفراء تمسكه وتتحسسه فرحة به . . سعيدة مزهوة وعاودها الإحساس الجميل الذى غمرها ليلة الأوبرج . . أنها شىء له قيمته . . شىء مضروب فى مثله مائة مرة . . ألف مرة . .

وجمعت الفراء بين يديها وراحت تطويه عدة طيات وهو ينزلق بين يديها عند

كل طية إلى أن استطاعت أن تعيده إلى الغلالة المصنوعة من النايلون الرقيق . .

وقالت :

- غداً أذهب به إلى سيستوفاريس ليحفظه لى فى خزانة التبريد .

وتضاءل فى نظرها الاصطياف فى الإسكندرية . .

وكطفلة تتعجل فى ليلة العيد صباحه لكى ترتدى كل جديد اشتراه لها أبوها . .

نظرت إلى أحمد وهى تقول .

– متى يحل الشتاء ؟

وضحك أحمد وهو يسألها .

– لكى ترتديه ؟

وخجلت من نفسها ومن تعجلها حلول الشتاء . . وأحست أنها ارتدت طفلة من جديد . .

٧ في صباح اليوم التالى . . راحت عفاف تقلب فى أثوابها المعلقة فى خزانة الملابس بغرفة نومها . . كانت حائرة فى اختيار ثوب ترضيها لياقته للبرنامج الذى أعدته لقضاء الفترة ما بين الساعة العاشرة صباحا إلى أن تعود قبيل الثانية بعد الظهر .

ستحضر سيارة مراد فى تمام العاشرة ، هكذا قالت لسيد السائق ليلة أمس وهى تهبط من السيارة أمام باب المنزل بشارع شنوده بعد أن أمضت السهرة مع أحمد فى إحدى دور السينما .

ستحملها السيارة والفراء معها إلى متجر سيستوفارس بشارع قصر النيل لحفظه فى خزانة التبريد وأخذ الإيصال به .

بعد ذلك تتجه إلى جروبى سليمان باشا لتمضى بعض الوقت والسيارة فى انتظارها ببابه فى نفس المكان الذى كانت تشغله سيارة الممثلة الجميلة بجانب بائع الصحف .

وقبل الثانية بدقائق . . تبرح جروبى وتسرع إلى مبنى مصلحة البريد بميدان العتبة فتنتظر أحمد إلى أن تحين لحظة انصرافه لتعود به إلى المنزل فتعفيه اليوم من عناء ركوب الترام أو السيارات الحافلة .

وراحت تنقل عينيها بين أثوابها مختلفة الألوان . . إلى أن رضيت أخيراً عن واحد منها فارتدته وأخذت تصلح من زينتها وشعرها أمام المرآة إلى أن جاءتها الخادم سيدة . . تعلن أن السيارة تنتظرها بالباب .

* * *

ووقفت بها السيارة أمام متجر الفراء الكبير بشارع قصر النيل . . وأسرع السائق ففتح لها الباب وحمل عنها الصندوق بحمله الثمين وتبعها إلى الداخل .

. . وقابلتها « إيلين » اليونانية الصغيرة الجميلة المشرفة على سير العمل فى المتجر وشرحت عفاف لها غايتها وأشارت إلى الصندوق يحمله سيد السائق . . فتناولته الفتاة منه وفتحته وأخرجت منه الفراء النادر . . ولم يكن من الصعب على عفاف أن تلحظ إمارات الإعجاب والبهر على وجه اليونانية الجميلة التى تقلب بين يديها يوميا أشتاتا من أنواع الفراء الثمين .

نظرت لها وقد رفعت حاجبيها المقوسين الجميلين إعجابا وهى تقول بالفرنسية . .

إنه جميل يا سيدتى .. إنه رائع .

وهبط سيستوفاريس من دوره العلوى إلى حيث وقفت إيلين مع عفاف . . وحيا الرجل عميلته الجديدة فى ابتسامة التاجر المحنك الذى يعرف كيف يرضى عملاءه . . ودون أن يلمس الفراء بيده . . هز رأسه ومط شفتيه وهو يقول بالفرنسية .

– هذا شىء لا نستطيع استيراده الآن ياسيدتى .

وابتسمت عفاف وهى تسأله مداعبة .

– تشترى !

ولم تكن تنوى البيع بطبيعة الحال . . ولكن رغبة عارمة كانت تعبث بها . . تريد أن تعرف كم يساوى هذا الفراء . . فسألت الرجل كمن لا يعنيها الأمر .

–كم يساوى هذا الفراء ؟

وقاسها التاجر بعين التاجر التى لا تخطئ قياس الناس وكشف ما يبطنون ولم تفته مهارتها فى توجيه السؤال فسألها بدوره .

–كم يساوى . . مشترية ؟ أم بائعة ؟

ولم تفهم عفاف سؤاله فقالت .

– وكيف ؟

فأجابها الرجل .

إذا كان الفراء فرائى وفى متجرى والسيدة مشترية . . فله سعر . . وإذا كان الفراء فراء السيدة . . والسيدة هى البائعة . . فله سعر آخر .

– أرجو أن أعرف السعرين .

وابتسم الرجل الذى أفنى عمره فى تجارة الفراء . . ونظر إلى عفاف . . قطة جميلة سوداء الشعر خضراء العينين برتقالية الشفتين . . ساذجة تطلب منه أدق أسرار مهنته معتقدة أنها مستطيعة أن تستدرجه . . فأجابها .

– أستطيع أن أخبرك كم يساوى إذا كنت أنت البائعة . . أما إذا كنت أنت المشترية فلن أستطيع أن أخبرك كم يساوى إلا إذا كان ملكى . . أعنى بعد أن تبيعيه لى . . إذا كان هذا فى نيتك .

وأدركت عفاف أنها أمام تاجر . . وأنه من صيارفة الكلام . . فالكلمة لا تخرج من شفتيه إلا مثلما يخرج الجنيه من خزانته . . فابتسمت ابتسامة المغلوب وهى تقول .

– لا بأس . . كم يساوى حالة كونى بائعة !

وأجابها الرجل بكل بساطة .

– أشتريه منك بألفين .

كل هذا . . دون أن يلمس الفراء بيده . . فعينه الخبيرة كانت كافية لتقدير قيمته .

ونسجت عفاف ابتسامة فوق وجهها وهى تقول بلهجة من يريد أن ينهى مناقشة لم تكن مجدية .

– شكرا على أية حال . . الواقع أنه ليست هناك أية نية لبيعه . . إنما حضرت لحفظه لديكم خلال موسم الصيف .

وتأهب الرجل للعودة إلى حيث مكتبه فى الطابق العلوى من المتجر وهو يقول .

– لا تفرطى فيه يا سيدتى . . مهما كان الثمن .

وتركها مع نائبته اليونانية التى تسلمت منها الفراء واتخذت كافة الاجراءات المعتادة ثم سلمتها الإيصال . .

وسددت عفاف أجر التخزين عن الشهر الأول سبعة جنيهات ونصف الجنيه . . أقل قليلا من خمس مرتب زوجها عن شهر كامل .

وبارحت المتجر . . وكان السائق واقفا بباب السيارة . . وما رآها مقبلة حتى أسرع ففتحه وظل واقفا ممسكا به حتى غابت بداخلها فأغلقها ثم اتخذ مكانه خلف عجلة القيادة وسمعها تقول فى لطف .

– جروبى سليمان باشا من فضلك .

وانطلقت بها السيارة إلى أن وصلت إلى جروبى فهبطت منها وهى تقول للسائق .

– سأغيب بعض الوقت فى جروبى يا أسطى سيد .

وأسرع الرجل مفسحا لها الطريق وهو يقول :

– فى خدمتك يافندم . . تحت أمرك .

ودخلت جروبى . . وجلست إلى إحدى الموائد الصغيرة . . وأمرت الساقى أن يحضر لها كأسا من عصير التفاح . . وألقت نظرة على ما حولها . . كان جروبى خاليا من الرواد تقريبا ، فالتاريخ يونية ودرجة الحرارة لا تطاق . . والمكان لم يكن جدد من الداخل كما هو الآن ولم يكن أدخل عليه نظام تكييف الهواء .

شاب فى أقصى ركن منه يرتدى قميصاً أمريكيا ويضع على عينيه نظارة وقد راح يكتب ويكتب ويكتب دون أن يحس بما حوله ولا من حوله . . سيدتان فى ركن آخر بلغتا الحلقة السابعة من عمريهما . . راحتا تتحدثان بصوت مسموع ولغة لم تستطع عفاف أن تفهم منها حرفا . . أغلب الظن أنها الألمانية . .

كاتب كبير معروف . . وقد ارتكز بذقنه إلى عصاته . . راح يستمع إلى صحفى كبير فى انتباه ملحوظ . . والحديث هام كما يبدو من الانفعالات التى ترتسم على وجه الاثنين . . وكل العلامات التى تدل على أن الكاتب الكبير يستمع إلى محدثه . . هزة من رأسه بين حين وحين دون أن تنزلق ذقنه عن عصاته . .

إن عفاف تعرف الاثنين من كتاباتهما وصورهما فى الصحف . .

وهنا وهناك شاب وفتاة . . وفتاة وشاب . . ماتت الكلمات على الشفاه بينهما ويد الفتاة بين يدى الشاب فوق سطح المائدة الصغيرة . . وتركا للأعين مهمة

الإفصاح عما يكابدان .

وراحت عفاف ترتشف عصير التفاح فى بطء شديد . . وخيل إليها أنها ترى وجه مراد فى الكأس كلما رفعتها إلى شفتيها لترشف منها رشفة .

لم يكن من السهل عليها ألا تفكر فيه . .

فهذا الفراء . .

هذا الفراء الذى أرسله إليها . . عرض سيستوفاريس أن يشتريه بألفى جنيه . . فبكم يبيعه ؟ قطعا لا أقل من خمسة أو ستة آلاف . . إنها لم تكن تتصور أنه على هذا القدر من الندرة وارتفاع القيمة . . لقد قال لها الرجل .

– لا تفرطى فيه . . مهما كان الثمن .

فبكم اشتراه إذن مراد « وكم سدد شعبان ضريبة جمركية عليه ؟ »

وابتسمت . . وأكبرت فيه – فى مراد – أنه لم يورطها ولم يورط زوجها أحمد بإرسال الهدية باسم أحدهما رأسا فأعفاهما بذلك من رسوم الجمرك وهى قطعا – مادام الفراء بهذه القيمة – مبلغ لا يستهان به كان من المؤكد أن يعجزهما تسديده .

مثل هذه الأشياء مدرجة فى قوائم الكماليات . .

والحكومة تتقاضى عنها ضريبة تعادل ثمنها تماما . .

وراحت تهمس لنفسها .

– ألفان من الجنيهات ! ! بكم اشتراه إذن ؟ ! إنه لم يشتره من موطنه كندا . . بل من باريس . . فلاشك أنه استأداه مبلغا باهظا . . ثم . . من أين له المال فى الخارج ليشترى مثل هذا الفراء النادر ؟ ؟ لاشك أن لديه أرصدة قديمة فى مصارف عواصم أوربا . . كل بلد وعملته المتداولة .

ثم قفز إلى ذهنها سؤال .

ما هذا الاهتمام البالغ بها ؟

وأى رجل يهدى الآن سيدة هدية ببضعة آلاف من الجنيهات ! إن هذا الفراء ثمن فيلا صغيرة أو بيتا يدر ثلاثين جنيها دخلا شهريا تعيش عليه أسرة مصرية مدى الحياة . .

وابتسمت . .

ورفعت كأس التفاح المعصور فمست بها شفتيها فى رقة ثم أعادتها إلى سطح المائدة . . وخيل إليها فى هذه المرة أن مرادا يبتسم لها من داخل الكأس .

وفكرت . .

هل تخبر أحمد بتقدير سيستوفاريس هدية مراد بهذا الثمن ؟ ومطت شفتيها كأنما استسخفت مجرد الخاطر . . وليست تدرى لم أحست أن ثمن الفراء سر خاص بها أو يجب أن يكون سرا خاصا بها لا يعرفه إنسان . . وأحمد ضمنا .

. . واشترت صحيفة صباحية راحت تقلب فيها دون أن تقرأ شيئاً . . كانت تحس بقلق غريب . . لم تكن تريد أن تستقر فى مكان واحد . . ولم تكن تستطيع أن تركز عينيها على شىء بالذات لتقرأه فى الصحيفة التى بين يديها لأن عينيها تمردتا على إرادتها فسرحتا إلى بعيد . .

رأت نفسها فى ثوب من أثواب السهرة الرائعة . . والفراء فوق كتفيها . واقفة فى بهو دار الأوبرا فى موسم الشتاء القادم . . والجميع ينظرون إليها فى بهر وإعجاب ورأت نفسها فى مسكن أنيق بالزمالك . . لا يقل جمالا عن مسكن أختها أمينة . . يؤثثه لها بونتريمولى وتزوده بمثل هذه التحف الصغيرة الجميلة . . والتليفون أبيض أو أخضر بحبل طويل تنتقل به من غرفة لغرفة . . حتى فى الحمام . . تستطيع أن تأخذ التليفون معها . . إن إليزابيث تيلور – فى أحد أفلامها – حملت التليفون معها إلى

الحمام وراحت تتحدث إلى الفتى الذى تحبه وهى عارية فى حوض الاستحمام . . ورأت نفسها صاحبة سيارة جميلة تبرق كالماس . . تقودها بنفسها فى شوارع الزمالك الهادئة النظيفة . . وسحقا لشارع شنودة بكل ما فيه ومن فيه من باعة ومارة وصبية وقطط وكلاب وذباب .

مساكين هؤلاء الذين كتب عليهم أن يكون الترام أو السيارات الحافلة وسيلتهم الوحيدة للانتقال من شرق القاهرة إلى غربها . . إنها واحدة منهم . . وزوجها أحمد واحد منهم أيضاً .

إن أحمد يستحق أكثر من هذا . . يستحق حياة أفضل من هذه . . فهو لطيف ورقيق وطيب ومهذب وجميل الصورة . . وهى لا تفهم أبدا ولا تقر أبدا هذه القوانين التى يسمونها «كادرا» ودرجات وعلاوات . . وكل هذا يحدد مرتب زوجها بأربعين جنيه . . إنه يستحق أكثر من ذلك . . يستحق ثلاثمائة جنيه فى الشهر لا أربعين . . إنه كفء ومجد ومواظب ومنتظم وغيور على عمله . . ويقضى خلف مكتبه من الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الظهر . . وعمله يستأديه فى بعض الأحيان أن يعمل اليوم بأكمله . . وفى أحيان أخرى يتطلب منه أن يسافر خارج القاهرة ويبيت بعيدا عنها وعن بيته بضع ليال يحتسب له عنها قروش تخجل من ذكر رقمها . . شىء يسمونه بدل سفر .

أيستحق أحمد كل هذا الهوان من أجل أربعين جنيه يقبضها آخر كل شهر لتلتهمها مطالب الأيام الأولى من الشهر الجديد حيث تبدأ المتاعب والأزمات والحيرة فى تسديد نفقات بقية الشهر . . ومطالب العيش ثقب واسع مقيم فى جيب رداء نلبسه اسمه الحياة . . ثقب لا يشبع ولا يمتلئ . . يبتلع كل جهدنا وكدنا وكفاحنا وحياتنا كلها ولا يكتفى إلا عندما نخلع عن أجسامنا هذا الرداء – الحياة – ونودعه .

وأشفقت على أحمد وقالت . . مسكين .

وكانت المرة الأولى التى تضيف إلى حبها له عاطفة أخرى . . عاطفة الشفقة

ووقعت عيناها فى الصحيفة بين يديها على إعلان أفردت له مساحة كبيرة عن إحدى شركات الطيران .

الشركة تغرى القراء بالسفر إلى أوربا على طائراتها . . أوربا وأمريكا وكل بقاع الأرض . . وتمنت لو تتاح لها فرصة مشاهدة العالم .

وتذكرت أن الفرصة أتيحت لها فعلا منذ ستة عشر يوما عندما ألح مراد على زوجها أن يقبلا دعوته للسفر . . ولكن قبول الدعوة كان مستحيلا . .

ولماذا كان مستحيلا ؟ ؟

إنهما صديقان . . مراد وأحمد . . ومع ذلك . . لم تستطع إلا أن تقر أحمد على اعتذاره . . لم يكن من المعقول أو المقبول أن يقبلا دعوة كهذه تكلف مرادا مئات الجنيهات . . وفوراً . . بمجرد أن يعرضها عليهما . .

ولكنها تريد أن تسافر . . تتمنى السفر . . تتمنى مشاهدة باريس وروما وبرلين . . ولندن ومدريد وجنيف وكل هذه العواصم الكبرى إنها تريد أن تعيش حياتها كما يعيشها مراد ومن فى مثل حاله من اليسار . . تعيشها عرضا لا طولا . . والتعبير لأحمد وليس لها .

وللمرة الثانية راودها نفس الإحساس الذى أرقها فى فراشها بعد سهرة الأوبرج منذ أسبوعين .

إنها سمكة . . بلطية كبيرة مكانها البحر الواسع العريض العميق . . ولكن حظها التعس ألقى بها فى وعاء كروى صغير من الزجاج . . وأنها عبثا تحاول أن تلطم جدرانه بذيلها لتحطمه لكى تنطلق .

وراحت هذه الأفكار والأمانى تهاجم خيالها كالموج العاتى يزحف نحو الشاطئ فيعكر رماله . . ثم ينحسر عنه فيتركها مستوية ملساء كما كانت . . وأحست أن الوقت سرقها . . فنظرت إلى الساعة حول معصمها . . وكانت تشير إلى الواحدة وأربعين دقيقة . . فأدت ثمن عصير التفاح ثم قامت متجهة إلى باب الخروج . . وفى طريقها إليه ألقت نظرة إلى اللعب وأوانى الأزهار وأكياس الحلوى وصناديق الشيكولاته . . ولفتت نظرها الثلاجة البيضاء الصغيرة بالقرب من الباب . . فطلبت من جورجيت البائعة الصغيرة الواقفة بجانبها قالبا من «كونتس مارى» وأدت ثمنه ثم أشارت إلى أحد الموظفين الواقفين بالقرب منها فى رقة بالغة :

– السيارة فى الخارج من فضلك .

وأسرع الرجل وحمل القالب الصغير وتبعها خارجه . . ولم يفتها قبل أن تخطو من عتبة الباب أن تدس فى جيب الفتاة التى باعت لها القالب المثلوج ورقة مالية فئة العشرة قروش . . وابتسمت هذه . . وكانت جميلة صغيرة رقيقة وقالت بالفرنسية :

– شكرا يا سيدتى .

وابتسمت عفاف . . وأحست بكثير من الزهو والسعادة .

وتقدمت نحو السيارة . . وأسرع السائق ففتحها . . وكان بائع الصحف وبائع المصاحف قد لحقا بها يريد كل منهما أن يبيع لها من بضاعته وأن يقبض ثمن ما باع مضاعفا . . هكذا دأبهم دائماً حيال كل من تبدو عليه مظاهر النعمة واليسار . . ولكن موظف جروبى نهرهما فابتعدا آسفين . . ونظرت عفاف إليه مبتسمة وهى تقول :

– لم تقسو عليهما ؟

وحاول الرجل أن يبرر تصرفه بأنه يحميها من إلحاحها ورذالتها . . ولكنها ابتسمت وهى تقول فى صوت حنون :

– إنهم مساكين .

وكانت تعنى هذا فعلا . . كانت تحس أنهم مساكين . . ولم يكن قولها مجرد تظاهر بالشفقة .

وابتسم الرجل وهو يدعو لها بطول العمر وأن يضاعف الله من حنو قلبها على الفقراء . . وسلم قالب المثلجات إلى السائق الذى أقفل الباب بعد أن صعدت إلى السيارة . . وفتحت عفاف حقيبتها وهى تقول للرجل :

– انتظر .

ودست فى يده خمسة قروش قطعة واحدة فضية ألهجت لسانه بالثناء والدعاء أن يحفظها الله من كل مكروه .

وانطلقت السيارة فى شارع قصر النيل متجهة إلى المتحف . . وسألها السائق فى صوته المهذب المنخفض :

– إلى البيت يافندم ؟

– بل إلى مصلحة البريد يا أسطى سيد لنأخذ البك معنا .

وقطعت السيارة شارع قصر النيل فى ثوان معدودة ثم انحرفت يمينا فى شارع مريت باشا . . وإذا بهما أمام مكتب شركة الطيران حيث ودعت – وأحمد – مرادا يوم سفره منذ أسبوعين . . وأطلت من نافذة السيارة المنطلقة على واجهة المكتب . . وخيل إليها أن هناك صلة تربطها به .

إنها ستسافر يوماً على إحدى طائرات هذه الشركة . . وستعيش هذه اللحظات الحلوة الساحرة فجر يوم من الأيام . . لحظات الاستعداد للسفر . . وقوفها فوق

الميزان . . متاعها يوزن أيضاً . . وستحاول ألا تتجاوز الوزن المقرر حتى لا تضطر للتخلى عن شىء منه فى القاهرة . . تحقق موظف الشركة من جواز سفرها واستيفاء كل ما يتعلق بتأشيرة الخروج . . الهدايا الصغيرة التى تقدمها الشركة للمسافرين من حقائب صغيرة أنيقة خفيفة إلى مفكرات ذات أغلفة مصقولة جميلة . . السيارة الحافلة تنتظر المسافرين لتنطلق بهم إلى المطار . . والقاهرة بأسرها غارقة فى النوم والشوارع خالية من المركبات والمارة والإعلانات المضيئة ساهرة فوق قمم الأبنية العالية تستلفت الأنظار بحركاتها الرتيبة المألوفة .

لحظات لا يمكن أن تحسب من العمر .

إن شقيقتها أمينة سافرت مع زوجها كمال صيف العام الماضى . . والبوادر توحى بأنهما سيسافران هذا الصيف أيضاً . . هى الأخرى تريد أن ترى الدنيا . . أن ترى الحياة . .

إن الإسكندرية لم تعد تغريها بالسفر كما كانت تغريها من قبل . .

إنها تريد أوربا . .

وأفاقت من أوهامها على وقوف السيارة أمام الباب الرئيسى لمصلحة البريد بميدان العتبة . . وكان أحمد فى عين اللحظة بين زميلين له فى العمل بعتبة الباب . . ورأته عفاف فأشارت له . . فأسرع بتوديع من معه . . وقفز إلى السيارة وهو يقول :

– هذه مفاجأة . . ولو تأخرت نصف دقيقة لانطلقت أنا فى الميدان دون أن نلتقى . .

ودارت بهما السيارة حول الميدان الواسع الكبير . . ثم انطلقت فى طريقها إلى شبرا . . إلى شارع شنودة . . بشبرا .

٨

انتصف شهر يوليو . . وكان أحمد قد بدأ عطلته السنوية من أوله . . شهران طويلان لا يدرى كيف يمضيهما . . وهذه الخمسة عشر يوما التى انقضت منهما . . مرت عليه فى ضيق وتوتر وإحساس بأن العطلة أصبحت عبئاً بدلاً من أن تكون فرصة للترويح والاستمتاع والتحرر من مواعيد العمل الرسمية .

إن الصيف زادت وطأته . . والحر والعرق والذباب وشارع شنودة بكل ما يحوى من منغصات ، تضافرت جميعا لتزيد إحساسه بالمرارة والفراغ الذى يأكل حيويته .

وعفاف المسكينة . . لا يستطيع أن يفعل من أجلها شيئاً .

إنه يرى عذابها وألمها . . وصمتها يعذبه أكثر مما لو احتجت واشتكت . . إنها تعرف . . وتقدر . . وتعذر . . وهى لهذا تصمت ولا تتكلم والمسكن حار . . ملعون . . منكوب بوجهتيه التعستين . . القبلية والغربية . . والشمس تريق نارها على جدرانه طوال النهار تكاد تخترقها فتجعل من الحجرات أفراناً دائمة الحرارة . .

ومن أحمد وعفاف ؟ طائرين صغيرين تشويهما نار هادئة .

والميزانية لا تسمح أبداً بالانتقال من القاهرة . . بل إن تأجير خزانة التبريد لحفظ الفراء – هدية مراد – قد اضطرهما لضغط آخر جديد فى النفقات – لولا بضعة جنيهات كانت محفوظة لأحمد « بدل سفر » استطاع أن يحرك الأوراق الخاصة بها والحصول عليها لتعويض هذا العجز .

وحمامات السباحة المتفرقة فى أنحاء القاهرة لا يمكن أن يغشاها مع عفاف بعد أن جرب أرقاها مرة واحدة . . فهى ضيقة . . غاصة بالمستحمين . . مزدحمة بهم . . والنسبة الغالبة فيهم للرجال . . يقفزون ويسبحون ويتسابقون ويعومون ويغوصون ويطفون . . وهم فى كل هذا يتنسمون خيال أنثى واحدة تشاركهم الماء العكر حتى تبدأ مناوراتهم الفاضحة . . كل يريد أن يمس فخذها عن غير قصد . . أو يحتك بها والصدفة مظلومة أو يغوص ليمرق من بين ساقيها تحت الماء كثعبان الماء .

إن أية سيدة تحترم جسمها وأنوثتها لا يمكن أن تفكر فى مشاركة هؤلاء الحلاليف بجثثهم القبيحة حوضا للسباحة أيا كان اتساع هذا الحوض وأى زوج لن يحتمل أن يرى امرأته يطويها هذا الزحام الضارى لأنه لن يستطيع أن يحميها .

وكان البريد قد حمل لهما فى هذه الأثناء – رسالتين من مراد إحداهما من باريس والأخرى من روما . . يتابع فى كل منهما وصف رحلته . . وقد ذكر فى الأولى أن الفرصة أسعدته بحضور عرض الأزياء الذى دعاه إليه إيف سان لوران ، خليفة كريستيان ديور . . وتمنى لو أن عفاف كانت هناك لتشاهد آخر صيحة فى عالم الأزياء وأنه كان يسعده أن تنتخب لنفسها ثوبا من الأثواب الجميلة التى عرضتها خلاصة أجمل فتيات العالم .

وراحت الأيام تمضى . .

رتيبة متكررة مضروبة فى نفسها عشرات المرات . . فالنهار لا يريد أن ينقضى بطوله وناره وفراغه . . والليل البهيج وقف على من يملكون نفقاته فى الملاهى البعيدة المترامية فى أطراف القاهرة حيث الخيال والأحلام والأنسام والعشاء والرقص على أنغام الموسيقى . .

ولو كانت أمينة وزوجها كمال فى القاهرة لوجدا فى صحبتهما أو قضاء الأمسيات فى شرفتهما الواسعة المطلة على النيل كثيرا من الترويح والتغيير . . ولكن أمينة قد سافرت إلى أوروبا منذ أسبوع مع زوجها . . وودعتها عفاف مع أحمد كالمرة السابقة تماما . . فى المطار . . وعند الفجر . . وسألتها أمينة وهى تقبلها قبل أن تركب الطائرة .

– هل أحضر لك علبة أخرى من أحمر الشفاه الذى أعجبك ؟

فأجابتها عفاف ،

– اختارى لى شيئاً آخر هذه المرة . . فلا زالت لدى منه الكفاية .

ولم يكن لديها منه الكفاية كما قالت . . ولكنها كانت على تمام الثقة بأن مرادا سيحضر لها معه علبة كاملة منه .

وضاقت القاهرة بأحمد وعفاف . . فهما لا يستطيعان قضاء اليوم بأكمله فى المنزل . . ولن يستطيعا قضاءه خارجه . . وأحس أحمد أن عفافا تكاد تزهق روحا ونفسا وأنها تكابد حتى لا تؤلمه بشكواها .

شىء واحد كان له أكبر الأثر فى مساعدتهما على احتمال ضراوة الصيف . . . . سيارة مراد .

كانا يستقلانها صباحا فيحملهما السائق إلى إحدى دور السينما مكيفة الهواء وفى المساء يقصدان أحد المشارب الواقعة على النيل أو إحدى دور السينما المكشوفة حيث يمضيان الهزيع الأول من الليل . . فلا يعودان إلى دارهما إلا فى الهزيع الأخير منه . . عندما تنكسر حدة الحرارة ويصبح الفراش محتملا للرقاد عليه .

٩

إلى أن كانت أمسية .

تضاعف إحساس عفاف فيها بأنها تلك السمكة الكبيرة أسيرة الوعاء الزجاجى الصغير . . وأن مكانها البحر الواسع العريض العميق .

أمسية ضمتها وأحمد . . وبينهما مائدة صغيرة فى ركن منزو من حديقة مشرب على النيل اعتاد كثير من الفنانين والسينمائيين المصريين قضاء أمسيات الصيف به .

وحول مائدة كبيرة قريبة منهما . . جلس ثلاثة من ألمع مخرجى السينما المصرية مع ممثلة كبيرة معروفة .

كانوا أربعة ممن تقوم على أسمائهم صناعة السينما فى مصر .

وهذه الممثلة بالذات يؤلف محبوها والمعجبون بها وبشخصيتها وبفنها جمهورا تعداده فى مصر ثلاثين مليونا من البشر فمصر كلها تحبها وتعجب بها . ولم يحدث مرة أن ظهرت فى مكان عام دون أن تستلفت الأنظار وتدير الأعناق وتثير الهمس من حولها . . هذه هى . . هذه هى . . وتتسابق الفتيات والشبان لتحيتها والحصول على

توقيعها ومصافحتها ولمسها كأن وجودها بينهم وبينهن شيء يبعد تصديقه .

ومع ذلك . . فإن الأعين كانت فى اتجاه آخر . . والأعناق التوت إلى نفس هذا الاتجاه الآخر . . ولم يتقدم أحد من المعجبين أو المعجبات إلى الممثلة الكبيرة لكى توقع له أو لها على دفتر التوقيعات كما يحدث عادة . . وأحس الجميع أن بالمكان شيئاً غير مألوف . . ولم يكن من الصعب على المخرجين الثلاثة والممثلة الكبيرة أن يشموا بحاستهم الفنية هذا الشيء . .

وكانت الممثلة أول من اكتشفه .

كانت عفاف ، وقد استرعى جمالها الفريد أنظار الجميع .

وصاحت الممثلة فى بهر وإعجاب وبطريقتها الخاصة الفريدة .

– انظروا . . هذه تفاحة . .

والتفت المخرجون الثلاثة حيث تجلس عفاف كطائر ملون هبط من الجنة .

وكان واضحاً أن تأثيرها على الجميع أبعد وأعمق من أن يحاول أحدهم التعبير عنه . .

وقال واحد منهم والحسرة تقطر من نبرات صوته :

– ونحن نفنى أعمارنا بحثا عن وجوه جديدة فلا يتقدم لنا إلا من لا يصلحن للعمل . . أين هذه ؟ أين مثيلاتها .

وقال آخر :

– هذه لا مثيل لها . .

وقال ثالث : ؟

– لو تقبل العمل ؟

– ومن يعرض عليها ؟

– اسمعوا . . إننى أقطع بأن زوجها هو الجالس معها . . فأنا أستطيع أن أفرق بين الأزواج وغير الأزواج . إنه قطعاً زوجها . . وهذا فى مصلحتنا أحدنا يقوم إليهما ثم يعرض عليها العمل . . بطلة فيلم كبير .

وقال أحدهم :

– وعقد العمل معد . . والأجر ألف جنيه . . إنى مفوض من الشركة المنتجة . . وأباحت لى الاتفاق مع الوجه الجديد الذى أختاره فى حدود هذه القيمة .

وقامت الممثلة . .

وقال الجميع لها وهى تنهض عن مقعدها :

– هذه أسلم وسيلة . . أنت باعتبارك سيدة أصلحنا وأنسبنا للقيام بهذه المهمة .

وفى أذنها همس المكلف منهم بالبحث عن وجه جديد :

– قيمة العقد ألف جنيه . . تذكرى . . وإذا قبلت هى وزوجها . . فستوقع العقد غدا . . وتعطى مئتا جنيه مقدم أتعاب . . أعنى القسط الأول بلغتنا . .

ووقفت الممثلة الكبيرة أمام أحمد وعفاف . . وعلى وجهها ابتسامتها الطيبة التى أسرت الملايين وقالت :

– مساء الخير . .

وقدمت نفسها باسمها .

وقام الاثنان – أحمد وعفاف – تحية لها . . كانت مفاجأة لها . . ولأول وهلة أحس الاثنان أن هناك خطأ أو التباسا لن تلبث الممثلة الكبيرة أن تتبينه . . وأجاب الاثنان معا ،

– مساء الخير . . أهلا وسهلا .

وأضافت عفاف :

– وهل هناك من لا يعرفك يا سيدتى ؟ تفضلى .

– أتسمحان لى بأن أجلس معكما قليلا ؟

وسحب أحمد لها مقعداً فى الحال . . دفعه خلفها بلطف وهو يقول :

– هذا شرف لنا يا سيدتى . . تفضلى . . أهلا وسهلا .

وجلست . . وجلست عفاف وعلى وجهها ابتسامة القطة . . وصفق أحمد يستدعى أحد القائمين على خدمة الرواد . . ولكنها قالت له :

– أرجوك . . لا داعى لأى شىء . . لقد تناولت عشائى وقهوتى ولن أستطيع تناول قطرة ماء .

وقال أحمد وهو يومئ برأسه إلى المخرجين الثلاثة حول المائدة القريبة :

– لقد سلبنا أصدقاؤك هذا الشرف .

ونظرت الممثلة إلى زملائها وأصدقائها وعلى وجهها نفس الابتسامة الطيبة وهى تقول :

– أظنكما فى دهشة لاقتحامى عليكما هذه الجلسة الهادئة . . أرجو ألا أكون أزعجتكما .

– على العكس يا سيدتى . . طول عمرى كنت أحب أن تتاح لى هذه الفرصة . . أن أراك عن قرب وأحدثك . . كذلك عفاف . .

وأشار أحمد بيده إلى زوجته التى مازالت ابتسامة القطة مرتسمة على وجهها الفريد وهى تقول مؤيدة كلام زوجها :

– هذه من أسعد فرص حياتى يا سيدتى . . لقد شاهدت كل أفلامك تقريبا .

ونقلت الممثلة عينيها بين أحمد وعفاف . . وقرأ أحمد فى عينيها سؤالا واضحاً .

فأجابها قبل أن تفصح عنه .

– هذه زوجتى . . عفاف . . وأنا أحمد راغب بمصلحة البريد .

واعتدلت الممثلة فى مقعدها . . وبدأت مهمتها .

– يا أستاذ أحمد . . كما ترى . . هناك ثلاثة من كبار مخرجينا السينمائيين . . ولقد كلفت منهم أن أنهى إليك أن هناك عقدا بألف جنيه لعفاف هانم إذا قبلت أن تشتغل بالتمثيل فوق الشاشة . . فما رأيك . . ؟؟

وكانت المفاجأة أضخم من أن تسمح لأحمد وعفاف بأن يجيبا بشىء . . فارتبكا . .

وظهر الارتباك على وجهيهما فعلا . . وتبادلا نظرة . . واحمر وجه عفاف . . وانبسطت ابتسامتها . . ورفعت عينيها إلى الممثلة التى أحست بوقع المفاجأة عليهما . . فقربت مقعدها من المائدة الصغيرة أكثر مما كان وبدأت تشرح مهمتها .

– اسمع يا أستاذ أحمد . . اسمعى ياعفاف هانم . . السينما المصرية فى حاجة ملحة لوجوه جديدة من الجنسين . . وقد مل الناس الوجوه الأربعةأو الخمسة التى ظهرت فى كل فيلم وهذا حديث معاد . . والآن معروض على عفاف هانم عقد قيمته ألف جنيه لتمثيل دور البطلة فى فيلم محترم يخرجه أحد مخرجى الصف الأول . . إنه واحد من الثلاثة الجالسين هناك . واسمه على أى فيلم ضمان نجاحه . . فإذا لم يكن هناك ما يمنع . . ستوقع عفاف هانم العقد صباح الغد . . وتقبض مائتى جنيه مقدما . . وبقية الألف تسدد على دفعات بحيث يكون المبلغ كله كامل السداد يوم تصوير آخر مشهد من مشاهد دورها . . أعنى فى خلال شهرين من الآن . . وهى المدة التى يستغرقها تصوير الفيلم . . فما رأيكما ؟

ورفعت عفاف إلى شفتيها كوب عصير الليمون دون أن تفتح فمها بكلمة

وحارت الكلمات على شفتى أحمد وهو يقول فى تردد :

– والله . .

وتلقفت الممثلة تردد أحمد تريد أن تحيله إلى موافقة . . فطرقت الحديد محميا .

– لا تتردد يا أستاذ أحمد . . هذه فرصة نادرة . . المال يسعى إلى عفاف هانم وفى ركابه الشهرة والمجد . . إن مئات الفتيات تحفى أقدامهن السنين الطوال سعيا وراء دور لا يستغرق ظهورهن فوق الشاشة لأدائه بضع دقائق . . وعفاف هانم يعرض عليها الدور الرئيسى وبأجر لم يسبق لممثلة من قبل أن بدأت بجزء من عشرة أجزاء منه . . والجميع يمتلكن الآن الضياع والأبنية والسيارات والأرصدة الضخمة فى المصارف .

وصمتت الممثلة الكبيرة قليلا . . تريد أن ترى صدى حديثها فى نفس أحمد وعفاف . . إن عفاف كانت تبتسم وكأنها تحيى الجماهير التى تصفق لها فى حفل العرض الأول . . لأول أفلامها . . أما أحمد . . فقد هز رأسه فى بطء وهو يقول فى رقة وأدب .

– هذا مستحيل يا سيدتى . .

وضمت الممثلة الكبيرة ما بين حاجبيها وهى تقول .

– وما الذى يجعله مستحيلا ! توكل على الله وقل نعم . . أدعو لك الآن هؤلاء الثلاثة الكبار فينتقلون إلى مائدتك ليعرف بعضكم البعض ثم تتفقون على موعد توقيع العقد وثق أن عفاف هانم ستوقع عقوداً أخرى قبل أن تنتهى من تمثيل دورها الأول . . إن المال يزحف إليها عشرات العقود ستوقعها للعمل .

– وهل المال كل ما فى الحياة ؟

وكادت خفة دم الممثلة الكبيرة تستبد بها وتغلبها فتناديه « ياعمر » .

فهذا إنسان يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين . . ومازال يستهين بالمال فى صيغة حكمة بليدة أطلقها خامل كسلان قصير الذيل معدوم الحيلة . . فأشعلت لفافة تفرغ فى دخانها غيظها ثم قالت :

– يا أستاذ أحمد . . أنا كسبت من عملى كما لم تكسب فنانة . . ومع ذلك فقد أنفقت كل ماكسبت . . سلنى أنا . . وأنا لا أملك بعد الستر قرشا واحدا إذا كان المال كل شىء فى الحياة أم لا – سلنى أنا لأننى ذقت حلاوة الاطمئنان إلى وجود رصيد ضخم باسمى فى أحد المصارف يؤازرنى ويصلب عودى . . وذقت بعد ذلك مرارة إحساسى باقتراب اليوم الأول من كل شهر وما يتطلبه من نفقات لا أملك منها مليما واحداً . . نعم . . سلنى أنا فأقول لك أنك بالمال تستطيع أن تعيش وأن تسدد أجر مسكنك وأن تعلم أولادك وأن تعالجهم وتعالج نفسك إذا – لا قدر الله – مرض أحدكم أو اقتضت الضرورة إجراء جراحة له . . المال سلاح فى يدك ضد أعدائك وضدك فى يد أعدائك .

وضحكت الممثلة من قلبها وهى تنفث دخان سيجارتها وتقول .

– غريبة . . أنا أتحدث عن مزايا المال « اسمع يا أستاذ أحمد . . أنا امرأة متدينة برغم اشتغالى بفن قد يراه البعض أبعد ما يكون عن التدين . . وأعرف أن سيدنا على قال مرة . . لوكان الفقر رجلا لقتلته . . وبالتالى . . لو أنه – كرم الله وجهه – تكلم عن الغنى لقال ولوكان الغنى رجلا لقبلته . .

وضحك أحمد . .

وضحكت عفاف وقالت :

– المنطق سليم .

وأكملت الممثلة :

- وقيل فى المال إنه قطعة من الكبد . .

وبحركة تمثيلية مصت الهواء بشفتيها وهى تقول فى سخرية مرة . . كبدى عليه . . المال . . كبدى عليه . .

وأفهمها أحمد - فى أسلوب مهذب وصوت أكثر تهذيبا أنه أولا يشكر لها ولزملائها اهتمامهم بعفاف ومحاولتهم إعطاءها فرصة لا ينكر قيمتها إلا مكابر . . ولكنه . . مع ذلك . . لايستطيع أن يتصور زوجته ممثلة تحيا حياة الممثلات اللائى بالضجيج والأضواء والزحام لأنهم ناس على قدهم . . ثم أشار إلى زوجته متمما حديثه قائلاً :

- وعفاف نفسها لا تقبل . . أليس كذلك يا عفاف ؟

وكان هذا إيحاء منه لزوجته باختصار الحديث عند هذا الحد . . ولكن الممثلة الكبيرة كانت بطبعها فنانة وخبيرة . . ونظرتها لا تخيب . . وقد آمنت بعد أن شاهدت عفاف عن قرب واستجلت جمالها الفاضح وتحدثت إليها . . أن نجمة لامعة تختبئ فى أعماقها . . وأنها كسب لصناعة السينما فعادت تقول :

- ولم لا تقبل عفاف هانم . . إن التمثيل مهنة كأى مهنة أخرى . . والممثلة كالطبيبة والمهندسة والمدرسة والمذيعة والموظفة فى شركة على الآلة الكاتبة . . هذه كلها مهن شريفة والتمثيل إحداها . . وبين ممثلاتنا من يضرب بهن المثل طهارة وعفة . .

والمهنة لم تفسد إحداهن . .

والسيئات منهن - إن كان هناك سيئات - كن كذلك قبل اشتغالهن . . ما رأيك .

وابتسمت عفاف . . وخفضت عينيها . . ولم تجب .

وأحست الممثلة أن عفاف لا تمانع . . ولكنه زوجها الذى يعترض . . فأعادت سؤالها ثانية .

– ما رأيك ياعفاف هانم !

فرفعت عفاف عينيها . . وأغمضتهما وفتحتهما مرات متلاحقة . . وأضاء وجهها ثانية بابتسامة القطة وهى تقول فى صوت المغلوبة على أمرها .

– والله . . الرأى لأحمد .

وأتم أحمد حديث زوجته بصورة قاطعة وإن لم تخل من رقة وأدب وهدوء . .

–كما قلت لك يا سيدتى . . هذا مستحيل . . مستحيل . . ولن يكون . .

وجمعت هذه حوائجها . . علبة سجائرها والقداحة الذهبية وحلقة مفاتيح سيارتها . . وأحس أحمد أنها تتأهب لمبارحة مقعدها . . فابتسم وهو يقول .

– أنت أسعدتنا بجلوسك معنا هذه الدقائق . . فلم تفارقينا بهذه السرعة ؟

وكانت الممثلة قد قامت واقفة . . ومدت يدها إلى عفاف تصافحها . . والابتسامة الطيبة فوق وجهها وهى تقول :

– ربنا يحرسك لجمالك وشبابك ويرزقك بمليون جنيه ليعيش هذا الجمال عيشة أصحاب الملايين .

ولم تملك أن تمنع نفسها من أن تقبلها . . فقبلتها . . من خديها . . ومن فمها . . وبادلتها عفاف قبلاتها وهى تشكر لها رقتها وحسن ظنها . . ثم صافحت أحمد الذى شكر لها سعيها مرة أخرى . .

وعادت إلى زملائها . . الثلاثة . . وعلى وجهها الجواب مقروءاً فى وضوح .

* * *

١٠

ضمت غرفة النوم عفاف وأحمد . . وكان يزحمهما فيها ثالث . . إحساس عفاف فى أعنف صوره – بعد أن عرض عليها الاشتغال بالتمثيل مقابل ألف جنيه للفيلم الأول ورفض أحمد هذا العرض – بأنها تلك السمكة الكبيرة أسيرة الوعاء الزجاجى الصغير . . وأن مكانها البحر الواسع العريض العميق .

وران عليهما الصمت . . وراحت عفاف تنضو عنها ثياب الخروج . . ثم ارتدت قميصا من أقمصة النوم . . واقترب أحمد منها . . وضمها إلى صدره فى حنوه البالغ المعهود وهو يسألها :

– مالك ؟

وهزت رأسها يمينا وشمالا وهى تهمس .

– لا شىء .

– أراك صامتة . . لا تتكلمين . .

– ربما بعض إجهاد السهر . .

-كان الجو جميلا هذا المساء . .

ولم تجب عفاف . . بل مدت يدها إلى مائدة الزينة . . وغمست قطعة صغيرة من القطن فى محلول خاص وراحت تمر بها على وجهها . . جبينها . . جفنيها . . تحت عينيها وخلف أذنيها . .

عملية تقوم بها قبل النوم كل سيدة تعنى بجمالها .

وضمها أحمد إلى صدره مرة ثانية . .

وكان قميصها هذه المرة فى لون السماء . . شفافا ككل ما لديها . . يكشف عن تفاصيل جسمها ودقائقه وثناياه وخباياه . . وورقة التوت من تحته . . من نفس اللون والنسيج .

وطافت شفتا أحمد رحلتهما السعيدة . . فمرتا بشفتيها وخديها وشعرها وجبينها وعينيها . . وارتفعت كفه تحاول -كالعادة- أن تجمع كنزا من الكنزين الغاليين . . بينما راحت كفه الأخرى تضغط ظهرها فى حمى الرغبة وهوس العاطفة . . وهم يحملها بين ذراعيه . . فهمست فى أذنه وفى صوت متكسر .

- أحمد . . إنى متعبة الليلة .

وكانت المرة الأولى فى حياتهما الزوجية التى تحاول فيها إقصاءه عن فراشها . . فلم يأخذ قولها مأخذ الجد .

إنها زوجته . .

وهو يحبها . . وهى تحبه . .

وهى جميلة . . ومرموقة . . ولا تستطيع عين أن تتخطاها دون أن تتوقف عندها برهة تتملى فى خلالها هذا الجمال .

والليلة بهرت قوما حياتهم كلها ضوء وفن وجمال لا نهاية لنماذجه وألوانه . . ومع

ذلك . فقد كانت شيئاً جديدا عليهم فعرضوا عليها الثروة والشهرة والمجد .

إنها – قطعا – لا نظير لها فى المحيط الفنى بين المشتغلات بالتمثيل وكل هذا الحسن له . . له وحده . . السماء أقرب إليهم منها . .

وإحساسه هذا دفعه لأن يؤكد لنفسه هذه الحقيقة . . أن يزيدها تأكيدا فلم يستمع لعفاف وهى تقول له أنها متعبة . . ولم يأخذ قولها مأخذ الجد . .

فلم يعفها . .

وحملها إلى النصف شبه المظلم من الغرفة بعد أن أطفا المصباح الرئيسى وهو فى طريقه بحمله الخفيف الثمين إليه .

* * *

وهمس فى شفتيها .

– لو تعلمين كم أنت جميلة الليلة ؟

وابتسمت عفاف ابتسامة خافتة كضوء شمعة صغيرة نحيلة تراها العين من مكان بعيد . . ولم تجب بشىء . .

كانت بين ذراعيه جسداً بلا روح . . تمثالا أفنى مبدعه حياته فى خلقه فمنحه كل صور الجمال . . ولكنه عجز عن إيداعه القلب والأعصاب والغدد والدم الجارى لتؤدى جميعا وظائفها الحيوية كى تنتفض صاحبته إحساسا ونشوة واستجابة .

كان يدوب بين ذراعيها . . هامسا فى أذنيها وشفتيها بأرق وأعذب ما يمكن أن تقطر به شفتا عاشق . . فى اللحظة التى بسط خيالها ورقة وشرع قلما . . وراحت تجمع وتطرح وتضرب .

. . تستطيع أن تفعل كثيراً بألف من الجنيهات لو أن أحمد لم يقف فى طريقها

الليلة ووافق على أن يسمح لها بالاشتغال بالتمثيل . . كان محققا أن يكون فى جيبها بعد ثمانى ساعات من الآن . . مائتا جنيه . . القسط الأول من قيمة العقد . . ولو أن شيئا من هذا قد تم . . لحملها قطار الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم – وأحمد إلى جانبها فى إحدى المركبات مكيفة الهواء – إلى الإسكندرية – ما الذى يدعوها للبقاء فى القاهرة ساعة واحدة فى هذا القيظ وفى حقيبة يدها مائتاجنيه ! !

وتذكرت سيارة مراد . . وأنها رهن إشارة منها . . فرجحت كفتها كفة قطار السكة الحديدية وسيلة للسفر . . ستكون بحاجة للسيارة فى الإسكندرية .

وابتسمت لضخامة المبلغ .

إنه خمسة أمثال مرتب زوجها . . واتسعت ابتسامتها عندما تذكرت أن المائتى جنيه ليست إلا دفعة أولى تليها أربع دفعات أخرى مماثلة .

وطبقت القاعدة التى رسمت الطريق لشهيرات النجوم على نفسها . . وبعملية حسابية بسيطة خرجت بنتيجة ضخمة . . فقطعا سيرتفع أجرها بعد الفيلم الأول أو الثانى إلى ألفين أو ثلاثة آلاف وربما أربعة آلاف جنيه عن الفيلم الواحد . . فلو مثلت أربعة أفلام فى العام لتراوح دخلها بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا من الجنيهات . . وفى خلال أعوام لا تتعدى أصابع اليد الواحدة تستطيع أن تقيم فى الزمالك مبنى من عشرة طوابق . . تسكن الطابق الأعلى منه وتؤجر التسعة الباقية بألفى جنيه شهريا . . وتملك السيارة والثلاجة الكهربية وسخان الماء . . وتعكس الثريات البللورية الضخمة أنوارها على أثاث بيتها . كأختها أمينة تماماً . . بل إنها تستطيع أن تزود مسكنها بجهاز لتكييف هوائه فيجعله دافئاً فى الشتاء رطبا فى الصيف . .

ولن تصبح أوربا بالنسبة لها أبعد بكثير من الإسكندرية . . أن المال معها خادم

أمين مطيع ذلول . . به تضع قدمها فى إحدى الطائرات بعد تناول إفطارها فى القاهرة لكى تتناول غذاءها فى روما أو فى باريس . . وتستطيع أن تسأل شقيقتها قبل أن تركب الطائرة عما تريده من الخارج لتحضره لها معها . . تماما . . كما تسألها شقيقتها .

وتنهدت من أعماقها . .

وتنبه أحمد لتنهيدتها . . فماتت القبلة على شفتيه وقد هم باعتصار شفتيها وهو يقول فى عتب .

– أنت لست معى الليلة .

وهنا فقط أفاقت من أخيلتها . . وتذكرت أنها مازالت بين ذراعيه . . ونظرت إليه من خلال أجفان نصف مغلقة على البحيرتين الخضراوين الصافيتين وهى تقول :

– ألم أقل لك أننى الليلة متعبة .

وأحس أن عليه أن يرحمها . . فلم تمض ثوان حتى هدأ بين ذراعيها . . ثم سحب نفسه بلطف إلى جانب من الفراش .

وللمرة الأولى فى حياتها أحست بتفاهة شأنها وشأن أية امرأة أخرى . . وزحف إلى نفسها ملال وزهد وقرف . . من كل شيء . . من نفسها . . من حياتها . . من كونها امرأة . . من وظيفتها امرأة . . من فراشها . . من أحمد . . من رقدته إلى جانبها مستريحا قريرا سعيداً هادئاً بعد أن ألقم الحيوان الكامن فى أعماقه وجبة شهية دسمة من شبابها وجمالها وأعصابها فى لحظة كانت أبعد ما تكون تهيوءاً أو استعداداً لتقديم هذه الوجبة .

وأطفأ أحمد المصباح الصغير الموضوع بجانب الفراش . . فسبحت الغرفة فى

ظلام شامل إلا من شعاع بعض أضواء شارع شنودة كانت تتخلل خصاص النافذة الخشبي .

وأولت عفاف أحمد ظهرها . . وسحبت ملاءة خفيفة فوقها . . وبدأت تحاول النوم . . ولم يمض قليل حتى وصلت إلى أذنيها أنفاس أحمد هادئة منتظمة رتيبة . . بينما ظلت هي تعانى يقظة غريبة غير مألوفة . . وخيل إليها أن عدوى النوم ستنتقل إليها من أحمد فى خلال دقائق . . ولكنها لم تنم . . كانت تحس أن شيئاً غريباً يعبث بجنبها الأيمن . . وظل هذا العبث يزداد ويتضاعف فأورثها قلقا أليما ممضا . . إنها تتقلب على جنبيها . . يمينا ويسارا فلا تجد الراحة فى يمين أو يسار فتسترخى على ظهرها . . ثم لا تلبث أن تحس برغبة ملحة لأن تنثنى بجذعها إلى جهة اليمين . . فتطيع هذه الرغبة لعجزها المطلق عن مقاومتها . .

وعز عليها النوم . . وأحست أن سكينا تالمة تخرط شيئا بداخلها فهبت قاعدة فى الفراش وهى تصرخ صرخة مكتومة هب أحمد على أثرها مذعورا وقد فر النوم من جفنيه .

– مالك ياعفاف ؟

وشرحت له مابها فى صوت متقطع . . وفى كلمات غير مرتبة . . كان واضحاً أنها تعانى آلاما مبرحة . . وسألها أحمد .

– أين ؟ أين تحسين هذا الألم بالضبط .

وتناولت يده دون أن تتكلم . . فوضعت إصبعه على أسفل بطنها من الجهة اليمنى . . وحاولت أن تكتم صرخة أخرى فلم تفلح . . وتمزق قلب أحمد رحمة وحنانا . . وقفز من الفراش وألقى فوق كتفيه رداء منزليا ودس قدميه فى حذاء خفيف بلا جورب وهبط إلى الشارع .

وكانت الساعة الثالثة صباحا . . وكان يعرف أن المخبز الذى يقع فى نهاية شارع شنودة هو المكان الوحيد الذى لا يغلق أبوابه أبدا . . فأسرع إليه واتصل عن طريق المسرة بجماعة الإسعاف .

* * *

١١

بعد عشرة أيام من هذه الليلة . . بارحت عفاف مستشفى الروضة مستندة إلى ذراع أحمد . . وسار معها إلى باب المستشفى الطبيب الجراح الذى أجرى لعفاف جراحة الزائدة الدودية . . وعندما ودعاه شاكرين له عنايته قال لها .

– يحسن أن تسافر الهانم إلى أى مصيف . . الإسكندرية مثلا لتمضى هناك أياما تستجم فى خلالها بعد الجراحة هربا من قيظ القاهرة .

وكرر الاثنان شكرهما للطبيب الجراح . . وساعد أحمد عفاف على ركوب السيارة ثم صعد إلى جانبها . . وأمر سيد السائق بالتوجه إلى شبرا . .

وفى الطريق بين المستشفى والمنزل – اتفق الاثنان على السفر عصر اليوم التالى ليصلا الإسكندرية عند الغروب . . وفى وقت تكون الحرارة قد هبطت حدتها . . ووقفت بهما السيارة أمام المنزل . . وقبل أن يبرحاها . . ألقى أحمد تعليماته إلى سيد السائق وطلب منه أن يوافيهما فى تمام الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى ليكونوا فى الإسكندرية فى تمام السابعة .

كيف تصرف أحمد تلك الأمسية التي أحست عفاف فيها بتلك الآلام المبرحة التي أسفر التشخيص عن حقيقتها فإذا بها نوبة مفاجئة من نوبات احتقان المصران الأعور التي استدعت إجراء جراحة عاجلة .

كان يجري في الطرقات كمجنون . . يسابق ظله . . والساعة المضيئة في معصمه تشير إلى منتصف الرابعة صباحا . . إنه حائر لا يدري ماذا يصنع ولا كيف يتصرف . .

الطبيب الذي أيقظوه في هذه الساعة فأسرع إلى المستشفى وقام بفحص عفاف قرر إجراء الجراحة فوراً . . وأحد مساعديه همس في أذن أحمد أن أتعاب الجراحة ثلاثون جنيها يضاف إليها أجر إحدى غرف الدرجة الأولى عن الفترة التي ستمضيها المريضة فيها والتي تقدر عادة في مثل هذه الحالات بعشرة أيام .

ولم يدع أحمد مساعد الطبيب يتم حديثه فطلب من الطبيب أن يقوم بإجراء الجراحة في الحال .

وراح يفكر . . .

إن أتعاب الطبيب وأجر المستشفى لن تقل بحال عن ستين أو سبعين جنيها لا يملك منها في جيبه أكثر من ثمانية . . إنه لا يعرف أحدا ينقذه من هذا المأزق ولا صديق له يستطيع أن يلجأ إليه في مثل هذا الظرف الطارئ الدقيق . . وأي موظف هذا الذي يملك ستين أو سبعين جنيها في أية مناسبة ! !

ورفع عينيه إلى السماء وهو يشد أعصابه وقال في تضرع :

– يارب . . أنت عالم بالحال . . فلماذا ؟ ؟ لماذا يارب ؟ ؟ ومن أين المال ؟ ؟ من أين ؟

وعديله كمال بعيد عن القاهرة . . كان من الممكن – لو لم يكن غائبا في أوربا

أن يلجأ إليه . . فكمال كريم . . ومروءته ليست موضع مناقشة . . وهو يحمل لعفاف إعزاز الأخ الأكبر لأخت صغيرة عزيزة مدللة . . وهى – بعد – الشقيقة الوحيدة لزوجته .

وقالها فى تضرع مرة أخرى .

– يارب . .

ولم يشفعها بعتب كما فى المرة الأولى .

ولمعت فى ذهنه بارقة ، فانطلق إلى داره تاركا زوجته بين يدى الطبيب ومساعديه . . إن فى بيته مائة جنيه أسقطها من حسابه . كان قد نسيها تماما . . وكان يعلم أين تحتفظ عفاف بهذه الجنيهات المئة التى استودعها مراد إياها ليلة سفره منذ أكثر من شهرين .

وعاد إلى المستشفى . . وكانت عفاف فى غيبوبة المخدر بين يدى الجراح . . وأمضى دقائق رهيبة . . يذكرها جيدا . . وسيظل يذكرها مدى حياته . . كان القلق على حياة زوجته يمتص قواه . . فكان يروح ويجئ فى ردهة المستشفى أمام الحجرة التى تجرى فيها الجراحة حاسبا الزمن بدقات قلبه . . ولم يعد يفكر فى أى شىء إلا فى التطلع إلى السماء ، من إحدى النوافذ المفتوحة المطلة على الظلام والسكون وحديقة المستشفى وهو يردد دعاءه .

– يارب .

ومرت به الدقائق سنين طويلة قبل أن يفتح باب الغرفة ويخرج الطبيب ليقول له .

– مبروك .

وفى هذه اللحظة جرت دموعه فوق خديه . .

كانت حاله قبل أن يطمئنه الطبيب إلى نجاح الجراحة ونجاة زوجته أكثر من أن تسمح لدموعه بتفريج كربته . .

وسألته عفاف – وقد انقضت الأسابيع الثلاثة التى أمضياها فى الإسكندرية – ولم يبق على عودتهما إلى القاهرة غير أمسية واحدة .

– ماذا ستقول لمراد يا أحمد !

– لا شيء إلا ما حدث . . وبكل بساطة . . يامراد . . إن عفاف أصيبت بالتهاب الزائدة فاضطررت للتصرف فى الأمانة التى تركتها فى عهدتى . . لقد فاجأنا هذا الظرف الطارئ ولم أكن مستعدا له على أية صورة . . وأرجو أن أتمكن من الوفاء لك بهذا الدين فى أية مناسبة قريبة .

وسألته عفاف وهى تتشاغل بإبرة ترسم بها رسوما مختلفة الألوان فوق قطعة من نسيج خشن مشدودة على طوق رفيع من الخيزران .

– وماذا تظنه يقول يا أحمد ؟

– وهل هناك ما يقال فى مثل هذه الحالات ؟

– أعنى ماذا سيقول عنا .

– لا شيء أبداً . . سيقول أرأيت أننى كنت ملهما وكأن قلبى كان يشعر بما فى الغيب عندما صممت على أن أستودعك أنت بالذات هذا المبلغ دون بقية الأصدقاء .

وسكت أحمد قليلا ثم أتم حديثه قائلاً :

– ولن يدهشنى أن يسألنى إن كنت فى حاجة لأى مبلغ آخر . أنت لا تعرفين مرادا ياعفاف . . إنه شيء آخر . . هذا فوق أنه صديق بأوسع معانى الكلمة . .

وأضاف أحمد – وكأنه تذكر شيئا كان غائبا عن باله .

– ألا تلاحظين أننا فى غفلة عن حلول موعد عودته يا عفاف . . إننا فى التاسع والعشرين من أغسطس . . ولن تمضى أيام حتى يكون فى القاهرة . . هكذا انقضت الأشهر الثلاثة .

وأجابته عفاف وهى مازالت ترسم بالإبرة والخيوط الملونة فوق قطعة القماش المشدودة على طوق الخيزران .

– لحسن الحظ أننا سنعود غداً إلى القاهرة مادام حضوره أصبح متوقعا بين يوم وآخر . .

إذ ليس من اللائق أن يصل فلا يجد سيارته ، وهو بطبيعة الحال لا غنى له عنها فى تنقلاته وعلى أية حال فأنت أيضاً ستستأنف عملك فى اليوم الأول من سبتمبر .

ونظر أحمد إليها . .

لقد أفادها هواء الإسكندرية . . وأفادها التغيير . . فازدهر الورد ثانية فوق خديها وكانت الجراحة قد أذبلته . . وعاد إلى المتاهتين العميقتين الصافيتين – عينيها – لمعانهما وسحرهما . . وغاضت إمارات الملل والعناء وتوتر الأعصاب من وجهها وحلت محلها ابتسامة القطة المرحة السعيدة . . وأحس أن السماء لم تتخل عنه فى محنته .

واتفقا على أن يبرحا الإسكندرية صباح اليوم التالى فى ساعة مبكرة منه ليكون فى بقية اليوم فسحة يستطيع سيد السائق فى خلالها أن يذهب لإحضار سيدة – الخادم – من بيت ذويها لتقوم على تنظيف المسكن بعد أن ظل مغلقا مهجورا ثلاثة أسابيع . . حتى إذا ما جاء الليل استطاعا أن يناما فى جو نظيف لا أثر فيه للأتربة ورائحة الإهمال .

. . وفى القاهرة وجدا رسالة من مراد تنتظرهما فى صندوق الخطابات الخاص

بأحمد . . حدثهما فيها عن مؤتمر فينيس للسينما والأفلام التى فازت بجوائز الأوسكار وعن الممثلين والممثلات وبقية الشخصيات العالمية التى تجتذبها المؤتمرات السينمائية من أقصى بقاع الأرض ولم يفته أن يذكر أنه كان يتمنى لو أنهما – أحمد وعفاف – كانا فى صحبته ليمضيا أجمل أيام العمر . .

وفى النهاية قال إنه سيكون فى القاهرة فجر اليوم الثلاثين من أغسطس . . وبادل أحمد عفاف نظرة وقالا معا .

– فجر اليوم الثلاثين ؟ ؟ ؟ يعنى اليوم . . إنه فى القاهرة إذن . .

وأسرع أحمد يريد أن يبرح المسكن ليستفسر إذا كان مراد قد وصل إلى القاهرة فعلا أم لا . . ولم يكد يخطو نحو الباب حتى أز الجرس . . ففتحه . . وإذا به أمام مراد . . وجها لوجه .

وتعانقا . عناقا حارا . . وتبادلا القبلات . . وكل منهما يربت كتفى الآخر بكفيه . . وعفاف واقفة تهتز من المفاجأة . .

إنها ترى السائق سيد . . خلف سيده واقفا بالباب يحمل صناديق مختلفة الألوان والأحجام . . مرصوصة بعضها فوق بعض . . وأكبرها – وهو الذى استعمل قاعدة لما فوقه – مكتوب عليه باللغة الفرنسية وبحروف واضحة تكاد تكون بارزة اسم كريستيان ديور .

وفرغ أحمد ومراد من عناقهما وتبادل التحيات والقبلات . . وابتسم مراد وهو ينظر إلى عفاف واقفة فى جمال الغزال الصغير الذى لم تمض على ولادته سوى أيام . . ومد يده مصافحا وهو يقول فى رقته المألوفة :

– أوحشتنى جدا ياعفاف هانم .

ولم يكن يستطيع أن يقول أكثر من هذا أو يفعل أكثر من هذا .

فمدت له يدها الصغيرة مصافحة . . فرفعها إلى شفتيه ومس بهما أطراف أصابعها . . وسمعها تقول له :

– وأنت . . أوحشتنا أكثر . . حمدا لله على السلامة .

وكانت ابتسامة القطة مرتسمة على وجهها .

والتفت مراد إلى سائق سيارته الواقف بالباب وقال له :

– ضع هذه الأشياء فوق هذه المائدة يا سيد وانتظرنا فى السيارة .

ودخل السائق . . وراح يصف الصناديق مختلفة الألوان والأحجام فوق سطح المائدة التى تتوسط ردهة المسكن ثم انصرف وأغلق الباب خلفه فى هدوء .

وقال أحمد :

– أهلا يامراد . . أهلا وسهلا . . أوحشتنا كثيراً . . أتعرف أننا لم نتسلم خطابك الأخير إلا الآن ؟

– أخبرنى سيد أنكما عدتما اليوم فقط من الإسكندرية .

ثم التفت إلى عفاف وهو يقول :

– تألمت كثيرا لغيابى عن القاهرة فى أثناء إجراء الجراحة لك وإقامتك فى المستشفى . . لقد علمت هذا من سيد .

واتسعت ابتسامة عفاف وهى تقول :

– شكرا . . كأنك كنت معنا تماماً . .

والتقط أحمد طرف الحديث من زوجته فقال :

– بهذه المناسبة يامراد . . لقد فاجأنا هذا الظرف العصيب ، ضرورة إجراء الجراحة لعفاف . . وفى الرابعة صباحا . . فاضطررت للتصرف فى الأمانة التى استودعتنا إياها قبل سفرك . .

ونظر مراد إلى أحمد . . وراح ينقل عينيه بينه وبين عفاف والابتسامة الهادئة الآسرة فوق وجهه وهو يقول :

– إذن فقد كنت ملهما صادق الإحساس . . كأن قلبي كان يقرأ المكتوب عندما رجوتك أن تحفظها معك . . أنا ألح وأنت تعتذر . . لولا عفاف هانم التي قبلت رجائي .

وتبادل أحمد وعفاف نظرة . . وابتسما ابتسامة لها دلالتها . . كان كل منهما يقرأ ما بنفس الآخر .

وسألها مراد :

– لماذا تبتسمان !

فأجابه أحمد .

– لأنك تقول عين ما قلت لعفاف عندما سألتني ماذا سيقول مراد عندما أخبره بأننا اضطررنا للتصرف فى المائة جنيه . . عين ما قلته والله يامراد . . مع تغيير طفيف فى الألفاظ .

والتفت مراد إلى عفاف وهو يقول فى لهجة عتب رقيق .

– ماذا كنت تظنينني قائلا ياعفاف هانم ؟

ونكست عفاف رأسها فى خجل وهى تقول :

– لا شيء . . فقط . . كنت أحب أن أرد لك الأمانة التى استودعتني إياها بمجرد عودتك . . إننى مسئولة عنها .

وأضاف أحمد .

– إننى أرجو أن تهيأ لى الظروف لأردها لك فى أول فرصة يا مراد .

واتسعت ابتسامة مراد وهو يقول فى لهجة تكسوها الألفة .

– هذا دين عفاف هانم ولا شأن لك به .
وضحك الثلاثة . . ثم اتخذ صوت مراد نبرة الجد وهو يسأل أحمد :
– ألست فى حاجة لأى مبلغ آخر يا أحمد ؟
وضحكت عفاف بصوت مسموع لأول مرة . . وسألها مراد سر ضحكها فقالت :
– كل ما توقعه أحمد يحدث الآن .
وأتم أحمد قولها قائلاً :
– هذا صحيح يامراد . . لقد قلت لها لن يدهشنى أن يسألنى مراد إن كنت فى حاجة لأى مبلغ آخر .
وأخرج مراد حافظة نقوده من جيبه وهو يقول :
– أرجوك يا أحمد . . إنك بطبيعة الحال اضطررت لنفقات استثنائية كثيرة . . فخذ ما أنت بحاجة إليه .
وربت أحمد يد مراد الممدودة بحافظة نقوده فى رفق وهو يقول :
– شكراً يا مراد . . لقد وفت المائة جنيه بأجر الجراح والمستشفى وقضاء ثلاثة أسابيع فى الإسكندرية . . لقد كانت عفاف بحاجة ماسة لبعض التغيير بعد التئام الجرح . . ولقد أفادها هذا التغيير كثيراً .
ورد مراد الحافظة إلى جيبه ثانية ونظر إلى عفاف والابتسامة على وجهه وهو يقول :
– سلامتك ياعفاف هانم . . ألف سلامة .
وأجابته عفاف وعيناها لا تنظران إلى عينيه :
– الحقيقة . . هذه الأسابيع الثلاثة كانت من أجمل الأيام التى أمضيتها فى

الإسكندرية . . والفضل الأول لوجود السيارة معنا .

وصمتت لحظة ثم أضافت :

– والغريب أن عطلة أحمد السنوية تنتهى مع موعد عودتك . . فعدنا جميعاً في يوم واحد . . نحن من الإسكندرية . . وأنت من أوربا .

وأجابها مراد :

– فى العام القادم نعود جميعاً من أوربا معا .

« وتنبهت عفاف إلى أنهم مازالوا وقوفا فى ردهة المسكن » فقالت :

– ياخبر . . لقد أوقفناك كل هذه المدة . . تفضل . . تفضل هنا . .

وأشارت إلى غرفة الضيوف وهى تقول :

– لحسن الحظ أن سيدة قد فرغت تقريبا من التنظيف . . لقد أحضرها لى سيد فى عشر دقائق . .

ولكن مراد سحب مقعدا من المقاعد المحيطة بالمائدة وهو يقول مبتسماً :

– أعندك مانع من أن أجلس هنا ؟

– أبدا . . تفضل . . ولكن المكان غير لائق .

وجلس مراد وهو يقول :

– اجلسى . . اجلسى ياعفاف هانم . . اجلس يا أحمد .

وسحب كل منهما مقعدا . . وجلسا . . عفاف عن يمينه وأحمد عن يساره . .

وقالت عفاف لم نقدم لك شيئاً مرطباً فى هذا الحر .

– لا أريد شيئاً .

ولكن عفاف همت بالقيام وهى تقول :

– مستحيل .

فأمسك بمعصمها بلطف وهو يقول :

– أرجوك . . اجلسى . . سأطلب كل شىء بنفسى عندما أريد . . هذا بيتى .

وسحب صندوقا من الصناديق التى صفها السائق فوق سطح المائدة وفتحه وأخرج ما فيه . . وفتح صندوقاً ثانيا وأخرج ما فيه . . وثالثا ورابعا وخامسا . . وأحمد وعفاف مشدوهين يتبادلان النظرات . . والتفت مراد إلى أحمد وقال :

– أحمد . . هذه ست سترات صيفية من إيطاليا . . لكل سترة سروالها . . ويبدو جمالها أكثر وأوضح إذا لبست سترة إحداها مع سروال أخرى .

وهتف أحمد مذهولا :

– مراد . . .

وأشار مراد له بيده كمن يرجوه الصمت ثم استأنف حديثه :

– وهذه ستة أربطة عنق « من بيير كاردان » من باريس . . لكل منها منديلها وجوربها . . هذه هى الجوارب . . وهذه هى المناديل .

وهتف أحمد ثانية :

– مراد . .

– وهذه ساعة من الذهب بسوارها من سويسرا .

وهتف أحمد مرة ثالثة :

– مراد . . ما هذا كله .

– لقد أحضرت لك مثل ما أحضرت لنفسى .

ووضع سبابته على شفتى أحمد فى حركة مداعبة لطيفة وهو يقول :

سكوت أرجوك .

ثم التفت إلى عفاف وهو يقول :

– وأنت ياعفاف هانم .

وكانت عفاف قد ارتكزت بخدها إلى راحة يدها وهى تنظر إلى هذا الإنسان الخرافى . ولم ينظر لها مراد حتى لا يدع لها فرصة لمقاطعته .

– هذا حرير من إيطاليا . . من فلورنسا على وجه التحديد . . كل قطعة خمسة أمتار وأخرج بضع قطع مختلفة الألوان .

– وهذه عطور من باريس . . هذه أربيج . . وهذه ماجريف وهذه مس ديور وهذه كابوشار وهذه فيدجى .

ووضع القوارير الخمس ضخمة الأحجام أمام عفاف . . ثم نظر إليها وهو يقول :

– أرينى كفك .

ولم تفهم عفاف ما يريد فأعاد عليها القول .

– أرينى كفك .

وأمسك بكفها فتركتها له . . ففتح صندوقاً صغيرا وأخرج منه تحفة جميلة لا تزيد فى حجمها عن المصحف الذهبى الصغير الذى يتدلى من عنقها ويرقد بين نهديها .

وسأل أحمد :

– ما هذا يامراد ؟

وسألت عفاف عين السؤال :

فسألها مراد :

– أيزيد هذا حجما عن علبة المصحف هذه التى تتدلى من عنقك ؟

فهزت عفاف رأسها نفيا وهى تبتسم . . ووضع مراد هذا الشىء الصغير

الجميل . . هذه التحفة المفرحة فى كفها . . وضغط زرا صغيرا فى أحد جانبيها وإذا بصوت عبد الوهاب ينطلق « مضناك جفاه مرقده » .

وصاحت عفاف صيحة فرح .

– راديو ؟

وأجابها مراد :

– آخر صيحة فى الصناعة اليابانية . . إنه أصغر راديو فى العالم ولم يطرح فى الأسواق للبيع بعد .

وقلبت عفاف الجهاز الفريد بين يديها وهى تقول :

– قرأت عنه كثيراً . . ولم أكن أتصور أننى سأمتلكه أبدا . . ما أجمله . . انظر يا أحمد .

وتناوله أحمد منها وقلبه بين يديه فى بهر وإعجاب وهو يقول :

– هذا أجمل ما رأت عيناى .

وأضاف مراد :

– تستطيعين أن تضعيه فى حقيبة يدك ولن يزحمها أبدا بحجمه الصغير هذا . . فيصحبك إلى أى مكان . . وأينما كنت تستطيعين أن تستمعى إلى أية إذاعة من إذاعات العالم . وهذا الصندوق مملوء بالشحنات الكهربية الخاصة به تكفيك مدة عام طويل مع الإسراف فى استعماله .

وقدم لها صندوقا صغيرا من الورق المقوى ثقيل الوزن برغم صغر حجمه .

– الله . . آية فى الجمال . . هذا كثير . . كثير جدا يامراد بك .

ولم يعلق مراد على قولها . . والتقط علبة صغيرة طويلة مكسوة بالمخمل الأحمر الجميل وفتحها عن ساعة أنيقة من البلاتين المرصع وهو يقول فى بساطة .

– وهذه ساعة من كارتييه .

قالها وكأنه يقول هذه ساعة من الموسكى .

وقبل أن تشهق عفاف بهرا وإعجابا . . تناول الصندوق الكبير . . أكبرها حجما . . وفتحه وهو يقول .

– هذا الثوب اختاره لك إيف سان لوران بنفسه من خلاصة ما عرض فى الحفل الذى كتبت لكما عنه . . تعرفين أن إيف سان لوران هو خليفة كريستيان ديور . . بعد وفاته منذ سنوات .

وشلت المفاجأة يدى عفاف فلم تقو على مدهما لإخراج الثوب من صندوقه فاستحثها مراد مشجعا .

– هيا . . أخرجيه لترى ما إذا كان يعجبك ذوق خليفة ديور أم لا ؟ .

ومدت عفاف يدين مرتعشتين . . وأخرجت الثوب . . وليست تدرى كيف كانت ناسية إلى الآن أمر الفراء الذى أرسله لها مراد . . والآن فقط تذكرته . هذا الثوب ذكرها به . . فإنه شىء لا يقل عنه جمالا ولا روعة ولا وقعا فى نفس من يراه . . وراح أحمد يتأمل الثوب الأبيض الفريد دون أن يفتح فمه بكلمة . . وقال مراد .

– الفراء الذى أرسلته لك – بهذه المناسبة – هل أعجبك ؟

وتصاعد الدم إلى وجنتى عفاف . . وأحست بعجزها تماماً عن الإجابة . . وأخيراً قالت .

– هذا سؤال تعجزنى الإجابة عليه يامراد بك . . إن سيستوفاريس نفسه لم يستطع أن يخفى إعجابه الشديد به .

وابتسم مراد وهو يقول :

– مبروك ياعفاف هانم . . الحقيقة أننى أحسست بأسف شديد لعدم وجودك أنت وأحمد معى يوم عرض بيت دبور أزياءه الجديدة . . كنت أحب أن تكونى هناك لتختارى بذوقك الثوب الذى يروق لك . . واستبدت بى الحيرة لأننى لم أكن أود أن أستأثر برأيي . . وأخيراً استطعت أن أنفرد لحظات بهذا الرجل العجيب الذى لا تعصى له المرأة فى العالم كله أمرا . . يكسوها إذا أراد . . ويعريها إذا أراد . . وسألته أن يختار ثوبا لشقيقة عزيزة على . . ووصفتك له . . فاختار هذا الثوب وكانت ترتديه فتاة عارضة لها قوامك ومقاييس جسمك تقريباً . . إنه ثوب وحيد . . أعنى غير مكرر . . ولقد أرادت الممثلة الأمريكية إليزابيث تيلور أن تأخذه – وكانت هناك وأعجبها – ولكن إيف أفهمها بلطف أنه قد بيع . . ثم أشار إلى وهو يقول لها بإنجليزيته التى تشوبها لكنة الفرنسيين :

– هذا السيد اشتراه لشقيقته الجميلة .

وقالت عفاف :

– الحقيقة أننى لا أعرف ما أقول يامراد بك . . هذا فوق . . فوق الكثير .

– أرجو أن يكون على قدك بالضبط حتى لا تعبث به يد بتوسيع أو تضييق .

ووقفت عفاف . . أمسكت الثوب من مكان الكتفين ثم بسطته فوق جسمها وهمست كأنما تقول لنفسها :

– أظنه على قدى بالضبط .

– مبروك ياعفاف هانم .

واعتدل أحمد فى جلسته وواجه مراد بقوله :

– اسمع يامراد . . أنا لن أحاول أن أشكرك أو أفتعل الأسف لكل هذه التكاليف . . فما لا شك فيه أن الوفاء بشكرك سيعجزنى . . هذا أولا . . وثانيا . .

إن ما فعلته هذا . . لاشك أنه يهز أى قلب فرحا . . ولكن يلح على سؤال واحد تحيرنى الإجابة عليه . .أنت خارج من هنا بعشرين جنيها فكيف اشتريت كل هذا ؟

وابتسم مراد .

وتنبهت عفاف للسؤال . لأنها ألقته على نفسها قبل ذلك عندما أرسل مراد لها الفراء . . من أين له المال فى الخارج لكل هذا ؟

وجاءها الجواب على لسان مراد . . تماما كما استنتجته من قبل .

– مسألة فى منتهى البساطة . . فوالدى رحمه الله كان يمضى فى الخارج أكثر مما يمضى فى مصر بسبب حالته الصحية . . فكان له فى معظم مصارف أوربا أرصدة ضخمة . . كل بلد وعملته . . فلما توفى . . أبقيت أنا هذه الأرصدة كما هى لأنتفع بها عند حلولى فى أى بلد من هذه البلاد . . أرصدة متروكة من سنين . . من قبل الثورة .

. . وكمن تذكر شيئاً كان قد نسيه بالمرة . . فصاح وكأن كارثة كادت تقع لولا لطف الله .

–كدت أنسى . . كدت أنسى . . كدت أنسى . .

وأخرج من جيب سترته الداخلى علبة أنيقة جميلة معطرة . . لم تكد عفاف تراها حتى ابتسمت لها . .

كانت بينهما – بين عفاف والعلبة – معرفة سابقة . . فقالت على الفور .

– هذا أحمر الشفاه الذى استعمله .

وتبارى أحمد وعفاف فى التعبير عن شكر يعجز كليهما عن وصفه . . ثم اقترح مراد أن يتناولوا ثلاثتهم طعام الغذاء – وكان موعده قد حل – فى أحد المطاعم وتبادل الاثنان نظرة . . وكاد أحمد يقترح شيئاً آخر . . ولكن مراد لم يتح له

الفرصة إذ قال :

– قطعا . . ليس فى البيت شىء معد للأكل . . وستبعثان لشراء شىء مطهو من السوق . . ف . . رمرمه برمرمة . . نرمرم معا .

وضحكت عفاف من قلبها . . وقامت وجمعت الأشياء عن سطح المائدة . . وأعادت كل شىء إلى صندوقه كما كان . . ثم حملت الصناديق بمحتوياتها الخفيفة الثمينة واتجهت إلى غرفة نومها وهى تقول :

– لحظة واحدة لأغير ثوبى .

وألقت بما تحمل فى قاع خزانة الملابس . . وأسرعت فنضت عنها ثوبها الذى كانت ترتديه وراحت تحاول اختيار غيره .

وبدت لها كل أثوابها غير لائقة . . تضاءلت جميعها فجأة فى عينيها . . فهذا لا تستطيع أن تخرج به مع مراد لأنها خلعته لتوها لتستبدل به غيره . .

وهذا الأزرق كانت ترتديه أمس فى الإسكندرية ورطوبة الجو جعدته وأفسدت هيأته .

والأصفر هذا هدية من شقيقتها أمينة فى إحدى المناسبات . سقطت الوردة التى كانت تزين كتفه وهو يبدو بدون هذه الوردة ناقصا ، لا رونق له ولا بهاء . . وإلى أن تشترى له وردة أخرى جديدة . . لن تستطيع أن ترتديه .

والوردى هذا من السنة الماضية وقد زال طرازه وعفى . .

وهذا لا يلبس فى أثناء النهار أبدا . . إنه لا يلبس إلا فى الليل . .

ومطت شفتيها إحساسا بعدم الرضى عن أى شىء تضمه خزانة الملابس . . ولكنها يجب أن ترتدى أى شىء لتخرج به لتتناول الغداء مع زوجها وصديقه أخيراً . .

سحبت ثوبا مكونا من قطعتين من الحرير الأبيض وأصلحت من زينتها أمام المرآة . . وعقدت نهاية ضفيرتها الفاحمة الغليظة بشريط القطيفة الأسود . . ثم وضعت خلف كل من أذنيها قطرة من عطر « مس ديور » الذى أهداها مراد إياه منذ لحظات .

كانت المرة الأولى التى تحمل مائدة زينتها قارورة من هذا العطر . كانت تراها كثيراً معروضة خلف الوجهات الزجاجية للمتاجر الكبرى . . وعند قاعدتها بطاقة صغيرة تعوى بالثمن . . عشرون جنيها . . وفى حجم أصغر من حجم هذه القارورة التى أحضرها لها مراد . . ولطالما تمنتها . . ولكنها لم تحاول أبدا أن تشير إليها بكلمة فهى تعلم أن مجرد التفكير فى الإيحاء إلى أحمد بشرائها ضرب من السفه أو الجنون . . خطيئة . .

ولكنها الآن فوق مائدة زينتها . . وفى حجم ضخم فريد . . أنها لم تر ، هذا الحجم فى القاهرة من قبل . لم تره فى أى متجر من المتاجر الكبرى التى تعرض وتبيع هذه « الخطايا » الثمينة العالية .

وألقت نظرة إلى القارورات الخمس مس ديور . . وبجانبها الأربيج والماجريف وكابوشار وفيدجى مصفوفة ملتصقة ببعضها . . معكوسة فى صقال المرآة خلفها . . وابتسمت . . وتناولت حقيبة يدها . . وبارحت الغرفة إلى ردهة المسكن حيث ينتظرها . . الزوج . . وصديق الزوج .

١٢

وحملتم السيارة إلى مطعم الأرميتاج أسفل مبنى الإيموبيليا . . فى شارع شريف . . وعندما أفسح لها مراد وزوجها الطريق لتتقدمها ـ داخلة همست والابتسامة فوق وجهها .

لم أكن أتصور أن مطعما فى هذا المكان .

وخطت إلى الداخل . . والنوبى الصغير يمسك بالباب ويحييها بابتسامته المضيئة اللامعة . . والعمامة البيضاء فوق رأسه فى حجم نصف جسمه الصغير كله .

وبهرها المكان . . فهو أحد مطاعم الدرجة الأولى فى القاهرة . . وللتو . . خيل إليها أن مرادا يكاد يكون أحد مالكيه . . مالكى المطعم . . فالجميع يحيونه فى احترام عميق . . بل إن رجلا تقدم منه . . تبدو عليه مظاهر الهيبة والنعمة . . وراح يرحب به .

– أهلا مراد بك . . الحمد لله على السلامة .

وبادله مراد تحيته وشكر له . . ثم رأت وسمعت الرجل الذى تبدو عليه مظاهر

الهيبة والنعمة يأمر بعض القائمين على الخدمة – وكلهم فى ثياب رسمية منشاة لامعة – أن يعدوا مائدة معينة .

وعرفت فى الحال أنه صاحب المكان ومالكه .

إن مرادا شخصية فذة دون أدنى مناقشة . . الجميع يعرفونه . . وأينما حل . . فالحفاوة به بالغة وصادقة . .

وجلسوا حول مائدة منزوية . . تزينها آنية تضم ثلاث وردات حمراء قانية نضرة . . وجاء الرجل الذى تبدو عليه مظاهر الهيبة والنعمة – صاحب المكان ومالكه – جاء بشخصه ليستمع إلى رغبات مراد لكى يشرف هو على تنفيذها .

وأحست عفاف أن مائدتها تلقى من العناية أكثر مما تلقى أية مائدة أخرى .

وتناولت أشهى غداء تناولته فى حياتها . . وجاءتها مصفاة القهوة الفضية اللامعة . . وراحت ترقب القهوة تتساقط منها فى القدح قطرة فقطرة . . خلاصة البن وعطره وعصيره . . وكانت شيئا جديدا عليها لم تره من قبل . . إنه شىء جميل أن تجهز القهوة أمام شاربها على الطريقة الفرنسية . . وفوق مائدة الطعام بعد الفراغ منه مباشرة بواسطة هذا الجهاز الفضى الجميل الغريب . . فهمست فى أذن أحمد شيئاً وهى تبتسم . . شيئاً لم يسمعه غير أحمد . . ولكن مرادا أدرك ما قالته دون أن يسمعه فالتفت إلى أحد القائمين على الخدمة فأسرع هذا إليه . . وهمس مراد فى أذنه حديثا قصيرا لم تسمعه عفاف ولم يسمعه أحمد . .

انصرف الرجل . . وبعد قليل أقبل الرجل الذى تبدو عليه مظاهر الهيبة والنعمة . . يحمل فى يده صندوقا صغيرا من الورق المقوى . . قدمه لمراد ثم انحنى وهو يقول فى ترحاب بالغ :

– المطعم بما فيه لمراد بك .

وشكره مراد . . وعاد الرجل . . ونظر مراد إلى عفاف ومد يده فوضع الصندوق بما فيه أمامها .

وأحست عفاف فى الحال – دون أن تمسه – بما فيه فاحمر وجهها وهى تقول :

– مستحيل .

وسألها مراد :

– وهل تعرفين ما به حتى تقطعين بهذه الاستحالة ؟

– نعم . . أنا متأكدة . . أنك لم تسمعنى وأنا أهمس فى أذن أحمد . . فكيف حدست ما أسررت به إليه .

– توفيق هذا فى معرفة شيء همست به دون أن أسمعه . . يعطينى الحق فى أن أرجوك قبول هذه المصفاة . . ألم تعربى لأحمد عن إعجابك بها وبفكرتها . فأجابت هامسة :

– هذا صحيح .

– وأنا لا أعرف أين تباع . . وأغلب الظن أنها لا تباع فى القاهرة . . فهاك واحدة هدية متواضعة من صاحب المطعم . .

وسألته فى دلال :

– أتراه يسمح بها لكل من يرجوه واحدة .

وضحك مراد . . ضحكة قصيرة خافتة . . وتولى أحمد الإجابة عنه :

– مراد هنا عميل دائم . . والمطعم يربح منه مئات الجنيهات كل عام . . وهذه أشياء ضئيلة القيمة إذا قيست بمكانته وحرص أصحاب المكان على إرضاء عملائهم الممتازين .

وحول مراد دفة الحديث إذ سألها فجأة :

– الجو اليوم من أجمل ما مر بالقاهرة منذ أعوام . .

أين تحبان قضاء ساعات بعد الظهر ؟

وسكتت عفاف . . إنها لا تريد لهذا البرنامج أن ينتهى . . إنها تتمنى أن تمضى كل دقيقة من حياتها فى هذه الأجواء الجميلة وهذا الترف . . غذاؤهما فى مطعم جميل أنيق كهذا . . على مائدة يكسوها غطاء يبدو لفرط نظافته ونصاعته وصقله بالكى والنشا أنه قطعة من المائدة غير قابلة للانفصال عنها . . تبرق فوقه الصحاف والأدوات الفضية . . والضوء المنبعث من الثريات المدلاة من سقف المكان والمنبثقة من أركانه مع أن الوقت ظهرا يتخلل الماء المثلوج فى أقداح من البللور الرقيق الفاخر . . والآنية النحيلة الطويلة الضيقة كأنها ساق النرجس تضم الوردات الثلاث الحمراء القانية . . وحول الموائد المحيطة بها علية القوم ومشاهير الرجال وشهيرات النساء .

وتفرغ من غدائها لتنطلق إلى . . .

إلى أين ؟ ؟

وسمعت مرادا يكرر سؤاله .

– أين تحبان قضاء ساعات بعد الظهر .

وأجابه أحمد :

– أنت وصلت فى الصباح يامراد من رحلة طويلة بالطائرة . . ألا يحسن أن تعطى نفسك قسطا من الراحة ؟ ألا تنام قليلاً :

وأزاح مراد الهواء بيده وهو يقول :

– ياسيدى . . سيطول بنا النوم ملايين السنين .

وابتسم . .

وابتسمت عفاف . .

وأحس أن ابتسامتها بصمة تصديق وتأييد لرأيه . .

وسدد قائمة النفقات وقاموا ثلاثتهم . . واخترقوا الموائد إلى باب المطعم . . والتوت الأعناق . . كل الأعناق نحو عفاف تتقدم أحمد ومرادا . . تحولت إليها كل الأعين كأنها الشرق - إحدى الجهات الأصلية الأربع - فى بوصلة دقيقة أينما اتجهت تبعها المؤشر الصغير تلقائياً قائلاً - لو استطاع النطق - هذا هو الشرق . .

وحملتهم السيارة . . وعندما أقفل السائق بابها وجلس فى مكانه خلف عجلة القيادة سأله مراد :

- تغديت ياسيد ؟

وأجابه السائق فى لهجته التقليدية :

- الحمد لله يافندم .

- إلى نادى الجزيرة إذن .

ومس قلبها سؤاله خادمه إن كان قد تناول طعامه . . وأكبرت فيه اهتمامه بهذا السؤال . . إنه ليس كالأثرياء الذين يهملون هذه المسائل الحساسة الدقيقة . . إنه إنسان . . وهو بار . . ورحيم بأتباعه ومن يعملون فى خدمته .

والتفت مراد إلى أحمد وعفاف وهو يقول :

- ما رأيكما فى نادى الجزيرة ؟ إن الجو اليوم يغرى بالاستمتاع به . . لا حرارة ولا رطوبة .

وأمن الاثنان على قوله . . فقد كان الجو حقيقة صافيا . . جميلا . . أقل حرارة بكثير من المعدل فى مثل هذا الوقت من الفصل . .

وانطلقت بهم السيارة . . وقبل أن تصل باب المنتدى . . قال أحمد وكأنه

يحس شيئاً من الحرج .

– ولكننا لسنا أعضاء يامراد .

– أنا عضو يا أحمد . . وأنت وعفاف هانم من ضيوفى .

وكانت المرة الأولى التى تطأ أقدام أحمد وعفاف أرض نادى الجزيرة . .

وراحت عفاف ترقب الجالسين والجالسات . . هنا وهناك . . فوق الحشائش وتحت المظلات . . والأطفال يجرون ويلعبون قريبا من أمهاتهم وذويهم . .

كثيرون من الأجانب وكثيرون من المصريين الذين يحيون حياة لها طابعها الخاص ومستواها الخاص . . ولاحظت أن لمراد أصدقاء يخطئهم الحصر . . من الجنسين . . أقبلوا عليه يحيونه ويهنئونه بسلامة الوصول من الخارج ويسألونه متى عاد وماذا أحضر لهم معه من الهدايا . . وهو يجيب أسئلتهم فيكذب عليهم قائلاً إنه عاد منذ أسبوع . . وأنه لم يحضر معه شيئاً . . ويعتبون عليه إخفاء أمر عودته عنهم . . وأنه فى القاهرة منذ أسبوع وهم لا يعلمون . . وهو يختلق أعذارا لا نصيب لها من الصحة .

ولاحظت أنه لم يقدمها وزوجها لأحد منهم كما لم يقدم أحدا منهم لها ولا لزوجها . . وليست تدرى لم حمدت له هذا فقد أقلقها ضجيجهم وتظاهرهم حوله كذباب يطن فوق قطعة من الحلوى .

وانصرفوا أخيراً . . وجلس مراد وسأل عفاف :

– شاى ياعفاف هانم ؟ .

– أفضل شيئا مرطباً .

– وأحمد ؟

– وأنا كذلك يامراد .

– وأنا مثلكما .

وأشار إلى أحد القائمين على الخدمة وأمره بإحضار ما اتفقوا عليه . .

– لك كثير من الأصدقاء يا مراد .

– معارف يا أحمد . . وليسوا أصدقاء . .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– يبدو أنهم أصدقاء العمر .

– فرق بين المعرفة والصداقة يا عفاف هانم . . هؤلاء أعرفهم ويعرفوننى من سنين طويلة . . قد نلتقى يوميا هنا أو فى مكان آخر . . وقد أدعوهم للغداء أو للعشاء وقد يدعوننى للغداء أو للعشاء . . ومع ذلك فإن أحدا منهم لا يرقى إلى مرتبة أحمد مثلا برغم أننا لا نلتقى إلا نادراً . . فأحمد صديق . . أما هؤلاء . . فمعارف ليس أكثر .

وأخرج من جيبه علبة سجائره وقدم لعفاف وهو يقول :

– عفاف هانم تدخن ؟

وابتسمت وهى تمد يدها الصغيرة الجميلة وقالت :

– أحيانا .. فى حالات نادرة جداً .

ولكنى اليوم أحس برغبة فى أن أستنشق عبق سيجارة .

وأخرج أحمد علبة سجائره وقدم منها لمراد وهو يقول :

– سيجارة منى يامراد .

وابتسم مراد وأقفل علبته وتناول سيجارة من سجائر أحمد الذى أسرع بإخراج قداحته وأشعلها . . ثم قرب الشعلة من سيجارة زوجته فى فمها .. ثم من سيجارة

مراد فى فمه . . ونفث مراد دخان سيجارته وهو يقول :

– هذه قداحة جميلة يا أحمد .

وقدمها أحمد إليه . . فأخذها بين أصابعه وراح يتأملها وهو يقول :

– جميلة صحيح . . وأجمل ما فيها أنها سريعة الاشتعال . . عندى أربع أو خمس قداحات معطلة فى البيت .

وابتسم أحمد وهو يقول :

– لم أكن أجد الشجاعة لأرجوك قبولها منى يامراد لتفاهة شأنها ورخص ثمنها . . ولكن مادمت تراها مريحة . . فأرجوك أن تحتفظ بها .

– وأنت –

– الثقاب متوفر .

وابتسم مراد وهو يقلب القداحة الصغيرة بين أصابعه ثم قال :

– أخشى أن أهملها كالأخريات .

ثم . . وكأنه اكتشف شيئاً .

– إن اسمك منقوش عليها . . لم ألحظ هذا من قبل .

– إنه أحد زملائى فى مصلحة البريد . . لأبيه دكان صغير للحفر على المعادن . . أخذها منى يوما ثم أعادها إلى وإسمى عليها كما ترى .

وأطبق مراد كفه على القداحة فى كثير من الاعتزاز وهو يقول :

– سأقبلها إذن . . إن اسمك عليها . . فهى هدية لها قيمتها . . وستظل معى دائماً تذكارا منك .

وابتسمت عفاف . . ابتسامة القطة وهى تنقل عينيها بين زوجها وصديقه . . كانت سعيدة بصداقتهما التى تتزايد دقيقة بعد أخرى . . إنه إنسان ساحر . . صحبته

تطيل العمر . . وسمعت أحمد يقول :

– يارجل . . لا تخجلنى وتسميها هدية . . نحن ناس على قدنا . . و . .

وقاطعه مراد قائلاً :

– لا تقل هذا مرة أخرى يا أحمد . . أنت أكرم وأفضل وأعف وأكرم من ألوف صادفتهم فى حياتى . . إننى رأيت الكثير يا أحمد . . جربت كثيراً ياعفاف هانم . . أنا أعرف عشرات . . مئات من الناس . . ومع ذلك . . أحس أننى وحيد . . وحيد فى هذا العالم . أحيانا أكون وسط جمع من الناس فأحس بوحدتى وأننى أعيش فى الصمت . . وأحيانا أخرى أكون وحدى . . فى غرفتى الخاصة . . فأحس بضجيج العالم كله من حولى . . لا صديق بغير غاية يرجوها أو غرض يسعى إليه أو هدف يأمل تحقيقه . . أما الصداقة الخالصة الصافية التى لا تشوبها شائبة . . فلم أجدها . . إلا فيمن يقولون عن أنفسهم أنهم ناس على قدهم . . إن هذه القداحة البسيطة المنقوش عليها اسمك لهى أثمن عندى وأعز على من أية هدية يقدمها لى أحد ممن أعنيهم وأنا أعرف ما وراء تقديمها مهما غلت قيمتها وارتفعت .

وشاعت المرارة فى صوته وهو يقول :

– اسكت يا أحمد . . اسكت . . أين أيام كلية الحقوق . . أتذكر؟ . . أتذكر سعيد رجائى وأحمد لبيب وعبد الرحمن عطية وغيرهم وغيرهم . . هؤلاء هم الأصدقاء . . أين هم الآن ؟ تفرقنا جميعا . . لا يعرف أحدنا مكان صاحبه ولولا الصدفة لما التقينا أنت وأنا فى الأوبرج ليلة عيد ميلاد عفاف هانم . . أيام . . لن تعود .

وأحس أحمد بالمرارة تقطر من حديث صاحبه فأراد أن يخفف عنه فقال :

– إن لك حياتك الخاصة يامراد . . و يتعذر انسجامك إلا مع فئة خاصة من الناس

- أبدا والله يا أحمد . . أؤكد لك . .

وهنا جاءهم عصير الليمون . . فسكت مراد إلى أن وضعه الخادم أمامهم وانصرف . . ثم استأنف حديثه فقال :

- أؤكد لك أنني أوثر مصاحبة صديق عزيز قديم مثلك . . أحس وأنا أجلس إليه أنني أجلس إلى قلب كبير ونفس كبيرة يدرك صاحبهما معنى الصداقة الحق على مصاحبة هذا الزحام الكبير الذى لا أول له ولا آخر .

كان حريصا على أن يؤكد هذا المعنى فى نفس أحمد . . إنه غريق فى زحام من النفاق والمراءاة وصداقات قائمة على المنافع والغايات . . وإنه بين هؤلاء وهؤلاء ليس بالرجل السعيد الذى كان يظنه أحمد وأنه يفضل صداقته - صداقة أحمد - الذى يصف نفسه بأنه من الناس الذين على قدهم على صداقة هؤلاء جميعا مجتمعين .

إنه يريد أن يكسب ثقة أحمد . . ويريد أن يتسلل إلى نفسه . . فمن هنا . . من هذا الثقب الخطر الذى يسمونه الثقة . . سيستطيع أن يتسلل فى هدوء وعلى مهل إلى حظيرة الغزال الصغير الجميل . .

كان يؤمن بالسياسة طويلة المدى . . فليس هناك ما يدعوه للعجلة ولا ما يدفعه لاتخاذها وسيلة . . إنه يؤمن بترك الثمرة فوق غصنها . . يغذيها ويتركها . . ويغذيها . . ويتركها . . إلى أن يكتمل نضجها وتطيب . . فتضعف مقاومتها جاذبية الأرض . فتسقط .

وأحمد إنسان طيب القلب والنفس . . وطيبة قلبه ونفسه صورت له إمكان استئناف صداقة جمعته ومرادا خلال أربعة أعوام أمضياها فى كلية الحقوق يدرسان القانون ثم باعدت ما بينهما الحياة . . ونسى -أولعله لم ينس- ولكن نبرة الصدق

والإخلاص التى كانت تشيع فى صوت مراد عندما كان يتحدث عن صداقتهما - هى التى ألبسته وأسقطت من حسابه أن مرادا يدور فى فلك آخر لا علاقة له أبداً بفلكه هو الذى يدور فيه .

إن أحمد لم يكن يدرى ليلة أن التقى بمراد فى ملهى الأوبرج أنه - أى مراد - لم يتمسك به ولم يرحب به ولم يهلل لرؤيته مستعيداً ذكريات زمالة مضت وانقضت إلا من أجل العصفور الصغير الجميل الجالس فى براءة الملائكة .

ولم يكن يدرى أنه لو كان وحده فى تلك الليلة أو كانت برفقته زوجة من ملايين الزوجات اللائى لا تسترعى إحداهن انتباه أى عين . . لمر به مراد دون أن يراه . . وإن رآه . . فمن المحقق أن تحيتهما لم تكن لتستغرق أكثر من دقيقة واحدة . . تحية زميلين جمعهما معهد واحد بضع سنوات ثم افترقا .

- أحمد راغب . . أهلا وسهلا . . كيف حالك يا أحمد ؟

- بخير يامراد . . أهلا بك . . وكيف أنت ؟

- الحمد لله . . والله زمان . . أين أنت الآن ؟

- فى مصلحة البريد . . فى الدرجة الرابعة . . طبعا أنت فى غنى عن خدمة الحكومة .

- فرصة سعيدة يا أحمد . .

- فرصة سعيدة يامراد .

- عن إذنك .

- تفضل . .

وهكذا كانت تنتهى المقابلة . .

ولكن مرادا رأى عفاف . . قبل أن يرى زوجها . . اجتذبه الضوء الباهر

الجميل أولا . . وفى سنا هذا الضوء الباهر الجميل رأى أحمد . . فكان اللقاء الحار . . وكان الترحيب . . وكانت الصداقة القديمة . . وكانت الذكريات فكانت الدعوة إلى مائدته ليحتفل الملهى الكبير بما فيه وبمن فيه بعيد ميلاد عفاف .

وألقى - لتوه - بالشبكة الضارية المضفورة من أطراف الأخطبوط .

المال . . .

إن زوجها أحد موظفى الدرجة الرابعة . . أى أن مرتبه فى حدود الأربعين جنيها . . وهذه شابة تزاحم الجمال فى كل صوره وألوانه على شبابها فكانت شيئاً فريدا بين النساء . . وهى قطعا تحس بجمالها وبشبابها . . وتحس أن هذا الجمال جدير بإطار آخر يبرزه ويظهره فى أكمل صورة . . من الثياب الجميلة والحلى الثمينة والعطور الغالية والسيارات الفاخرة والحياة المترفة الناعمة . . فلم يضيع دقيقة من وقته فكانت الحفاوة بها وبزوجها . . وكان السخاء فى الإنفاق إلى حد السفه . . وكانت الحلية الذهبية التى انتزعها من رباط عنقه ليرشقها فى رباط عنق أحمد . . وكانت المائة جنيه التى استودعها إياها والأمل قوى فى أن تلجئهما الأحداث للتصرف فيها . . وقد حققت له الأحداث أمله . . وكانت سيارته التى تركها بسائقها فى خدمتها . . ثم كان الفراء الثمين الذى كان يعلم عندما بعث به إليها وهو فى الخارج أنه الطرقة الأولى على باب خدرها المحرم .

ثم ماتلا ذلك من هدايا قال احمد عنها أنها تهز أى قلب فرحا . . ورفع القداحة بين أصابعه وهو يبتسم ثم قال :

- محفور تحت اسمك تاريخ ياأحمد .

فابتسم أحمد وهو يقول :

- إنه تاريخ حصولى على الدرجة الرابعة . . أنت تعرف أن الموظفين يعيشون

دائماً فى هذا العالم . . الدرجات والمرتبات والعلاوات . . هذه دنياهم وحياتهم وأحاديثهم . . وفى هذا اليوم أخذها منى زميلى ثم أعادها لى وعليها اسمى وهذا التاريخ وهو يعتقد أنه سجل حدثاً هاما خطيراً فى حياتى .

وضحك ثلاثتهم . . وقالت عفاف :

– والثالثة قريبا إن شاء الله .

ودس مراد القداحة فى جيبه وهو يوجه الحديث إلى عفاف فى بساطة وألفة .

– يومها نحتفل به معا . . يكون ضيفنا ونقيم له حفلا أجمل من حفل الأوبرج .

وأتمت عفاف حديث مراد وابتسامة القطة تشيع فى قسمات وجهها :

– ولا أحد أحسن من أحد .

وبدأت الشمس تميل للمغيب . . وكان الإجهاد قد بدأ يزحف إلى أعينهم فراد لم ينم منذ عشرين ساعة تقريباً . . وأحمد وعفاف لم يتعودا هذه الحياة الحافلة . . سفر بالسيارة فى الصباح المبكر من الإسكندرية إلى القاهرة . . غداء خارج البيت . . ثم انطلاق إلى مثل هذا المكان الجميل فلا راحة ولا نوم ولا حتى استرخاء بعد تناول الطعام . . والهواء فى هذا الخلاء بعد جهد يوم كامل كان أبعث على النعاس منه على الانتعاش واليقظة .

فقاموا . . وبارحوا المكان .

وحملتهم السيارة أولا إلى شارع شنودة بشبرا . . وأمام باب البيت . . ألح أحمد وعفاف على مراد لكى يصحبهما ليتناول مرطبا أو قهوة . . ولكنه شكر لهما . . واعتذر عن إجابة دعوتهما – برغم رغبته فى تلبيتها – بأنه متعب وأنهما أيضاً متعبان . . والراحة والنوم أولى بثلاثتهم جميعا . . وأن الفرص والمناسبات آتية كثيرة .

١٣

جلست عفاف فوق الفراش وأمامها أحمد وبينهما كل ما أحضره مراد لهما وراحا يستعرضانه من جديد والبهجة والفرحة فى أعينهما . .

وقالت عفاف :

– بعد غد تذهب إلى عملك بإحدى هذه البذلات الصيفية . . جرب إحداها يا أحمد لتتأكد من مقاسها عليك .

وأخذت سترة زرقاء فى لون السماء وسروالا فى لون الكحل الذى تظلل به جفنيها وقدمتها لزوجها وهى تقول :

– هذان اللونان يلائم كل منهما الآخر .

وارتداها أحمد . . وكانت عليه كما لو أنه اشتراها بنفسه . . وقالت عفاف مداعبة :

– تماماً كأحد أبناء الريفييرا . . كما نراهم بالسينما سكوب والألوان الطبيعية .

. . وراحت تلائم وتوفق بين كل سترة وسروال . . وعفاف مشهود لها دائماً

بسلامة الذوق .

– الكحلى مع السماوى . . والرمادى مع هذا الأزرق القاتم . . وهذا الفستقى مع الهافان .

وأمسكت بأربطة العنق النادرة وهى تقول والضحك يكاد يغلبها :

– اسمع يا أحمد . . هذه الأربطة يلزمها بذلات جديدة بعددها .

وضحك أحمد وهو يقول :

– كمن وجد فى الطريق زرا فذهب به إلى صانع الملابس ليخيط للزر ثوبا .

وفتحت العلبة الطويلة المكسوة بالمخمل وأخرجت منها الساعة الثمينة المرصعة وأحاطت بها معصمها . . وراحت تنظر إليها وقلبها يخفق سعادة وطربا .

وأخرج أحمد ساعته من علبتها وفعل ما فعلته زوجته . . وألقى جانبا بساعته التى صاحبته عشرة أعوام .

وأخرجت المذياع الجميل الفريد من علبته وضغطت زره الجانبى فانطلق صوت اسمهان بهذا المقطع من إحدى أغانيها :

وقال لها يامِلاكى اللى تعوزيه اطلبيه

وابتسمت . . .

وظن أحمد أنها تبتسم سرورا وفرحا بالمذياع الصغير الجميل . . ولم يدرك أنها تبتسم للمعنى الذى جرت به الأغنية . . :

هل تستطيع حقا أن تطلب من مراد كل ما تريد ؟

وكانت المرة الأولى التى يقتحم خيالها مثل هذا الخاطر .

إنها لم تطلب فى حياتها شيئا من أحد .

حتى أمينة . . وهى أختها الوحيدة . . وبرغم الفارق بين سنيهما . . وبرغم

الفارق أيضاً بين حالى زوجيهما . . فإنها لم تسألها شيئا أبداً . . وكل ما تقدمه لها أمينة من هدايا . . كان دائماً من تلقاء نفسها ودون أية إشارة من عفاف . . فهى أختها . . وهى تشعر أنها أكبر منها سنا وأيسر حالا . . وهى تعلم أن عفاف ما زالت فى سن الخفة والتطير وأنها شغوف بالأشياء الجميلة الزاهية والثياب والعطور وأدوات الزينة ومستحضراتها وأن زوجها مازال محدود الدخل ولن يستطيع أن يحقق لها فى الوقت الحاضر كل ما تصبو إليه وتتمناه . . وهى لهذا كثيرا ما كانت تشترى لعفاف مثل ما تشترى لنفسها وتهديها إياه وهى سعيدة .

. . . ولكنها لم تطلب فى حياتها شيئاً من أحد . . بل أنها ستنتهز هذه الفرصة وستهدى أختها أمينة عندما تعود من الخارج قطعة من قطع الحرير التى أحضرها مراد . . ستختار لها أجمل قطعة من بين المجموعة كلها وتهديها إياها . . وفكرت قليلا . . إنها ثمانى قطع . . فلم لا تهدى أختها أربعا وتحتفظ لنفسها بالأربع الأخرى ؟ إنها ثمانية ألوان رائعة ممتازة يحار الذوق فى تفضيل أحدها على الآخر . . فلتكن هديتها لأمينة أربع قطع تصلح أربعة أثواب جميلة . . وستترك الاختيار لأختها التى طالما أهدتها . . وهى بهذا ترد بعض جميلها . . إنها تريد أن تشعر بلذة الإهداء . . بلذة العطاء التى تفوق لذة الأخذ ألف مرة . . إن أختها ستحضر لها من الخارج شيئاً . . أى شىء . . لا تعلمه الآن . . وسيسعدها أن ترد لها الهدية . . ولن تعلم أمينة مصدر هذا الحرير الجميل فلن تخبرها بطبيعة الحال أن صديقا قديما لأحمد قد أحضر لها وله من الخارج ما أحضره مراد .

وعاد السؤال يلح عليها من جديد .

هل تستطيع حقا أن تطلب من مراد كل ما تريد ؟ ؟

ومال رأسها جانبا يفكر فى الإجابة . . ولم تمض ثوان حتى عاد هذا الرأس

الجميل إلى وضعه العادى عندما قالت لها نفسها :

- ولكنك لم تطلبى فى حياتك شيئاً من أحد .

ولكن . .

هل سألت هى مرادا شيئاً من كل ما أحضره لها ولزوجها ؟ ؟ إنها لم تكن تنتظر أكثر من علبة أحمر الشفاه . . فإذا به يفاجئها بعد سفره بأسبوعين بفراء لا ترتديه إلا ملكة . . وإذا به عند عودته يضع بين يديها أشياء لم تكن تحلم يوما أن تكون لها .

فهذا الثوب وحده . كم تقاضاه كريستيان ديور ثمنا له ؟ ؟ كان من الممكن أن تسبقه إليزابث تيلور إلى شرائه فيصبح من نصيبها هى لتظهر به فى أحد أفلامها فى هوليوود فتشاهدها عفاف فى القاهرة فوق الشاشة الملونة وهى جالسة بين جمهور المتفرجين . . وتخرج السيدات من دار العرض ليتحدثن عن الثوب الجميل الذى كانت ترتديه اليزابث تيلور .

ولكن هذا الثوب لها الآن . . إنها صاحبته . . وهى به فى مستوى مظهرى واحد مع نجوم أمريكا . . وهذه الساعة المصنوعة من البلاتين . . إنها آية ما ارتقى إليه الذوق فى العالــم . . كم سدد ثمنا لها . . وبقية الأشياء . . الحــرير والعطر والمذياع وأحمر الشفاه وساعة أحمد الذهبية وأربطة العنق التى تحمل اسم بيير كاردان والجوارب والمناديل والبذلات الإيطالية .

هل سألت مرادا شيئاً من هذا ؟ ؟ . .

هل سأله أحمد شيئاً ؟ ؟ . .

بل أنه ألح عليها وعلى أحمد قبيل سفره ليعرف إن كان هناك شىء بعينه يريده أحدهما فشكرا له اهتمامه وتمنيا له رحلة سعيدة يعود منها بسلام .

. . إنها لم تطلب منه شيئاً إذن . . ولكنه أحضر كل هذه الأشياء الجميلة

الباهرة من تلقاء نفسه .

ثم . . ثم ماذا تستطيع أن تطلب منه ؟ ؟

وأحست أن الإجابة عن السؤال ستطول . . فتخلصت من أفكارها – إلى حين – وراحت تعيد الأشياء من جديد إلى صناديقها وأحمد يقول :

– مسألة محيرة . . ما الذى أستطيع أن أفعله وأقدمه لمراد إزاء هذا الكرم وهذا اللطف .

فأجابته عفاف وهى تقوم عن الفراش متجهة إلى الخوان حاملة بعض الصناديق لتضعها فى قاعه .

– إنه قطعا لم يفكر فى هذا يا أحمد .

– هذا صحيح . ولكنى فقط أحس بشىء من الحرج . . نعم . . هو صديق . . نعم . . وثرى . . وكريم ولا يرى فى كل هذا – قياسا إلى مستواه وما اعتاده – أية مبالغة ولكنى أتناول المسألة من جهتى أنا يا عفاف لا أكثر .

وصمت لحظة ثم قال :

– من يدرى . . قد تواتينى الظروف وأستطيع أن أرد له بعض جميله .

قالها أحمد وهو يعنيها . . فهو يأمل أن ينتهز فرصة – أية فرصة – وإن كان لا يعرف الآن عنها شيئاً فهى بعد فى عالم الغيب ليقدم لمراد أى شىء له قيمته . . قد يكون شيئاً معنويا . . جميلا أو خدمة أو مأثرة أو حاجة له وفى يده وحده قضاؤها فيقضيها له دون غيره من الناس . . أى شىء والسلام . .

ونهض عن الفراش . . وكانت عفاف قد فرغت من صف الصناديق مختلفة الأحجام فى قاع الخوان . . واستدارت لترى نفسها بين ذراعى أحمد . . إنه لا يشبع منها ولو ضمها بين ذراعيه ألف سنة . . ونظر فى عينيها . . وهم بالتقاط

شفتيها بين شفتيه وقد ارتفعت كفه محاولة كالعادة أن تجمع أحد الكنزين الطليقين المتلاطمين تحت قميص نومها . . ولكنها انسلت من بين ذراعيه كالقطة عندما تضيق بذراعي طفلة تحملها وتضمها وتقبلها فتقفز لتجرى وتلعب وتمرح .

وتبعها أحمد . . وأمسك بها بجانب النافذة . . وحبسها بين ذراعيه والابتسامة على وجهه تقول شيئا تعرفه عفاف تماما .

وبادلته ابتسامته وقد هم بتقبيلها وهى تقول :

– حاسب . . النور مضاء . . والنافذة مفتوحة . . وقد يرانا الجيران .

وتنبه أحمد لما كان غافلا عنه . . وهم بإغلاق النافذة . . ولكنها قالت له :

– لا تغلق النافذة . . لا فائدة .

ومدت يدها إلى آنية من أوانى الأزهار فوق مائدة الزينة وسحبت من وسطها وردة حمراء صغيرة رشقتها فى واحد من الثقوب الكثيرة التى تحلى صدر قميصها وقالت :

– لقد قرأت فى قصة ديماس الابن أن مرجريت كانت تزين صدرها دائما بزهرة من أزهار الكاميليا البيضاء . . ولكنها كانت تستبدل بهذه الزهرة البيضاء أخرى حمراء – مثل هذه – فى أيام معلومة من كل شهر فيعرف الجميع أن هذه الأيام لها وحدها . . وأن سهرتها معهم تنتهى عند باب خدرها .

وفهم أحمد . . وحاول أن يحتج . . ولكنها بسطت كفيها وهى تقول كمن تحاول تبرئة نفسها من ذنب لا يد لها فيه .

– ماذا أصنع . . لا حيلة لى أو لك . . وعليك أن تنتظر إلى أن ترى مكان هذه الوردة الحمراء غيرها بيضاء . . بضعة أيام . . كالعادة .

وسألها فى دلال زوج هده الشوق لامرأته .

– منذ متى ؟

– بعد عودتنا من الخارج مباشرة . . أحسست بها وأنت تدير المفتاح فى الباب .

وأرخى أحمد ذراعيه وكان ضاغطاً بهما كفيه الملتصقتين بالحائط . . وعفاف حبيسة بينهما وابتسامة القطة على وجهها .

وكانت كاذبة . .

وكانت المرة الأولى فى حياتها التى تقصيه عن فراشها فتمنع نفسها عنه وتحرمه بأكذوبة . . . وجرت نحو الفراش وقفزت فوقه كطفلة فى الثامنة وهى تقول والضحك يخالط كلماتها :

– أنت فى طرف من الفراش . . وأنا فى الطرف الآخر .

وأمعنت فى دعابتها . . فجعلت وسادة أسطوانية طويلة بينها وبينه وهى تقول :

– أنت فى جانب وأنا فى جانب . . وهذه الوسادة بيننا منطقة حرة . . .

وضحك أحمد وهو لا يرى مفرا من رضوخه لواقع الأمر . . وضغط زر المصباح الصغير الموضوع بجانب الفراش فسبحت الغرفة فى الظلام .

ولم تمض دقائق حتى انتظم تنفسه وراح فى النوم بعد إجهاد يوم طويل مشحون بالنشاط والحركة .

ولكن عفاف لم تنم .

وراحت تفكر فى مراد .

وهل تملك دفعا لهذا التفكير ؟ كان شيئا أكبر منها وأقوى منها فكان طبيعيا أن تفكر فيه وغير طبيعى أن تفكر فى أى شىء عداه .

إنه إنسان ساحر . . هذه حقيقة لا تقبل المناقشة . . إنسان يعيش حياته بأوسع

وأعرض وأصدق معانى العيش .. زوجها أحمد قالها عنه .. إنه يفضل أن يعيش حياته عرضا لا طولا . . وسألت نفسها .

لم لم يتزوج ؟ ؟ أو لم لا يتزوج وقد أوتى كل ما يتمناه الرجل من الحياة والشباب والصحة والثروة والعلم . . إن أية فتاة تتمناه . . وهو ليس بالرجل النفور أو الانطوائى الذى يحار فى اختيار من تشاركه مباهج الدنيا .. إنه يعرف الكثيرين والكثيرات فى مصر وفى الخارج . . واليوم رأت بعينيها كيف التفقن حوله فى نادى الجزيرة يهنئنه بسلامة العودة ومنهن الجميلات اللواتى يعمرن بيوتا ويسعدن أزواجهن . . وغيرهن وغيرهن .. إنهن قطعا فى حياته .. صديقة أو ابنة صديق أو شقيقته أو إحدى قريباته . . أو زميلته من أعضاء نادى الجزيرة أو غيره من الأمكنة التى يغشاها ويتردد عليها . . قطعا إنهن أكثر من أن يقعن تحت حصر . . فلم لا يتزوج ؟ ؟

وابتسمت فى ظلام الغرفة عندما خطر لها خاطر .

– أيكون له هذا السحر لوكانت له زوجة ؟

وكانت ابتسامتها الجواب عن هذا الخاطر الذى خطر لها على هيئة سؤال . . ابتسامة الإنسان الذى يتحمس لفكرة ما . . ويندفع فى تحبيذها والدفاع عنها والدعوة لها . . ثم فجأة يفحمه أحد من يستمعون إليه بسؤال يحس أن الإجابة عنه ستهدم كل ما ساق من حجج وأسانيد .

إن كل سحره فى كونه هذا الإنسان غير المقيد بزوجة تحتكره لتجعل منه نسخة مكررة معادة باهتة من مئات ملايين الأزواج الذين يتحركون بمسطرة . . وينتقلون بمنقلة . . ويلتفتون بفرجار . . فالزوجات يحببن دائماً أن يجعلن من أنفسهن هذه الأدوات الهندسية التى تقيس وترسم خطوات أزواجهن وتحددها وتوجهها .

إنه لم يكن ليستطيع أن يحضر لها ولزوجها أحمد شيئاً مما أحضره لها لو لم يكن حرا من هذا القيد .

وأحست بنوع من الراحة لأنه لم يحضر شيئاً لغيرها . . هكذا أعلن لكل من تجمعوا حوله اليوم فى نادى الجزيرة . . كذلك أحست بشىء من الزهو لأنه كذب عليهم جميعا وأخبرهم أنه عاد إلى القاهرة منذ أسبوع لا منذ ساعات . . وفسرت لنفسها هذه الكذبة بأنه يريدهم على أن يشعروا بأنه ليس من المهم ولا من الضرورى أن يخبرهم بعودته متى عاد . .

هذا . . فى الوقت الذى لم يكد يصل إلى القاهرة بعد رحلة شاقة طويلة فى الجو حتى أسرع إليها فى بيتها دون أن يفكر فى الاتصال بأحد ممن تربطه بهم أو تربطهم به أوثق الصلات وأقدمها حاملا لها ولزوجها ما كان يتمناه الآخرون وما لم يتحرجوا من الاستفسار عنه فى صراحة . وجرأة من اعتادوا هذا الاستفسار . . ولكنه خصها هى بكل ما حمل معه من الخارج هى وحدها . . دون غيرها من صديقاته ومعارفه . .

ولكن لماذا ؟ ؟

وما سر هذا الاهتمام الذى لا يفتر ؟

إنها لم تطلب منه شيئاً . .

وعاد السؤال يلح عليها من جديد .

هل تستطيع أن تطلب منه كل ما تريد .

وماذا تريد عفاف ؟ ؟

والتفتت جانبا فرأت أحمد نائماً يتنفس تنفسه العادى الهادئ المنتظم بينما آخت عينيها يقظة غريبة برغم إجهاد اليوم المنصرم . . وشبكت أصابع كل من يديها

بالأخرى ثم جعلت كفيها الملتصقتين ببعضهما تحت رأسها وراحت تفكر فى الإجابة عن هذا السؤال المحير .

ماذا تريد ؟

إنها تريد كثيراً .

تريد أن تهرب من شبرا . . من هذا الشارع المنكود . . شارع شنودة لتسكن الزمالك قريباً من مسكن أختها أمينة فهل تستطيع أن تطلب هذا من مراد ؟ ؟ مستحيل . . إلا إذا كان يملك مبنى فى هذا الحى الجميل فيخلى لها ولزوجها مسكنا منه بإيجار ماقبل الحرب . . إن كل المساكن التى يؤجرها أصحابها بقيم زهيدة لايوقعون العقد مع الساكن إلا إذا استأدوه بضع مئات من الجنيهات نظير الإخلاء . . وأحمد ليس على استعداد بأى وجه من الوجوه لبذل أى مبلغ كهذا ولو كان المسكن فى الجنة لسبب واحد بسيط . . هو استحالة تجمع مثل هذا القدر من المال فى يده دفعة واحدة تحت أى ظرف من الظروف .

وتريد أن تغير كل أثاث منزلها وتكلف بونتريمولى أن يؤثث لها — من جديد — المسكن الجديد . . مسكن الزمالك . . فهل تستطيع أن تطلب هذا أيضاً من مراد ؟ ؟

وتريد الثلاجة والمكنسة الكهربيتين وسخان الماء والمطبخ الأنيق الذى يبدو لفرط أناقته كما لو كان عيادة طبيب .

وتريد سيارة لا تقودها بنفسها . . بل يتولى القيادة سائق نظيف محترم لا يقل أناقة ولا تهذيبا عن مصطفى سائق أختها أمينة أو سيد سائق مراد . . وتجلس هى منكمشة فى أحد ركنى المقعد الخلفى . . صغيرة أنيقة جميلة معطرة . . تلقى نظراتها الرحيمة إلى رعاياها من المشاه وعابرى الطرقات على أقدامهم .

وتذكرت سيدا سائق مراد . . وأعجبها منه كثيراً امتناعه البات عن قبول أية منحة منها أو من أحمد . . إنها تعاليم مراد . . تعاليم سيده . . والخادم أو التابع مرآة صادقة لمخدومه . . ستفعل هي أيضاً كذلك . . ممنوع على سائق سيارتها من الآن أن يقبل شيئاً من أحد .

وتريد عدداً من الخدم . . يختص كل منهم بعمل معين لا يقوم بغيره . . فهذا للتنظيف والمسح والتلميع . . وآخر للمائدة . . ثم شابة نظيفة نصف متعلمة تتصف بالذكاء وسرعة الخاطر واللباقة وحسن التصرف والصوت المنخفض . . وهذه لها . . تقوم على خدمتها الخاصة وقضاء حوائجها . . وهؤلاء – طبعاً – إلى جانب الطاهى الذى سيعفيها من مهمة الطهو .

ثم ماذا ؟

ماذا تريد أيضاً ؟ ؟

وكادت تشهق بصوت مسموع عندما تذكرت أنها نسيت المسرة (التليفون) ويجب أن تكون متصلة بحبل طويل لتستطيع أن تحملها معها إلى أية غرفة من غرف المنزل أو إلى الحمام إن شاءت وعاودها منظر إليزابيث تيلور فى أحد أفلامها تحدث صديقها عن طريق المسرة وهى فى الحمام .

أما الثياب والحلى والعطور وأدوات الزينة فتلك مسألة لا تجوز مناقشتها لأن وجوب توافرها من البداهات المسلم بها .

فهل تستطيع أن تطلب من مراد كل هذا ؟

إحساسها يقول لها إنه على استعداد لأكثر من هذا والأمر لا يحتاج لغير إشارة منها . . ولكن كيف ؟ وماذا تقول له ؟ وعلى أية صورة ؟ وبأية صفة ولماذا ؟ مستحيل . مستحيل . . إنها لم تطلب فى حياتها شيئاً من أحد . .

ولكنها – مع ذلك – مدينة له . . هى شخصياً مدينة له بمائة جنيه . . فهو استودعها إياها قبل سفره . . والجراحة أجريت لها هى . . فكأنها هى التى تصرفت فى الوديعة . . صحيح أن أحمد باعتباره زوجها هو المسئول عن هذا المال ولكن مرادا تركه لها هى . . وفى حقيبة يدها بالذات . . وقد قال لأحمد اليوم عندما جاءت مناسبة الحديث عنه .

– هذا دين عفاف هانم ولا شأن لك به .

هى إذن مدينة له شخصيا بهذا المبلغ . . والأمر بينها وبينه ولا شأن لأحمد به . . وابتسمت . . فهى ليست قاصرا . . وهى أهل للتعامل والشعور بالمسئولية .

وامتدت يدها إلى مكان المائة جنيه من جسمها . . إلى مكان الجراحة .

حسرت القميص عن فخذيها ثم تسللت بأطراف أصابعها تحت ورقة التوت وراحت تمس مكان الجرح وتجسه برفق . . إنه جراح ماهر . كانت تخشى أن يشوه المبضع جمال بطنها . . ولكن الجرح لا يزيد طولا عن نواة بلحة صغيرة . . وقد أكد الطبيب لها أنه لن يمضى عام حتى يصبح أثرا باهتا لا تراه إلا العين الفاحصة المدققة .

وأحست أن مكان الجرح مازال أكثر حساسية وضعفا من أى مكان آخر . . ومالت برأسها جانبا حيث ينام أحمد فى الجانب الآخر من الفراش والوسادة الأسطوانية الطويلة بينها وبينه منطقة حرة . . إنها أبعدته عن فراشها بأكذوبة وكان من الممكن أن يتم لها ما أرادت دون أن تلجأ إلى الكذب . . فالجرح مازال حديثاً وطريا وحساسا وليس من الصواب أن يعرض لأى نوع من الإجهاد ولو من بعيد . . كيف تصور أحمد إمكان حدوث هذا ؟ ؟ والجراحة لم يمض عليها أكثر من شهر .

وعادت تستأنف أفكارها . . إنها مدينة لمراد إذن . . وصلك الدين على مكان صغير جميل من جسمها . جرح لن تمحو أثره الأيام . .

وابتسمت للأمهات اللواتى يطعمن بناتهن فى أمكنة خفية من أجسامهن حتى لا يشوه التطعيم أذرعتهن المعرضة للنظر دون أن يتصورن أن عين رجل ستقع يوما على هذا المخبأ الدقيق – مكان التطعيم – واتسعت ابتسامتها لغرام أحمد العجيب بتقبيل هذا المكان بالذات . . ثلاث زهرات صغيرات فى مكان ما من فخذها اليسرى كأنها معالم الطريق إلى الجنة . . أنها لا تدرى أيضاً أن مراداً قد لاحظ وهو يراقصها فى الأوبرج خلو ذراعيها من أثر التطعيم . . وأنه راح يتصور مكانه فى مخبأ آخر دقيق من جسمها . . أترى لو أن مرادا . .

وتوقفت فجأة عن الاسترسال فى خواطرها . . وضغطت شفتها السفلى بين أسنانها كأنها أتت ذنبا أوكانت على وشك أن تأتى ذنبا بالفكر . . وشاعت فى وجهها ابتسامة القطة التى تفاجئها سيدتها تأكل شيئاً أو تلعق لبناً ليس لها . . وتعلم مع ذلك أنها لن تؤذيها فتسرع لتتمسح بساقيها وهى تهز ذيلها وتموء مستغفرة .

وهاجمها الإحساس الضارى من جديد كأنه صوت ضخم يملى عليها حقيقة يريد منها أن تعرفها وتعيها . . أنها سمكة كبيرة مكانها البحر الواسع العريض العميق ولكن حظها التعس ألقى بها فى وعاء كروى صغير من الزجاج وأنها عبثاً تحاول أن تلطم جدرانه بذيلها لتحطمه كى تنطلق .

وحاولت أن تربط بين ما كانت تفكر فيه واليقظة المفاجئة لهذا الإحساس فلم توفق . . ولكن الأحداث راحت تمر بها كشريط قصير سريع . .

ليلة الأوبرج الحافلة . .

المائة جنيه التى استودعها مراد إياها قبل سفره . .

عجز أحمد عن اصطحابها إلى مصيف يرحمها من قيظ القاهرة . .

إحساسها لأول مرة بالشفقة عليه . . .

الفترة الثقيلة البغيضة الممضة التى كان يخيل إليها أنها تدفع أيامها لكى تنقضى كما تدفع بيديها الصغيرتين قطاراً حديديا كبلت الفرامل عجلاته .

شارع شنودة يهصر أعصابها ويفتك بها بضوضائه وباعته وصبيته وقططه وكلابه وذبابه . . حتى الحر فى شارع شنوده . . يخيل إليها أنه أكثر ضراوة منه فى أى شارع آخر . .

. . تلك الليلة التى سعى فيها الثراء إليها عن طريق الاشتغال بالتمثيل . . مراد ورسالته الأولى التى تحمل فراء قال عنه أحد الخبراء إن استيراده الآن يكاد يكون فى حكم المستحيل . .

الجراحة التى أجريت لها وما أعقبها من قضاء ثلاثة أسابيع فى الإسكندرية ولولا المائة جنيه التى أسقطها مراد فى حقيبة يدها ليلة سفره لاضطرت لإجراء الجراحة مجانا فى مستشفى قصر العينى ولأصبحت إحدى بطلات القصص الفريدة التى تنشرها الصحف يومياً عن المستشفى ذى السمعة العالمية . . ولأمضت أيام مرضها فى عنبر يضم أشتاتاً من النسوة من الجائز أن تكون خادمتها سيدة إحداهن . . وعلى الفراش المجاور . .

ثم عودة مراد بكل ما حمله معه إليها ولزوجها أحمد .

من هنا استطاعت أن تربط بين ما كانت تفكر فيه واليقظة المفاجئة لإحساسها بأنها تلك السمكة الكبيرة حبيسة الوعاء الزجاجى الصغير .

وسألت نفسها أوسألتها نفسها فى ضيق وزهق ويأس وقرف وتمرد .

لماذا نعيش ؟

وجاءها الجواب من نبع نفسها . . ومن واقع تناولها الشخصى للحياة وفهمها لها . .

لكى نحيا . . ونتمتع بكل ما فى الحياة . . إنه أوجدنا فى هذه الدنيا فعليه أن يعطينا كل ما فيها .

أو . . لم يعطى قوما ويحرم قوما ؟ لم يمنح فرداً ولا يمنح الآخر؟

والمثل أقرب وأوضح من أن تبحث عنه . .

لم أعطى أمينة – أختها – كل شىء . . وحرمها هى كل شىء ؟

والمثل من زاوية أخرى أو من جانب آخر أكثر قربا ووضوحاً . .

لم أعطى مرادا كل ما أعطى وحرم زوجها أحمد كل ما حبس عنه ؟ ؟

وإذا لم تعطنا الحياة كل ما فيها الآن . . الآن ونحن أحياء . . فمتى تمنحنا إياه إذن ؟ هل نعيش مرتين ؟ مستحيل . . الحياة واحدة لا تتكرر . . وما من كائن حى منذ ملايين السنين – بدء الخليقة – عاش حياته مرتين .

الحياة إذن . . لنعيشها وإلا فقدت معناها وقيمتها وعبرة وجودها . . تماما كقطعة موسيقية فريدة . . كتبها مبدعها . . فإما أن يعزفها ليستمع إليها العالم بأسره فتستكمل بهذا عناصر الحياة فتحيا . . أو يحبسها عن الناس فكأنها ما كانت . . وما قيمة اللحن إذا كتب بماء الذهب ما لم يعزف ويعرف ويصبح على كل لسان وفى كل أذن ؟

وعلا صوت من أعماقها يقول :

– صحيح . . نحن لا نعيش مرتين . . والحياة لا تتكرر .

وتعبت من أفكارها . . أو تعبت أفكارها منها . . وسرحت قليلا فى جرحها الذى مازالت أصابعها – تحت ورقة التوت – تمر فوقه بلطف وفى حركة دائرية

أحست لها خدرا لذيذاً . .

وكان الإجهاد قد بلغ بها غايته . . فزحف إلى جفنيها فأثقلها . . وغلبها النوم . . وكانت حركة أصابعها قد بدأت تبطئ شيئاً فشيئاً إلى أن توقفت تماما فوق مكان الجراحة تحت حافة ورقة التوت .

١٤

فاجأت أمينة وكمال ، عفاف وأحمد بعودتهما من الخارج دون أن يخطراهما بموعد وصولهما حتى لا يكبدانهما مشقة استقبالهما فى مطار القاهرة .

كانت عفاف تجلس إلى أحمد فى غرفتهما بعد ظهر أحد الأيام وقد راحا يناقشان الحدود التى تستطيع عفاف فى نطاقها أن تعهد إلى حائكة ثيابها إعداد أثواب لها من قطع الحرير الإيطالى التى أهداها مراد إليها .

إنها ثمانى قطع . . حجزت منها أربعا لأختها أمينة . . وهى تريد أن تلقى بالقطع الباقية لحائكة ثيابها لتصنع منها أربعة أثواب . . وأحمد يرى أن هذا مستحيل لأنه يعنى – بلغة الأرقام – أن يسدد عشرين جنيها . . وهو يرجو عفاف أن تعيد النظر فى الأمر فتكتفى الآن بثوب واحد وأن ترجئ الثلاثة الباقية إلى مستهل الصيف القادم . . فهذا الصيف قد ولى تقريبا ولن تمضى أسابيع حتى يبدأ شهر أكتوبر ولن تكون بحاجة ملحة لهذا العدد من الأثواب الصيفية وأن العشرين جنيها التى يجب سدادها فى حالة ما إذا عهدت إلى الحائكة بالقطع الأربع دفعة واحدة . . هذه

العشرون جنيها لا يملك منها شيئا والمرتب يسلمه لها فى اليوم الأول من كل شهر محتجزا لنفسه نفقات الانتقال إلى عمله والعودة منه إلى جانب مرتب ضئيل لنثرياته فهى إذن لا ينقصها العلم بطاقتها المالية . . وأحمد غير مسرف . . ولا هو بالمفرط فى كل ما أخذ به نفسه فى الحياة . . بل كان الاعتدال أبرز صفاته فى كل شىء . . ومرتبه هذا ليس إلا أصغر شريحة بين نفقات حياته مع عفاف بين ما رصد لأجر المسكن والمأكل ومخزون البيت والملبس والصيدلية واستهلاك الإنارة والتنقلات والترفيه والنثريات اليومية .

ومع ذلك . . أحس أن عفاف لم تقتنع . . فقال لها برفق .

– أنت تعرفين ياعفاف أننى أتمنى أن أحقق لك ما لم يحققه زوج لزوجته . . ولكن . . الأمانى شىء . . والقدرة على تحقيقها شىء آخر .

وصمت قليلا ثم أتم حديثه .

– ومع كل . . فانا أسلمك كل ما يصل إلى يدى . . فتدبرى الأمور كما يتراءى لك . . أنا شخصيا لا أريد شيئاً . . وعن نفقاتى الشخصية . . سأقصرها على اشتراك الترام ولا شىء غير هذا .

كان آسفاً حزيناً لعجزه عن تحقيق أمنية من أمانى زوجته التى لا يرى الحياة إلا فى عينيها ووجودها وسماع صوتها . . وفيما هما يحاولان الوصول إلى ما يوفق بين رغبة عفاف ومنطق الأرقام الذى لا يعترف بذلك الشىء الذى يسمونه الحب . . أز الجرس فى ردهة المسكن . . وأسرعت سيدة تفتح الباب وإذا بصوتى أمينة وكمال يصلان إليهما .

وقفزت عفاف من مكانها وهى تهتف فرحا .

– أمينة . . أختى أمينة .

وأسرعت وأحمد معها إلى ردهة المسكن .

وعانقت الأخت أختها والعديل عديله . . وقبل كمال وجنة عفاف فى حنان وقبل أحمد وجنتى أمينة فى إعزاز وحب عميق .

كانت المفاجأة لعفاف وأحمد . . مفاجأة كبيرة . . سارة . . أنستهما ماكانا يناقشانه منذ لحظات . . وفتحت عفاف غرفة الضيوف . . وجلس الأربعة وراحوا يتحدثون عن الرحلة وأوربا وما صادفهما هناك وعن المهمة التى من أجلها سافر كمال . . وعن لندن وإن لم تكن عند قيامها من القاهرة فى برنامج الرحلة إلا أن كمالا اضطر للطيران إليها . . وهنا همست أمينة فى أذن عفاف .

– لك عندى مفاجأة من لندن .

وابتسمت عفاف وهى تقول .

– صحيح ؟

وكانت لاحظت أن هناك صندوقا أنيقاً وضعته أمينة جانبا .

وأخذ أحمد على كمال عدم إخطارهما بموعد وصولها فأجابه كمال .

– والله يا أحمد . . لقد تعمدت هذا إذ ليس من الرحمة أن أكبدك وعفاف كل هذه المشقة لأنى أعرف عن يقين أنكما – حتما – ستكونان فى انتظارنا أمام باب الطائرة . . وهذا كثير . . المهم أننا وصلنا بخير ووجدناكما بخير .

– الحمد لله على السلامة .

وأخرج كمال من جيبه علبة أنيقة قدمها لأحمد وهو يقول فى رقة متناهية .

– هذا طاقم أقلام شيفرز لأحمد . . من كمال . . وتناول أحمد الهدية الجميلة . . وحاول أن يشكر كمالا . . ولكن أمينة عاجلته بقولها .

– ومن أمينة . . .

وقطعت الخيط الذى يحيط بالصندوق الأنيق القريب منها وفتحته وأخرجت منه قطعة من نسيج الصوف الإنجليزى .

– أرجو أن يعجبك ذوقى يا أحمد . . هذه قطعة بدلة . . اخترتها لك بنفسى من لندن .

وكانت القطعة فعلا أجمل من أن تكون موضع تعليق . . ولم يتكلم أحمد . . بل قام إلى أمينة وتناول يديها الناصعتين الرقيقتين وقبلها عدة مرات وهو يكرر عبارات شكره . . ثم قبل كمالا وهو يقول :

– لا أعرف كيف أشكرك يا كمال . . كل رحلة وأنت طيب .

ورفعت أمينة طبقتين من الورق الشفاف كانتا تحت قطعة النسيج الصوفى ثم أخرجت ثوبا لم تر عفاف فى حياتها أجمل منه . . فى نوعه .

كان ثوبا للمساء . . أبرز ما فيه بساطته . . غريب فى لونه ونوع نسيجه غير المألوف وطريقة تفصيله وأزراره الجانبية المصنوعة من مادة بدت لها جديدة غريبة على صناعة الأزرار وما ألفته فى الأسواق المصرية .

وقالت أمينة ، وابتسامة الملاك ترتسم على وجهها .

– هذا لعفاف من أمينة .

وكانت عفاف مازالت مشدوهة لجمال الثوب فأمسكته بين يديها وهى تقول .

– ما هذا الجمال يا أمينة ! ! ما هذا كله ! ! هذا أغرب ما رأيت .

وابتسمت أمينة وهى تقول .

– لا يدهشنى ما أرى على وجهك من علامات البهر والإعجاب فقد حدث لى مثل ما حدث لك الآن عندما وقعت عيناى عليه لأول مرة وكانت ترتديه شابة إنجليزية جميلة . . فى مثل سنك وقوامك .

– فى لندن ؟

– طبعا . . كنت أسير فى ميدان الطرف الأغر . . ورأيتها مسرعة . . رشيقة أنيقة . . وعليها هذا الثوب الذى فعل بى مثل ما فعل بك الآن . . ولم تكن لى بها سابق معرفة طبعا . . ولكنى أسرعت إليها وكلمتها . . وكانت لطيفة رقيقة . . علمت بعد قليل أنها عارضة أزياء . . وسألتها عن الثوب الذى ترتديه ومن أين أحصل على مثله . . فصحبتنى إلى المتجر الذى اشترته منه . . وعلمت هناك أنها اختارته من بين قرابة ثلاثمائة ثوب . . فاشتريت اثنين . . لى ولك . . وأنا أعرف مقاسك بالضبط . . وحدثتها عنك وقلت لها إن لى أختا تعتبر أجمل بنت فى العالم . . فقالت لو تعمل معى عارضة أزياء لجرت الألوف بين يديها لم لا تعمل عارضة فى بلدكم . . إنى أسمع أن المرأة المصرية تنافس الآن نساء العالم أناقة وذوقا .

وصكت كلمة الألوف أذنى عفاف . .

إن فرص الثراء تتعدد أمامها . . فمن قبل عرضت عليها ممثلة كبيرة لها قدرها بتكليف من أحد ممثلى شركات الإنتاج السينمائى – أن تصبح ممثلة . . وكان العرض جديا واضحا محددا والأجر معين القيمة وفترة العمل موقوتة بتاريخ محدد . . ولم يكن الأمر مجرد وعد قد ينجز أو لا ينجز أو اقتراح خلال حديث عابر قد يؤخذ مأخذ الجد أو يهمل فينسى بعد لحظات . . ولكنه عرض . . عرض بالتعاقد فورا . . وألف جنيه تستقر فى جيبها أو فى أحد المصارف باسمها نواة رصيد ضخم مرتقب . .

والآن تنهى إليها أختها أنه من الميسور لها أن تعمل عارضة أزياء لتجرى الألوف بين يديها . . إن جمالها يفتح لها كل الأبواب . . ومع ذلك فهى حبيسة شارع شنودة

من حى شبرا .

وتصورت نفسها تخطر يوما على منصة عالية فى بهو فندق سميراميس تعرض أزياء أشهر البيوتات إلى جانب من تقرأ أسماءهن وترى صورهن من العارضات فى الصحف .

إن هذا فوق احتمالها . . أيعبث هؤلاء الناس بعواطفها وأعصابها . . إحداهن تعرض عليها العمل بالتمثيل . . وهذه أختها تلوح لها – عن غير عمد – بأنه من الميسور أن يسعى إليها الثراء عن طريق العمل عارضة أزياء . . وهذا ثالث – مراد – يقتحم حياتها الصغيرة المحدودة الضيقة بكل ما عذبها الشوق إليه دون أن يكون لديها ذرة من أمل فى أن يصبح لها . . الفراء والعطر والثياب . . وهى على يقين – أصدق اليقين – بأنه رهن إشارة منها ليضع كل ما تشتهيه بين يديها .

أيتآمر هؤلاء الناس على قناعتها التى عاشت فى هنائها أو بلادتها زمنا ؟ كانت تؤمن أن القناعة بلادة العاجزين وكنز الفاشلين الخاوى . . ولهذا قالوا عنها أنها كنز لا يفنى . . لا يفنى لأنه خال مما يمكن أن يعدو عليه الفناء . . ولكنها صاحبت هذه القناعة زمنا . . صاحبتها وآختها وعانقتها حتى ضاقت أنفاسها وكادت تختنق .

وكانت تقلب الثوب بين يديها وهذه الخواطر تهاجم خيالها فى عنف وترج دماءها فى شرايينها كما ترج سائلاً فى أنبوبة اختبار تهيئة لتجربة من تجارب الطبيعة أو الكيمياء .

وهدأ السائل الأحمر فى أنابيبه عندما أفاقت إلى نفسها على صوت كمال وهو يقول فى حنوه البالغ .

– وهذه من كمال لأجمل شفتين فى العالم .

وأخرج من جيبه علبة من أحمر الشفاه . . كتلك التى أحضرها مراد .

وابتسمت . . ومدت يدها تتناولها من زوج أختها شاكرة وسمعت أمينة تقول .

– لقد أخبرته أنه مازالت لديك بقية منه . . ولكنه صمم على أن يكون لديك منه الكفاية حتى لا تضطرين لتغييره .

وأتم كمال حديث زوجته .

– هذا الأحمر أصبح طابع عفاف يميزها بين كل سيدات القاهرة فلا يجوز أن يفرغ من لديها حتى يبقى لها طابع التفرد والتميز .

وضحكوا . . وابتسمت عفاف . . وبادلت أحمد نظرة لا يفهم معناها سواهما وكأن كلا منهما يقول للآخر .

– كمال وأمينة لا يعرفان أن هناك علبة كاملة من أحمر الشفاه هذا قابعة فى أحد أركان خزانة الملابس . . علبة أحضرها مراد .

كانا تفاهما واتفقا – بالأعين ودون أى كلام – على ألا موجب أبداً لمجرد الإشارة لما أهداها مراد فهى مسألة شخصية بحت . . ومراد – على أية حال – لا يعرف كمالا وكمال لا يعرف مرادا . . وكل منهما لا يعرف الآخر . والأمر لا يعنى أحدا غيرهما .

وأعادت عفاف الثوب إلى صندوقه بعناية بالغة وهى تقبل أختها شاكرة ثم قالت لها .

– وأنت أيضاً لك عندى مفاجأة يا أمينة .

وابتسمت أمينة . . ابتسامتها البيضاء الطيبة وسألت .

– أية مفاجأة ياعفاف ؟

وكمن تريد أن يسمع أحمد جيدا ما تقول ليعيه ويحفظه .

– زميل لأحمد فى العمل . . تورط فى ثمانى قطع من الحرير أحضرها أحد

أقربائه من الخارج واضطر أن يتصرف فيها بالبيع فاشتراها أحمد برخص التراب يا أمينة . . لك أربع قطع ولى أربع قطع .

وأمسكت أمينة بذراع عفاف فى رقة وحنو وهى تقول .

– عفاف . . احتفظى بها جميعا لك ياحبيبتى . . ومبروكة عليك .

وقالت عفاف فى تحمس .

– لا يمكن يا أمينة . . مستحيل .

وقال أحمد .

– هذا بعض خيرك يا أمينة . .

– لا سمح الله يا أحمد . . لا تقل هذا مرة أخرى . . أبدا .

وقامت عفاف مسرعة وهى تقول .

– لحظة واحدة .

وأسرعت إلى غرفتها ثم عادت بالقطع الحريرية وطرحتها أمام أمينة وكمال وهى تقول :

– انظرى . . كم هو جميل .

وانفرجت أسارير أمينة وهى تتحسس الحرير وقالت

– آه . . هذا حرير بينى وبينه معرفة سابقة . . إنه من أغلى الأنواع ياعفاف .

وأسرعت عفاف قائلة .

– لو تتصورين بكم اشتراه أحمد .

وأحس أحمد أنه مشدود إلى الأكذوبة ولا فكاك له منها . . بل إن عليه أن يغطى ما بدأته زوجته فقال .

– إنه فعلا بسعر خيالى يكاد لا يصدق . . فصاحبه فى مأزق . . وفى غنى عنه . . و . .

وحولت عفاف مجرى الحديث فقالت .

– اختارى لك أربعة ألوان يا أمينة .

– أربعة ؟ مرة واحدة ياعفاف ؟ ؟ تكفينى قطعة واحدة . . أجمل هدية منك .

– لا يمكن . . أربعة يعنى أربعة .

وضحكت أمينة . . وقال أحمد .

– لا تخيبى رجاءها . .

وابتسمت أمينة وهى تقول .

– أنا لا أستطيع أن أخيب لعفاف أى رجاء . . هدية مقبولة ياعفاف مع شكر من الآن إلى نهاية الصيف القادم .

ثم التفتت إلى زوجها وهى تقول والابتسامة الطيبة تضئ وجهها .

– أحمد وعفاف أعفياك من كسوتى للصيف القادم ياكمال .

وشهقت عفاف وكأنها خجلت لقول أختها وقالت .

– « يانهار أبيض » . . لا تقولى هذا يا أمينة . . فهما قدمت لك . .

وقاطعتها أمينة بأن وضعت أطراف أناملها على شفتيها وهى تقول .

– ولا كلمة . . لا تقولى شيئاً .

وابتسمت . . وابتسمت عفاف . . وقال أحمد .

– ربنا يحفظك لها ولكمال ولى . . لنا جميعا يا أمينة .

وربت كمال كتف زوجته فى حنو وإعزاز وإكبار وهو يقول .

– إنها بركتنا كلنا .

واحمر وجه أمينة كطفلة فى الثامنة أطرتها أمها وضيوف أمها فقالت :

– لا تخجلوني .

ثم التفتت إلى أحمد وهى تقول مداعبة وفى رقة الملائكة .

– أحمد . . لا شأن لك بهذه الأثواب . . فأنا التى سأسدد تكاليف إعدادها لى ولعفاف .

– ولكن .

– والمناقشة ممنوعة .

وضحكت . . وضحكوا معها . . وقال كمال لأحمد .

– يا أخى . . مالك ومالها . . هما أختان وأنت وأنا على البر . . فما شأننا بهما .

وأمضى الأربعة ساعة يتحدثون ويسمرون . . وعلمت أمينة وكمال بأمر الجراحة التى أجريت لعفاف أثناء غيبتهما عن القاهرة . . وأغفل أحمد ذكر نفقاتها فلم يشر إليها ولو من بعيد .

كان قد استقر رأيه على عدم ذكر اسم صديقه مراد أمام عديله وزوجته . . إنه لا يحس حرجا إذا ما لجأ لصديق يسأله النجدة عند الضرورة مادام صادق النية والعزم على سداد ما هو مدين به ولو بعد حين . . ولكنه يخجل من الالتجاء إلى كمال باعتباره عديله . . ومادام عديله فهو يحاول جاهدا ودائماً أن يصون للتسمية حقها وأن يحفظ عليها وقارها ومعناها الكريم . . المفروض فى العديل أن يعادل عديله وإلا انتفت التسمية وفقدت معناها . . وهو يعلم أن قدراته المالية لا يمكن أن تقارن بقدرات كمال . . وهو من أجل هذا يحاول أن يحرص دائماً على أن ينأى بشخصه وبزوجته عن كل ما قد يتنسم فيه من المواقف والمناسبات أقل حرج ولو من بعيد . . كان يعتبر كمالا « الورقة الأخيرة » لا يلجأ إليه إلا عندما تقوم السدود أمام وجهه وتضيق به المنافذ وهو يحمد الله على أنها كانت مفروجة دائماً محلولة من أى سبيل .

وهذا لا يعنى أن كمالا قد يضيق بأحمد إذا لاذ به فى مأزق من المآزق فكمال كريم وسخى وطيب وحنون وإنسان . . وهو يتمنى أن يفعل الكثير لأحمد . . قال له مرة . .

– ليتك كنت مهندسا لا قانونيا يا أحمد . . لأرسلت أنا بالنيابة عنك كتاب استقالتك من خدمة الحكومة ولضممتك إلى مكتبى الهندسى فنعمل معا . .

ولو كان فى القاهرة ليلة أن فاجأ المصران الأعور عفاف بنوبته الضارية ولم تكن هنالك الجنيهات المائة التى استودع مراد أحمد وعفاف إياها قبل سفره لأسرع إليه فى نهاية الأمر وأيقظه وأمينة من نومها ليسأله نفقات الجراحة وهو على يقين بأن كمالا سيعطيه ضعف ما يسأله إياه دون أن يفكر فى استرداد ما أعطى يوما .

ومع ذلك . . كان حياؤه أقوى من أن يتغلب عليه . فقد سأله كمال عندما علم بأمر الجراحة التى أجريت لعفاف .

– إذن فقد مررتما بظرف طارئ يا أحمد . . وبطبيعة الحال لم تكن مستعدا له فهل أستطيع أن أفعل شيئاً . . أرجوك .

وتضرج وجه أحمد خجلا . . وقال فى صوت خفيض .

– شكرا يا كمال . . كانت مفروجة والحمد لله . . فسددنا تكاليف الجراحة واصطحبت عفاف إلى الإسكندرية للاستفادة من جوها بعد مبارحتها المستشفى . . والمهم قيامها بالسلامة .

واقترح كمال أن يمضوا الليلة معا فيتناولون العشاء فى أى مكان عام فيه موسيقى وفيه رقص وفيه مرح . . وذكرت أمينة اسم الأوبرج . . فوافقوا جميعاً . . وابتسمت عفاف ونظرت لأحمد .

كانت المرة الأولى التى تذهب فيها إلى الأوبرج بعد ليلة عيد ميلادها الحافلة . .

ولحظت أمينة ابتسامتها فسألتها .

– ما الذى أضحكك ياعفاف ؟

فزادت ابتسامة عفاف اتساعا وهى تقول

– أبداً .. سأرتدى الثوب الذى أحضرته لى معك من لندن . . كأنك أحضرته خصيصا لهذه السهرة . . وأنا سعيدة بهذا .

وربتت أمينة خد عفاف بأطراف أصابعها وهى تقول فى حنان .

– « مبروك عليك » . . كل ما تريدينه . . أحضره أنا لك .

١٥

انقضى أسبوع وعادت حياة عفاف إلى ركودها العادى . . إنها تحس برغبة ملحة فى أن تفعل شيئاً . . أى شىء . . وإن كانت لا تدرى ما هو . . هذه الحياة الرتيبة أصبحت تبهظها حتى لتكاد تحس بها تخنقها . . تقوم من نومها صباحا فتتناول قدحا من الشاى مع أحمد وهو يتناول إفطاره قبل انصرافه إلى عمله . . تتصفح صحف الصباح . . وتكون الخادم – سيدة – قد فرغت من تناول إفطارها وانطلقت إلى السوق لإحضار اللحم والخضروات وكل ما تكلفها سيدتها بإحضاره . . ثم تتناول إفطارا خفيفا إذا أحست بقابلية الأكل وهى فى القليل النادر ما تحس بهذه القابلية . . ثم تنصرف لطهو الطعام بينما تبدأ سيدة فى الكنس والمسح والتنظيف والتلميع وهى تغنى بصوت جريح آسية لخيبتها التى لم ترد على أحد بعد أن انتزعوا زوجها من بين أحضانها فى ليلة زفافها . . وتفرغ عفاف من طهو الطعام فتخلع القفاز المصنوع من المطاط الرقيق الذى يحفظ على يديها وأصابعها وأظافرها جميعاً جمالها دون أن تتعرض – على مر الأيام – للتلف والتشقق فتفقد

نعومتها وجمالها ثم تنضو عن صدرها الميدعة البيضاء المعقودة على ردفيها بشكل جناحى طائر كبيرين . . وتترك لسيدة مهمة غسل الأوانى التى استعملت فى إعداد الطعام ومسح المطهى أو غلق بابه إلى أن يعود أحمد من عمله فيتناولان طعامهما ثم يقيلان إلى أن تميل الشمس للغروب فتتجدد المشكلة الأزلية كيف يمضيان ما بين الساعة الخامسة أو السادسة وبين موعد النوم وهما لا ينامان قبل منتصف الليل ؟

أحيانا يقصدان إحدى دور السينما . .

والسينما يستحيل عليهما أن يجعلاها سهرتهما كل ليلة .

وأحياناً يمضيان إلى بيت كمال وأمينة . . وشرفة مسكنهما على النيل متعة للسامرين . .

وهذه أيضاً يستحيل عليهما أن يجعلاها سهرتهما كل ليلة . . بل إن أحمد كثيراً ما حاول أن يقنع عفاف بإحساسه بالحرج كلما ألح كمال وأمينة عليهما لكى يمضيا السهرة فى مسكنهما . . ولكنها كانت تهون الأمر عليه وتحاول بدورها أن تقنعه بألا يقيم بينهما وبين أختها وزوجها هذا الحاجز من الوهم الكبير وأن ما يفكر فيه أو ما يحسه ويشعر به لا وجود له أساساً فى نفس أمينة وكمال .

وكانت على صواب فى رأيها .

فأمينة وكمال يسرهما كثيراً أن تمضى عفاف وأحمد معهما كل الأمسيات فيأكلون ويسمرون وكثيرا ما كانت تطول السهرة بأربعتهم فلا يسمح كمال لهما بالانصراف إلى مسكنهما بل يرجوهما - وأمينة تؤيده - أن يبيتا معهما فيبيتان .

كيف يمضيان إذن هذا الوقت .

بدأت تحس أنها أكبر من حياتها . . أو أن حياتها أصغر منها . .

ثوب ضيق يخنق أنفاسها . . تريد أن تمزقه لتتنفس . . لم تعد تطيق أن تستعمل

الترام أو السيارات الحافلة وسيلة الانتقال بعد أن ألفت ركوب سيارة مراد ثلاثة أشهر متوالية . . فكانت إذا استقبلها شارع شنودة خارجة من باب البيت . . اتجهت توا إلى موقف السيارات الأجرة فيسرع سائق السيارة الأولى يفتح بابها مرحبا .. فتركب .. وتنطلق السيارة بها إلى حيث تكون وجهتها .

وقفزت نفقات الانتقال من أربعة قروش إلى أربعين قرشاً عن كل مرة للذهاب والعودة ولما راجعها أحمد فى ذلك أجابته أنها لم تعد تستطيع احتمال الزحام فى مركبات الترام والسيارات الحافلة معرضة نفسها لهذا يلصق مرفقه بنهدها وذاك يمسح ظهرها بيده وهى خارجة من جيبه بقرش أو قرشين ثمن التذكرة . . وثالث يلصق جسمه بجسمها ويحتك بها فى قحة واستهتار بالغين . . والزحام دائماً هو المشجب المسكين المظلوم الذى يعلقون فوقه كل هذا الصغار وهذه السفالات .

وعاودها الإحساس بأنها تدفع أيامها لكى تنقضى كما تدفع بيديها الصغيرتين قطارا حديديا مكبلا بالفرامل .

تمنت ليلة كليلة عيد ميلادها فى ملهى الأوبرج . . وتمنت يوما كذلك اليوم الذى تناولت فيه طعام غدائها فى مطعم الأرميتاج ثم انطلقت إلى منتدى الجزيرة . . وتذكرت مرادا . .

ولكن . . إنها لم تنسه حتى تتذكره . . وهى تعيش فى اللحظات السعيدة التى أمضتها فى ضيافته ذات يوم قريب وذات ليلة بعيدة . . وتساءلت فيما بينها وبين نفسها .

أين هو؟ ؟

ولم لم يتصل بها ؟ ؟

لو أن التليفون فى مسكنها لكان من السهل عليه أن يناديها . . ولكن أحمد

مازال يرى أنه ليس من الضرورات التى يجوز أن يرهق ميزانيته من أجلها . . ولكان من الممكن إذا أز الجرس أن ترفع هى السماعة وتجيب وتدعوه . .

تدعوه ؟ ؟ لأى شيء ؟ ؟ للعشاء مثلاً . . ولم لا ؟ ثم تعطى السماعة لأحمد لكى يؤكد الدعوة .

ولكن . . ماله لم يتصل بأحمد ؟ ؟ إنه يعرف رقمه فى مقر عمله فإن أحمد قد أعطاه بطاقته ليلة عيد ميلادها . . فلم لم يتصل به وقد انقضت كل هذه الأيام على ذلك اليوم الذى أمضوه فى منتدى الجزيرة ؟

إلى أن عاد أحمد من عمله ذات يوم وأخبرها أن مرادا زاره فى مكتبه ليدعوهما للعشاء فى بيته . . وكان اليوم يوم الخميس .

وأحست أن الدعوة لها . . ومن أجلها وأنها لولاها لم تكن أبداً . . وخيل إليها أن دبيبا ساحراً خفيا سرى فى قلبها فيخطف دقاته خطفاً وكأنها أرادت أن تخفى فرحتها المفاجئة فسألت زوجها وكأن الأمر يدهشها .

– فى بيته ؟ ؟

– ولم لا ؟ إنه يقطن الزمالك وسيرسل لنا السيارة حوالى الساعة التاسعة . .

كانت فرحة بأنه دعاها إلى بيته فقد كانت مشوقة لأن ترى كيف يعيش مثل هذا الأعزب الساحر . . تريد أن ترى بيته . . البيت الخالى من امرأة تشرف عليه وعلى خدمته ونظافته وترتيبه وتنسيقه . . تريد أن ترى حياته عن قرب وما قد يضمه إطارها من طرائف ومتناقضات . . ولكنها حاولت أن تخفى فرحتها وأن تدع أحمد يشعر أنها كانت تفضل لوكانت الدعوة فى مكان آخر عام . .

وحاولت أن تفسر لنفسها حقيقة الدافع الذى يدفعها لأن تخفى عن أحمد فرحتها بدخولها بيت مراد للمرة الأولى فلم توفق . . لم تكن تحب أن تصدع رأسها

بأن تغوص فى أعماق نفسها بحثا عن كل ما تختلج به هذه النفس . . أنها أحست هذا وحسب . . أنها مدفوعة لأن تخفى ابتهاجها بدعوة مراد لكى تتناول العشاء فى بيته .

وكانت المرة الأولى التى تحاول فيها أن تظهر أمام زوجها بنفس مقنعة . . وسألته وكأن الأمر بالنسبة لها غير ذى بال كبير .

– أهناك غيرنا من المدعوين يا أحمد ؟

فأجابها أحمد بلهجة من لا يستطيع أن يقطع برأى :

– فى الغالب ياعفاف . . أنه لم يقل لى هذا قولا صريحا . . ولكنى أحسست من خلال حديثه أن هناك بعض أصدقائه . . أنت تعرفين مرادا . . معارفه لا يقعون تحت حصر .

واتخذت عفاف هيئة جادة وهى تقول :

– اسمع يا أحمد . . هذه أول مرة ندخل فيها بيت مراد . . وليس من المعقول أن تكون دعوته قاصرة علينا فقط . . لابد أن هناك جمعا من أصدقائه وصديقاته .

فأتم أحمد حديثها قائلاً :

– وهذا ما أقدره أنا أيضاً .

واستأنفت عفاف حديثها فقالت :

– وهؤلاء جميعا يروننا لأول مرة . . قد يكون بينهم بعض من كانوا حول مائدته ليلة الأوبرج وقد لا يكون . . المهم أن هناك من لا يليق إلا أن نبدو أمامهم بالمظهر اللائق .

وأمن أحمد على قولها بقوله :

– طبعا طبعا . .

وأتمت عفاف حديثها كمن يلقى محاضرة فى كشف علمى خطير.

أنا سأرتدى الثوب الذى أحضرته لى أختى أمينة من لندن . . وهو قطعا لن يكون على واحدة من المدعوات .

– عظيم جدا .

– ولكنى بحاجة ماسة لحذاء وحقيبة يد جديدين يليقان بالثوب حتى يبدو فى أبهى حالاته . . أتذكر ليلة أن ذهبنا إلى الأوبرج مع أمينة وكمال ؟ ؟ لم يكن حذائى لائقاً بالمرة . . كذلك حقيبة يدى . . لم تكن تتناسب أبدا مع جمال الثوب وفخامته .

وازدرد أحمد لعابه وهو يقول كمن لا يملك قولا غير هذا .

– لا بأس ياعفاف . . اشترى كل ما تريدين ولديك متسع من الوقت . . والمتاجر تفتح أبوابها من الرابعة بعد الظهر إلى الثامنة . . فى ساعة واحدة تستطيعين شراء الحذاء والحقيبة . .

وطوقت عنقه بذراعيها وقبلته من وجنته قبلة لها رنين . . وكأنها أرادت أن تؤكدها . . وعند الغروب بارحت المنزل وغابت عنه ساعتين ثم عادت تحمل صندوقين صغيرين . . فى أحدهما حقيبة يد . . وفى الآخر حذاء . . وفى حقيبة يدها التى بارحت بها المنزل ثلاثة جنيهات هى كل ما بقى معها من خمسة عشر جنيها . . ولم تقل لأحمد كم سددت ثمناً للحقيبة والحذاء . .

كانت دائماً ترجئ الحديث فى الماديات إلى أن يحين حينه ويصبح أمرا لا مفر منه . . وأحمد بدوره لم يسألها . . لعله لم يشأ أن يعكر فرحتها ولا أن يكون سببا فى أن تشوب الأمسية الجميلة التى سيمضيان بعد قليل لقضائها فى منزل صديقه ، أية شائبة .

وعندما هلت عليه بعد أن فرغت من زينتها والحذاء الجديد يكاد يأكل قطعة شهية من قدمها . . والحقيبة السوداء الأنيقة كأنها صنعت خصيصا للثوب الذى أهدتها أمينة إياها . . أحس بتفاهة المال . . وتمنى لو كان يملك الملايين لكى تعيش عفاف حياة صاحبات الملايين . .

هذا الجمال لا يجوز أن يحاسب على ما يكلف صاحبه ومن يملكه ويستمتع به دون الناس أجمعين . . أبدا . . لا يجوز أن يحاسب أبدا .

١٦

وقفت السيارة أمام باب البيت الذى يسكن مراد الطابق الثانى منه فى شارع الأمير بدر الدين بالزمالك . . وهبط السائق – سيد – وأسرع بفتح الباب فمدت عفاف ساقيها معا خارج السيارة وهبطت منها قفزة واحدة . . وتبعها أحمد . . ورفعت عينيها إلى واجهة البيت . . لم يكن مبنى ضخما من تلك الأبنية الحديثة المؤلفة من عشرة طوابق فأكثر . . بل بيتا من أربعة طوابق بما فيها الأرضى الذى يرتفع قليلا عن مألوف ارتفاع الأدوار الأولى . . ولم يكن يبدو عليه القدم زمناً أو طرازاً . . بل من تلك الأبنية التى انقضى على إقامتها ما بين عشرة أعوام وخمسة عشر عاما . . وكان نظيفا أنيقا . . يبدو أن صاحبه لم يكن يملك ما يتيح له بناء عدد كبير من الطوابق فاكتفى بهذه الأربعة ولكنه أولاها عناية خاصة حتى يبدو البناء فى مجموعه جميلا يسر العين ويرضى الذوق ويغرى بالسكنى . . وكان مدخله هادئاً هدوء الشارع الذى يقع فيه المنزل كله ، يضيئه نور هادئ جميل ينبعث من مخابئ خاصة فى الجدران بحيث لا تظهر المصابيح ذاتها .

وتقدمت عفاف وإلى جانبها أحمد وخلفهما سيد وهو يقول :

البيت بلا مصعد لأنه من أربعة طوابق بما فيها الأرضى . . وعلى أية حال فالمسكن فى الطابق الثانى .

وتبسط أحمد فى الرد على سيد فقال :

– تعودنا الصعود والنزول طويلا يا سيد . . إنه على أية حال نصف سلم بيتنا .

وهمست عفاف فى أذن أحمد :

– بيت أمينة أيضاً بلا مصعد يا أحمد .

– من الظلم أن يزود المالك بيتاً من أربعة طوابق بمصعد ياعفاف .

وفى ثوان كانوا أمام باب المسكن . . باب أنيق عريض من خشب الأرو . . تعلوه لافتة صغيرة فى مساحة علبة الثقاب محفور عليها رقم ٣ وتتوسطه فى مستوى النظر نقطة سوداء صغيرة . . أدركت عفاف للتو أنها العين السحرية وهى منظار دقيق يتيح لمن بداخل المسكن أن يرى من خلاله أى طارق من الخارج فيفتح الباب إذا كان من المرغوب فيهم أو لا يفتحه إذا كان من غير المرغوبين . .

وضغط سيد زر الجرس . . ومضت ثوان ترامى بعدها إلى سمعهم دبيب خطوات خفيفة ثم فتح الباب . . وكان مراد بنفسه وعلى وجهه ابتسامته الساحرة .

– أهلا وسهلا .

قالها وهو يمد يده لعفاف التى أعطته يدها وهى تخطو داخل أجمل مسكن وقعت عليه عيناها . . ورفع يدها إلى شفتيه فمس بهما أطراف أصابعها فى حركته المعتادة السريعة المهذبة . . ثم صافح أحمد بحرارة وهو يشد على يده بينما راح يربت كتفه بيده الأخرى . . وسأله السائق :

– العربة يافندم ؟

فأجابه مراد :

– دعها أمام الباب يا سيد وانصرف أنت إلى بيتك .

وقبل أن يستدير السائق منصرفا استوقفه مراد وسأله .

– أتممت مهمة المستشفى ؟

– فأجابه السائق :

– ذهبت وسددت المبلغ المطلوب ، نفقات علاج وإقامة الخمسة عشر يوما التى تبدأ غدا ؟

– وكيف حال عبد المجيد ؟

– بخير يافندم . . الطبيب كلفنى أن أطمئنكم على حاله فقد زالت الحمى . . وعبد المجيد يدعو لكم بالستر وطول العمر . . ويبرح المستشفى بعد انتهاء هذين الأسبوعين .

– غدا أعوده فى مستشفى الحميات يا سيد . . مع السلامة .

وانصرف السائق وأغلق مراد الباب وأخذ عفاف وأحمد من يديهما فى مودة وهو يشرح مناقشته مع سائقه .

– عبد المجيد بواب المنزل . . ولد فى منتهى الأمانة والإخلاص . . فاجأته حمى التيفود .

. . ولم يكن هناك مفر من عزله وعلاجه علاجا جديا . . فأدخلته مستشفى الحميات على درجة .

وضحك مراد وهو يقول .

– القسم المجانى . . داخله مفقود وخارجه مولود . . والملعون عبد المجيد خفيف الدم وموته خسارة . . وفوق كل هذا أمانته النادرة . . إن مفتاح باب المطهى

المفضى إلى سلم الخدم معه باستمرار .

والتفت إلى عفاف وهو يقول .

– أهلا بعفاف هانم . . أهلا يا أحمد . . إنى أتفاءل دائماً عندما يدخل ناس مسكنى لأول مرة . . أى ناس . . فما بالكما بأقرب الناس إلى . . أرجو أن يعجبكما بيتى .

وبادلت عفاف أحمد نظره وهى تقول .

– تصور يا أحمد . . مراد بك يرجو أن يعجبنا بيته ! !

ثم التفتت إلى مراد وهى تقول .

– أهذا بيت ؟

– ألا ترينه بيتاً ؟

– لقد دخلت بيوتا كثيرة من قبل . . ورأيت فيها من الذوق والجمال ما لم أكن أتصور إمكان وجوده فى بيت مصرى . . ومنها بيت شقيقتى . . ولكن ما أراه الآن . .

ونظرت إلى أحمد بابتسامة القطة على وجهها وهى تسأله .

– أم ترانى مبالغة يا أحمد .

وأجابها أحمد والابتسامة فوق وجهه .

– يخيل إلى أن المرور فى هذه القاعة لابد أن يكون بنظام الاتجاه الواحد .

وضحك مراد من قلبه .

– الله يجازيك يا أحمد .

وضحكت عفاف وهى تؤكد المعنى الذى عناه زوجها .

– حقيقة يامراد بك . . النظام أول ما توحى به إليك هذه القاعة فتحس أنه

لا يجوز لك أن تصطدم بشيء أو تنقل شيئا من مكانه أو . . .
وقاطعها مراد ملوحا بيده وهو يصيح بها .
– ياشيخه . . ما هذا كله ؟ اصطدمى بأى شيء وانقلى أى شيء وحطمى أى شيء دون أن يهمك شيء . . قواعد المرور غير معمول بها هنا . . بعد قليل يصل . . « الغجر ويحيلون هذا الهدوء إلى « مولد » . . صبرك . .
وأيقن أحمد وعفاف أن مدعوين آخرين سيقدمون بعد قليل . . وقال مراد .
– مادامت هذه القاعة أعجبتكما . . فسأريكما المسكن جميعه لعل بقيته تعجبكما أيضاً .
ودار بهما فى القاعة التى تبدأ بعد مدخل صغير يفصل بينهما وبين باب المسكن .
كل ما بها كان صينيا . . من السجاد الذى يغطى الأرض . . إلى النقوش التى تزين ألواح الخشب التى كست الحوائط جميعها . . وكان اللونان – الوردى والأسود – هما الغالبان على كل ما عداهما . . وأينما وقف الإنسان فلابد أن يجد بجانبه قطعة نادرة من الأثاث تحمل تحفة صغيرة أو كبيرة وفق ما يقتضيه الذوق . . وكان واضحاً أن من أشرف على اختيار أية صغيرة أو كبيرة فى هذا المكان يتمتع – قطعا – بأعلى مراتب الذوق . . ولفتت المصابيح الملونة انتباه عفاف . . كانت من الحرير الصينى الشفاف . . مختلفة الألوان وإن تشابهت جميعها تصميما وتساوت فى الحجم وقد تدلت منها الخيوط الحريرية التى تناسب كل مجموعة منها لون المصباح الذى تتدلى منه . . وكان التنين – رمز الصين – هو القاسم المشترك الذى علقت بين أسنانه المصابيح . . وكان آية من آيات الصناعة . . ولم تدر عفاف أهو من الخشب أم من سن الفيل أم من مادة أخرى لا تعرفها . . وخجلت من جهلها إن هى سألت مرادا فلم تسأله . . وكانت جميعها مختلفة الألوان فمنها الأحمر ومنها الأسود ومنها

الأصفر ومنها الأبيض ومنها الأخضر الفاقع والأخضر الزيتونى . . ومنها الوردى والبنفسجى والأزرق والسنجابى . .

ماهذا كله ! !

بين كل ذراع وآخر مصباح من هذه المصابيح . . تحفة تزين وحدها قاعة بأكملها . . أهو ثرى حرب ؟ ؟ أهو حديث نعمة ؟ ؟

ولكنها نفت عن خاطرها هاتين الصفتين بسرعة عندما أدارت عينيها فى أرجاء القاعة وخيل إليها أنها تسمع للذوق فى الترتيب واختيار المكان لكل تحفة صوتا عاليا .

والمكان فسيح . . متسع . . ولابد له من إضاءة كافية . . وهنا يختلف الذوق فواحد يصنع مثل ما صنع مراد . . وآخر يثبت فى السقف إحدى الثريات التى نراها فى أى بيت . . لا جديد فيها يبهر العين أو يخطف الفؤاد .

وكانت النوافذ عريضة متسعة تفتح مصاريعها الزجاجية بأن تدفع يمينا ويسارا فتختفى بين الجدران ثم تهبط الستر المعدنية مكانها عند الحاجة بدلا من المصاريع الخشبية . . وكانت هذه الستر تتألف على التوالى من شريحة وردية وأخرى سوداء . . وفى حالة رفعها تهبط ستر من حرير صينى فى لون الغمام الرمادى وشته رسوم أوضح ألوانها الأسود والوردى .

وفى ركن بعيد وضعت مائدة طويلة من الخشب الأسود زينتها رسوم صينية دقيقة فى لون الذهب وغطى سطحها بلوح من البللور الأسود الفاخر محفور على وجهه السفلى الملاصق لسطح المائدة رسم تنين ضخم بألوان صارخة . . وكانت حافلة بطعام وشراب يكفى عشرين مدعوا والأطباق الفارغة مرصوص بعضها فوق بعض وإلى جانبها آنية من البللور تضم الملاعق والسكاكين وكافة أدوات الطعام . .

وفى ركن آخر رأت عفاف معزفا « بيانو » أسود ضخم فوقه تمثال صغير من البرنز لـ . . « موتسارت » .

ونظرت إلى مراد وسألته .

– بيانو ؟ ؟ لمن يامراد بك ؟

فأجابها والابتسامة لا تفارق شفتيه

– لى . . ولمن يحب أن يعزف .

– أتعزف ؟

– أحياناً ؟

– أعنى . . أتجيد العزف ؟

– لا بأس . . وأنت ؟ أتعزفين ؟

فهزت رأسها نفيا وهى تبتسم كأنها تقول « مع الأسف »

وعبر الثلاثة منطقة فضاء من القاعة إلى ركن ضم أرائك ومقاعد تغرى بالنوم لا الجلوس وحسب . . منها المثبت فى مكانه لصق الجدار فلا يمكن تحريكه ونقله . . ومنها الذى ينتقل به إلى الجالس من مكان إلى آخر . . ولكنها جميعا كانت ذات طابع واحد ورسم واحد ولون واحد . . الأصل أسود والنقوش وردية . . كل هذا . . وجو المكان رطب لطيف فلا حرارة ولا عرق مع أن الجو كان يومئذ من الأجواء الخانقة التى يهرب الناس فيها من بيوتهم ملتمسين بعض نسمات الهواء فى الأماكن الخالية البعيدة . . وسأله أحمد سر هذا الجو الجميل . . فابتسم مراد ومد يده إلى مكان خفى فى الجدار فضغط زرا صغيرا انفتحت له كوة عريضة من الألواح الخشبية أشار مراد إلى داخلها . . وصاحت عفاف فى بهر وإعجاب .

– جهاز لتكييف الهواء . . .

وأعاد مراد غطاء الكوة إلى مكانه فاختفت معالمه ، كل شيء فى هذا المسكن كان معدا مجهزا مهيأ كما لو كان قطعة من الجنة .

وفتح مراد فى أحد الجوانب بابا . . لم يكن أحمد وعفاف يتصوران إمكان وجوده فى هذا المكان لولا المقبض الفضى الظاهر الذى يرشد إلى مكانه . . وكان المطهى خلف هذا الباب .

– أهذا مطهى ؟

قالتها عفاف وهى تغالب الضحك .

وأتم أحمد مايعرف أن زوجته تريد أن تقوله ؟

– هذه عيادة طبيب .

وكان المطهى شيئاً خرافيا . . أبسط وأوضح ما فيه الثلاجة الكهربية ، ، أما ما عداها فشيء لا عهد لها به قبل ذلك أبداً .

وجذب مراد الباب فأغلقه ثانية . . وكانوا قد اقتربوا من سلم أنيق حلزونى التصميم ولكنه لم يكن بالارتفاع الذى يكفى لاكتمال دورة حلزونية . . وكان من خشب الأرو غير اللامع . . ترك بلونه الطبيعى . . ولم يكن مكسوا بممشاة من السجاد . . ولكن وجهة كل درجة كانت محلاة برسوم هندسية من النحاس الأصفر المطروق زوايا قائمة متصلة ببعضها . . وكانت مثبتة فى الخشب بطريقة لا تجعلها بارزة عن مستواه . . بل متداخلة فيه كأنها أجزاء من أليافه . . لم يكن بها أى أثر لمسمار واحد .

وأشار مراد لعفاف وأحمد بيده أن . . تفضلا .

وخفق قلب عفاف وهى تضع قدمها لأول مرة على أول درجة إلى مخدع مراد .

لم يكن يحتوى الدور العلوى على أكثر من قاعة فى نصف مساحة الدور السفلى . . يفضى باب فى جدارها الأيسر إلى غرفة النوم التى تفضى من باب بداخلها إلى الحمام .

وكان جو هذا الطابق مخالفاً لجو الطابق الذى تحته . . يتميز بألوان مشرقة . . أرائك ومقاعد ومساند ووسائد مريحة زاهية كأنها الربيع . . ومذياع ضخم فى أحد الأركان مزود بعدد لا حصر له من المسجلات الموسيقية . . وإلى جانب الجدار الزجاجى العريض المطل على فضاء أخضر جميل . . مائدة خفيفة أنيقة أمامها مقعد واحد وفوق سطحها الأزرق الشاحب غير القابل للتأثير بالحرارة آنية صغيرة بها ورد نضر ومصباح منخفض يضاء ويطفأ بزر أبيض دقيق فى قاعدته .

وغرفة النوم كانت شيئاً فريداً . . فراش لم تر فى حياتها أوسع منه ولا أطول منه . . ولا فى أفلام السينما الأمريكية . . لمن كل هذا ؟ إنه يتسع لأسرة كاملة . .

وحارت عيناها فيما حولها . . هذا خوان من خمس ضلفات وهذه مائدة للزينة لم تر مثلها من قبل . . وهذا مقعد وحيد كبير قريب منها وتلك مرآة بعرض نصف الجدار مثبتة فى إطار من الألومنيوم أو من الفضة لا تدرى . . ترتفع من أرض الغرفة حتى تمس سقفها . . وهذا مصباح أزرق جميل بجوار الفراش . .

ومن غرفة النوم ألقوا نظرة على الحمام . . وكان شيئاً أشبه ما يكون بتلك السيارات التى غزت الأسواق فى السنين الأخيرة بألوانها الفريدة . . الأرض صفراء فى لون ريش العصفور المغرد . . ومحتويات الحمام جميعها من الصينى الأزرق اللامع .

الطابع الأمريكى كان هو السائد على هذا الطابق العلوى من المسكن . . من ردهته الخارجية إلى غرفة النوم . . إلى الحمام .

وكان أحمد وعفاف فى كل هذا شبه صامتين إلا من رد قصير على كلمة يقولها مراد كان شيئاً فوق تصورهما .

وأحس مراد – بسليقته – بمدى تأثر عفاف بما رأت . . كان يعلم أن بيته من أجمل ماتقع عليه العين . . وكان يريد أن يبهر عفاف . . وقد استطاع أن يبهرها أكثر مما كان يرجو .

وأشار إليهما فى رقته المعهودة وهو يقول :

– تفضلا .

وقبل أن يهبطوا إلى الدور السفلى . . اختار عشر مسجلات موسيقية وضعها فى الجهاز المكمل للمذياع . . وحرك مفتاحا صغيراً فتحركت الذراع المعدنية الخفيفة تلقائياً وهبطت بلطف فوق مكانها المعلوم من القرص الشمعى الأسود .

ثم قال :

– نسمع شيئاً من الموسيقى .

والتقط المسرة وكانت فوق أحد المقاعد وخلص حبلها الطويل مما قد يعوقه إذا ما جذبه . . وهبطوا ثلاثتهم الدرجات القليلة إلى الطابق الأول . . عفاف فى المقدمة وأحمد وراءها . . ومراد وراء أحمد والمسرة فى يده يجذبها من حبلها الطويل وهو يقول :

– قد يطلبنا أحدهم . . فلتكن قريبة منا .

وبدأت الموسيقى تصل إليهم ناعمة رقيقة . . وحارت عفاف فى معرفة طريق وصولها إليهم . . كانت قريبة من آذانهم برغم وجود المذياع فى الطابق العلوى .

وأحس مراد بحيرتها فأمسك بيدها فتركتها له . . ثم رفعها وقربها من مكان خفى بين الأرفف الوردية السوداء التى تحمل المصابيح الصينية وقال لها :

– ماذا تجدين عندك !
– شيئاً . . أشبه بمقبض صغير .
– أديرى هذا المقبض إلى اليمين .
وأدارته عفاف إلى اليمين فإذا بالموسيقى ترتفع كأنها الهدير الصاخب ففزعت وضحك مراد وأحمد . . ثم استعادت هدوءها وعرفت أن الجهاز فى الدور العلوى متصل بمفتاح خاص به فى هذا المكان . . ثم ما لبثت أن عرفت أن هناك مثل هذا المفتاح فى غرفة نومه وفى القاعة العلوية وبجانب كل مقعد فى هذه القاعة . . أينما كان الإنسان فى هذا البيت العجيب يستطيع أن يسكت الموسيقى أو يستمع إليها وفق مزاجه ودون أن ينتقل من مكانه .
وجلسوا ثلاثتهم فى أحد الأركان . . وسأل مراد أحمد .
– ويسكى يا أحمد أم شمبانيا ؟
– أفضل الويسكى .
– وعفاف هانم .
وابتسمت عفاف . . وترددت قليلا ثم قالت :
– الويسكى شديد على . . وأنا فى الواقع يندر جدا أن أشرب . . على أية حال . . الشمبانيا أنسب لى .
وأشار مراد إلى زجاجات الشمبانيا غارقة حتى أعناقها فى وعاء فضى كبير مملوء بالثلج . . وبالقرب منها زجاجات الويسكى والأكواب الفارغة وقال لعفاف بلهجة من يريد أن يسكب فى قرارة نفسها الإحساس بأنها فى بيتها وأنها المضيفة لا الضيفة . .
– السيدة الصغيرة تسمح بأن تكون ساقيتنا . البيت بيتك وأنت المضيفة ونحن ضيفاك .

وابتسمت عفاف كطفلة طلبت منها أمها أن تقرأ فى كتاب أمام زائرات من صديقاتها لتريهن شطارتها . . وقامت عن مقعدها واتجهت إلى المائدة وهى تسأل السؤال الخالد :

– بالصودا أم بدونها ؟

فأجابها مراد :

– أنا كأحمد . . وأنت بطبيعة الحال تعرفين ذوق أحمد .

وامتدت يدها إلى زجاجة الويسكى وهى تقول :

– بالصودا إذن .

وأعدت كأسين . . لزوجها ولصديقه . . قدمتهما لهما . . ولم يفت مراد أن يخترق بنظراته ما بين نهديها عندما انحنت لتضعهما أمامهما فوق سطح المائدة الصغيرة . . كانا أكثر نضارة وأشد سحرا وأصرخ نداء عما رآهما ليلة أن راقصها فى أوبرج الأهرام منذ شهور . . وتمنى لو كان هو المصحف الذهبى المعلق فى عنقها حتى يمس هذا الصدر ويقبله كلما اهتزت وهى منحنية تضع الكأسين .

وسألتهما وهى تعود نحو المائدة الحافلة :

– هنا كافيار وبطارخ ولحم بارد ومملحات . . وزحام كثير فماذا تريدان ؟

– ياسيدتى . . هات لنا كل شىء ولا تبخلى علينا بشىء . . وأسرعى بفتح زجاجة من هذه الشمبانيا وهات كأسك كى لا نشرب قطرة واحدة بدونك . . أنت الآن سيدة البيت فلا تتركى المساكين أمثالنا عطاشى . .

وانتظم عقدهم حول مائدة منخفضة قوائمها وإطارها من الأبانوس الأسود المزين بالرسوم الصينية وسطحها مغطى بمثل اللوح البللورى الأسود الذى يغطى المائدة الكبيرة .

التماثل كان الطابع السائد فى أثاث هذه الجنة الصغيرة مهما اختلفت قطعه حجما وتباينت .

ورفعوا كؤوسهم إلى شفاههم . . وسأله أحمد :

– ولكن من يشرف على بيتك هذا يامراد .

– مصطفى للطهو فقط . . وعبده للخدمة والتنظيف . . وشعبان للإشراف على كل كبيرة وصغيرة . . يعنى هو المسئول عنهما . . عن مصطفى وعن عبده . . وسيد للسيارة بطبيعة الحال .

وردت عفاف كأسها إلى سطح المائدة الصغيرة وهى تقول .

– فى الحقيقة . . يبدو كأن يد السيدة الساحرة لا تنقصه .

– إنهم فى خدمتى منذ زمن . . يخدموننى بكثير من التفانى . . ويعرفون أننى لا أطيق أن أرى ذرة من الغبار على أى شىء . . والحقيقة . . النظافة فى دمائهم جميعا . . وأنا لا أبخل عليهم بأى شىء . . والجميع يفرغون وينصرفون إلى بيوتهم .

والتفت مراد فجأة إلى ناحية السلم المؤدى إلى الطابق العلوى . . ومد يده قريباً من الأرض وأحدث صوتا بإصبعيه الإبهام والوسطى وهو يقول كمن يحدث مخلوقا صغيرا عزيزا .

– أهلا . . تعالى . .

والتفت أحمد وعفاف وإذا بقطة سوداء لامعة غزيرة الشعر قادمة نحوهم تتهادى كأنها راقصة زنجية جميلة . . كانت قصيرة الجسم . . سمينة . . منتصبة الذيل حتى ليكون مع ظهرها زاوية قائمة . . وكان ذيلها هذا يروح ويجئ يمينا ويسارا مع كل خطوة تخطوها كأنه بندول ساعة . . وكانت جميلة الوجه مستديرته متناسبة الأذنين خضراء العينين جمعت دلال وجمال ورقة كل الحيوانات الأليفة . .

واقتربت منهم وصاحت عفاف إعجاباً :

- الله . .

ونظرت القطة إلى سيدها . . وفتحت فمها تموء وأغلقته ولكن بغير صوت كأنها بغير أحبال صوتية . . وربت مراد ركبته بكفه فقفزت إليها فى رشاقة وراحت تتمسح بصدره وتدس بوزها وأنفها فى عنقه وتلعق خده بلسانها الأحمر الجميل . . وضحكت عفاف وهى تكرر صيحتها :

- الله . . لم أكن أتصور قطة بهذا الجمال . . إنها أجمل من القطط السيامية .

فأجابها مراد وهو يمسح ظهر القطة بكفه :

- القطط السيامية جمالها فى غرابة لونها فقط . . الهافان مع البنى . . ولكن يستحيل أن يكون لإحداها مثل هذا الوجه الجميل . . انظرى . . إنه وجه فتاة جميلة .

ومدت عفاف كفها وراحت تمسح شعر القطة وهى تقول :

- رقيقة جدا . . انظر يا أحمد .

ورفع أحمد وجه القطة بإصبعيه وهو يقول مداعبا :

- إنها خضراء العينين مثل صاحبة لنا . .

وكان يعنى زوجته بهذه المداعبة .

وابتسمت عفاف وهى تسأل مراد :

- أهى قطة أم قط !

- يستحيل أن يكون قط بكل هذا الدلال . . إنها قطة . . وعندما تلد سنقيم لها « سبوعا » . . نشهده جميعا . . وعندما تبلغ قطيطاتها سن الفطام . . اختارى منها ما يحلو لك .

وضحكت عفاف من قلب صاف . . وضحك أحمد من فكرة إقامة حفل « أسبوع » لقطة مراد الذى راح يربت رأسها وهو يخاطبها فى تدليل :

– أليس كذلك ياليلى !

– اسمها ليلى ؟

وتنبهت القطة لسماع اسمها فنظرت إلى عفاف وماءت بصوت ضعيف رقيق ثم قفزت إلى حجرها . . وضحكت عفاف وهى تقول :

– أول قطة أراها تحمل مثل هذا الاسم . . ليلى اسم قطة ! ! هذا أغرب ما سمعت .

وأز الجرس فى ردهة المسكن فقفزت القطة عن ركبتى عفاف وجرت نحو الباب . . وقام مراد عن مقعده وهو يقول :

– أظنهم « الغجر » قد جاءوا .

واتجه نحو الباب . . وما أن فتحه حتى وصلت إلى أحمد وعفاف فى مكانيهما ضجة القادمين وضحكاتهم وصيحاتهم . . ودخلوا جميعا . . وأغلق مراد الباب . .

وكانوا تسعة . .

أربعة رجال وخمس سيدات . . راحوا يبادلون مرادا القبلات ويهنئونه بسلامة الوصول من الخارج وهو يردد تحياتهم وتمنياتهم بمثلها . . كان واضحاً أنهم يقابلونه للمرة الأولى بعد عودته . . واقتربوا من أحمد وعفاف . . وقام مراد بمهمة تقديمهم إليهما .

كانوا جميعا أزواجا وزوجاتهم . . ما عدا السيدة الزائدة فقد كانت وحدها وكانت أجملهن . . أجمل القادمات . . فإن جمال عفاف يجعلها دائماً خارج أى

تحكيم . والتأم شمل الجميع . . ولاحظت عفاف أنهم ليسوا غرباء عن البيت فهم يعرفون كل ما فيه ويتنقلون بين أرجائه فى حرية تامة وفى غير كلفة وإن لم يقترب أحدهم من السلم المؤدى إلى الطابق العلوى حيث مخدع مراد .

وقام أحدهم إلى المائدة وعاد بزجاجة من زجاجات الويسكى فى إحدى يديه وفى اليد الأخرى بضعة كؤوس فارغة وضعها أمام الجميع وهو يقول .

ألا يتحرك أحدكم ليساعدنى . . الثلج والصودا والكافيار .و . .

وضحك الجميع . . وقالت له زوجته – وكانوا ينادونها « بلبلا » .

– خادم القوم سيدهم يا فؤاد وأنت كلك همم .

وصاح بهم فؤاد :

– كفاية علينا .

وانقض على أحد الجالسين فأمسكه من كتفيه وجذبه فأوقفه وهو يقول :

– قم معى يا أخى . . اعمل بما ستزدرد .

ثم جذب إحداهن من يدها وهو يقول بنفس اللهجة :

– وأنت يا ست الحسن . . مالك الليلة ! لا أسكت الله لك حسا .

فأجابه زوجها وكان جالسا بمبعدة منها :

– آه والله يا فؤاد . . حركها فإنى حرت فى أمرها اليوم .

وعبرت السيدة الحلقة متخطية السيقان الممدد ويد فؤاد ممسكة بيدها تجذبها وهو يقول :

– من غيرك يعد لنا كوكتيل ليلى .

وصك الاسم أذنى عفاف . .

هذه السيدة اسمها ليلى . . ووجدت نفسها تربط بين اسم السيدة واسم قطة

مراد . . أهناك صلة بين الاثنين ، هل يحب مراد هذه السيدة ولهذا سمى القطة التى يحبها باسمها ؟ ولم لا ؟ ؟

ودققت النظر فى ليلى واقفة بجانب صديق زوجها أمام المائدة وهى تسأله فى دلال :

– فيم تريد منى أن أساعدك يافؤاد ؟

– فى أى شىء ياناس . . فى أى شىء . . خذى هذا الثلج . . انتظرى . . خذى هذا الملقط معه . . ومفتاح زجاجات الصودا .

إن ليلى جميلة . . وجمالها ليس موضع مناقشة . . فهل بينها وبين مراد ما يكون أحياناً بين الصديق وزوجة صديقه !

ووجدت نفسها تقيس ليلى وتفحصها بعين المرأة الناقدة–شعرها . . وجهها . . صدرها . . خصرها . . ردفاها . . ساقاها . . قدماها فى الحذاء الرمادى الأنيق . . أناقتها كلها على بعضها . . وغاظها أنها لم تستطع فى النهاية أن تنكر على ليلى جمالها وأناقتها الرفيعة . . ولكن هل هى أجمل منها ؟

ولم تشعر بحاجتها لأن تجامل نفسها بإجابة معينة عن هذا السؤال . . إن ليلى – وإن كانت جميلة وجمالها حقيقة واضحة – ليست أكثر من سيدة جميلة – عشرات فى مثل جمالها يذرعن شارع شنودة يوميا ولا يجوز أن يقلقها جمالها . .

. . يقلقها ! ! !

ولكن لماذا ؟ وما هو وجه احتمال قلقها ؟ وأحست أنها تريد أن تهرب من أفكارها فمدت يدها إلى كأسها وهمت برفعها إلى شفتيها . . وعندئذ سمعت السيدة الجميلة التى حضرت بغير زوج تقول :

- فى صحة مراد وعودته لنا بالسلامة .

ورفع الجميع كؤوسهم . . واستطاعت أن ترى عينى مراد تنظران إليها وهو يضع كأسه على شفتيه وابتسامة خفيفة تطل منهما كأنهما تقولان لها شيئاً . لها هى بالذات دون الجميع .

١٧

وأوغلوا فى الليل . . وطلب الجميع من السيدة التى لا زوج لها أن تعزف لهم فقامت إلى المعزف وبدأت توقع رقصة شرقية . . وإذا بهم يصفقون معها فى إيقاع منتظم . . وتعاون بعضهم على إحداهن فأنهضوها عن مقعدها عنوة وهى تصرخ بهم والضحك يغالبها وتغالبه . . وأسرع زوجها فعقد منشفتين من طرفيهما فأوصلهما ببعضهما ثم حزم ردفيها بهما وجعل العقدة إلى أحد جانبيها مائلة إلى الأمام . . وبدأ يصفق مع الجميع . . وبدأت هى ترقص على الموسيقى وإيقاع التصفيق .

وانتهت الرقصة وهدؤوا قليلا . . ثم صاحت ليلى .

– نريد أن نرقص . . موسيقى يامراد . . موسيقى .

وأسرع مراد إلى الطابق العلوى وغاب لحظات .

عادت بعدها أنغام هادئة أشاعت فى المكان سحرا لا يقاوم .

وراقبت عفاف مرادا وهو يهبط السلم وقد أخرج من جيبه سيجارة راح يشعلها بالقداحة التى أخذها من زوجها .

إنه رجل ساحر .

قالتها لها نفسها . . فخفضت عينيها وراحت تتشاغل بتحريك أصابع يمناها على مسند مقعدها وفق النغمات التي تشيع في جو المسكن جميعه وكانوا جميعا قد تخاصروا ولاحظت عفاف أن أحداً منهم لم يرقص مع زوجته بل تبادلوهن فيما بينهم . . بلـلامع حمدى وليلى مع لطفى وكاميليا مع نادر ومديحة مع فؤاد . . كان يبدو أن صداقة كبيرة قديمة تربط بين أفراد هذه المجموعة الغريبة .

وظلت هى مكانها . . وأحمد بجانبها . . ثم أمال . . السيدة التى بلا زوج ولا رفيق وتقدم مراد منهم وهو يقول لأحمد .

– لم لا ترفض يا أحمد « هيا . . أرقص مع عفاف ، الرقصة الأولى لك والثانية لى إذا لم تكن عفاف هانم متعبة .

ونظر أحمد إلى أمال . . السيدة التى بلا زوج ولا رفيق . . أجمل الموجودات باستثناء عفاف . : نظر إليها كأنه يستأذنها فابتسمت فى رقة وهى تقول :

– تفضل . . سأجلس أنا مع مراد نتحدث فإننى متعبة . . تفضلى ياعفاف هانم . . كلنا هنا أخوة . .

وقام أحمد وعفاف وانضما إلى الراقصين فى الحلقة الصغيرة .

ونظرت أمال إلى مراد وقالت :

أشعل لى سيجارة يا مراد .

وأشعل لها السيجارة وقدمها لها فالتقطتها بفمها وهى تنظر له بعينين نصف مفتحتين ثم نفثت دخانها خفيفا هادئاً وعلى وجهها ابتسامة وهى تقول :

– ما هذه التحفة يامراد ؟

ونفث مراد بدوره دخان سيجارته وهو يسألها فى صوت منخفض :

- ما رأيك !

-كأنك تسألنى إن كنت أقبل أن أصبح مالكة مليوناً من الجنيهات بلا ضرائب .

- لهذا الحد ؟

أين عثرت عليها يا ثعبان . .

- قصة يطول شرحها وليست بذات أهمية .

- أتعرف يا مراد . . أحيانا أحس أنك تملك الكرة البللورية المسحورة التى ينظر السحرة فيها فيرون ما يجرى فى بلاد أخرى .. أنت كذلك .. تنظر فى هذه الكرة فتكشف لك عن أمكنة هذه الفلتات فتسعى إليهن .

اسمعى . . هى أم . .

وقاطعته أمال قائلة :

- أم من ؟ أنا أعرف كل من وردن عليك . . صوفى . . وشريفة ولورانس وفضيلة وأليس وماجدة وشارلوت وغيرهن وغيرهن ممن تقوم لكل منهن قيامة . . ولكن هذه . . لم تر عينى شيئاً كهذا من قبل . . أنا أبصم بأصابعى العشرة على أنها نسخة وحيدة غير مكررة فى هذا العالم .

- أريد منك أن تكونى لطيفة مع زوجها يا أمال .

- أعلم هذا ياعزيزى مراد . . هؤلاء الغجر يرقصون . . وبطبيعة الحال ستقوم أنت وتراقصها فيبقى زوجها وحيداً . . ومن أجل هذا أنا هنا . . لا تخف . . سأراقصه وأسامره وأحدثه وأقص عليه ألف قصة وقصة .

ومست أمال الكأس بشفتيها ثم أعادتها إلى سطح المائدة وهى تقول لمراد :

- لا يبدو لى أنها سهلة .

- وتحب زوجها .

- لو أنا مكانها لأحببته فهو لطيف ومهذب ووسيم . . يعنى . . رجل . . من كله . .

- أنا لست على عجالة .

- عارفة . . سياستك طويلة المدى .

- ألا تستحق ؟

- تستحق وأكثر . . ولو اقتضاك الأمر تخطيطا جديدا لحياتك كلها .

وضحك مراد لتعبير أمال . . وشربت أمال البقية الباقية فى كأسها وهى تقول :

- متى « تنهد » وتتزوج . . هذه الجنة . . هذا البيت معدوم النظير فى مصر كلها . . لم لا تزينه زوجة تحبها وتحبك .

- ولكنى أحب عفاف .

- وهى ليست لك . . فما العمل ؟

واقترب مراد من أمال وقرب فمه من أذنيها وقال هامساً :

- أقسم لك يا أمال . . لو كانت خالية لتزوجتها فورا .

وقربت أمال شفتيها من أذن مراد وهى تقول بلهجة من لها عليه كل ألوان الدلال :

- ياعاهر . . على أمال هذا الكلام ؟ كلهن كنت تتمنى لو كن خاليات حتى تتزوجهن . . ألا يمكن أن تلقى شباكك أبدا على خالية بغير زوج . . عذراء أو أرملة أو مطلقة ؟

- وما حاجتى إلى الشباك فى مثل هذه الحالات ؟

- معك حق . . فى هذه الحالات هن اللواتى فى حاجة إلى شباك يلقينها

عليك . . الخلاصة . . قل أنك لا تستطعم غير المشبوكات .

وأجابها مراد وهو يغالب الضحك نافيا عن نفسه هذا الاتهام .

– لا والله يا أمال . . إنها مسألة صدفة . . هكذا حظى . . ما أعجبت بأنثى مرة وتمنيتها إلا ويتضح لى أنها متزوجة . . والعذراء الوحيدة التى تمنيتها . . ماتت أنت تعرفين هذه القصة . . أتستطيعين إنكارها ؟

ومصت أمال الهواء بشفتيها وهى تقول فى أسف :

– الله يرحمك ياسعاد . . هذه كانت عروس من كله . . جميلة . . أصيلة . . بنت ناس . . ولكن بختك . . فى لون النيلة .

وتغيرت الموسيقى فى هذه اللحظة من هادئة رقيقة ناعمة . . إلى سريعة صاخبة لا يلاحقها إلا كل جنى فى الرقص فانسحب أحمد وعفاف من الحلقة وأقبلا نحو مراد وأمال وانضما إليهما . . وقام مراد إلى المائدة .

وعاد بزجاجة من زجاجات الشمبانيا وبأربعة كؤوس فارغة نظيفة . . وفتح الزجاجة وهو يقول لعفاف وأحمد .

– كأس صغيرة بعد الرقص تسرع بتهدئة التنفس والأعصاب .

وملأ كأس عفاف ثم كأس أمال ثم كأس أحمد ثم كأسه التى رفعها إلى فمه وهو يقول :

– فى صحتكم جميعا . . وفى صداقتنا ومحبتنا .

ورفعوا كؤوسهم إلى شفاههم ثم ردوها إلى سطح المائدة .

وسألت أمال عفاف :

– لماذا لم تستمرى فى الرقص !

– هذه الرقصة سريعة جدا ولا أتحملها .

ورشف مراد رشفة من كأسه وهو يقول :

- الحمد لله . . لم تكن من نصيبي وأنا أراقصك .

كان يؤكد مراقصته لها بهذه العبارة .

وأشارت أمال إلى الأزواج الأربعة يرقصون الرقصة السريعة المجنونة :

- انظر هؤلاء النسانيس . . يموتون حبا فى هذه الرقصة . . يبدون كالزنوج يحتفلون بطبخ آدمى . . ساقه حظه التعس إليهم .

ولم تمض دقائق حتى انتهت الرقصة السريعة وعادت الموسيقى الهادئة من جديد . . ونظر مراد لعفاف وهو يبتسم . . وبادلته ابتسامة . . كانت تعرف أنه سيسألها أن تراقصه . . وكانت متأهبة لهذا . . سألها .

- متعبة ؟

فهزت رأسها نفيـا وابتسامة القطة تتسع فوق قسمات وجهها . . وقاما إلى الحلقة الضيقة وتركا أحمد مع أمال - هذه كانت خطة مراد .

ورفعت ذراعيها وأسلمته خصرها . . وأسندت كفها اليسرى إلى كتفه وراح يدور بها إلى جانب أصدقائه وزوجاتهم .

وسألت نفسها . . هل تعمد مراد أن يدعو أمالا وحدها حتى لا يجد أحمد نفسه وحيدا إذا ما دعاها هو لمراقصته ؟ ؟ وأحست أنها تميل إلى ترجيح هذا التفسير فإن واقع الحال يؤكده . . وألقت إلى زوجها نظرة من فوق كتف مراد فرأته يشعل سيجارة أمال وهو يبتسم . . وأمال تتحدث إليه وكأنها وجدت من يزاملها فى وحدتها .

كيف أنت ياعفاف هانم ؟

قالها مراد فى صوته الخفيض العريض وهو ينظر إلى عينيها . . ومالت عفاف

برأسها جانبا والابتسامة لا تفارق وجهها وقالت .

- الحمد لله .

- أوحشتنى كثيراً . . جدا

- أنت أكثر .

- صحيح ؟

وخفضت عفاف عينيها ولم تجب . . فاستأنف مراد حديثه .

- لكم تمنيت وأنا فى أوربا لو أنكما - أنت وأحمد - كنتما معى .

- أكيد . . كنا أمضينا إجازة ليست من العمر .

- ألم تسافرى إلى أوربا أبداً ؟

- أبدا .

- إنها شىء جميل . . الفترة التى يقضيها الإنسان متنقلا بين بلدانها تمر كأنها الحلم الجميل .

- أنا متأكدة من هذا .

- الصيف القادم - بإذن الله - نسافر معا .

- إن شاء الله .

- كل ما أرجوه ألا يحمل أحمد أى هم . . آه لو يدعنى أتصرف ويحس فعلا أننا أخوان فيرفع هذه الكلفة . .

- أحمد يشعر بإخوتك فعلا . . ولم أره مقبلا على أحد مثل ما رأيته مقبلا عليك . . أنت تعرف أنه شديد الحساسية و . .

وقاطعها مراد قائلاً .

- أتحديثينى عن أحمد ؟ أنا أعرف الناس به . . حساسية وأنفة وكبرياء . .

أحمد من أفضل الشبان الذين يصادفهم الإنسان فى حياته . . كان دائماً يضع كرامته فوق أى اعتبار .

– ومع ذلك لم يجد حرجا فى تقبل كل ما قدمت وفعلت من أجلى وأجله .

– لا تقولى هذا ثانية ياعفاف هانم . . أرجوك . . أنا لم أفعل شيئاً . . ولم أقدم شيئاً .

– أكثر من كل هذا ! !

– بودى لو استطعت أن أقدم – فعلا – شيئاً ذا قيمة .

وهمست عفاف بكلمة شكر خافتة . . وعاد مراد يسألها .

–كيف حال الجراحة الآن ؟

– أحسن بكثير .

– التأم الجرح طبعا .

– من زمان .

–كبير ؟

– فى طول عقلة خنصرى . . كان جراحا ماهراً .

– سيختفى أثره مع الأيام . . المهم قيامك بالسلامة .

– شكرا .

– أعجبك مسكنى ؟

وابتسمت وهى تقول .

– ياه . . إنى أتصورك جالسا فى أحد هذه الأركان . . تقرأ مثلا . . وغلبك النوم . . تستطيع أن تنام فى مكانك إلى الصباح دون أن تكلف نفسك مشقة الصعود إلى غرفة النوم . .كل ركن هنا يصلح لكل شىء . . للجلوس . . للنوم . .

للسهر . . لأى شيء . . من أعده لك ؟ ؟ أعنى ذوق من ؟

– ذوق أنا . .

– ما أجمل المنضدة الصغيرة التى فى الدور العلوى بجانب الواجهة الزجاجية . العريضة . . أظنها للصباح . . قدح شاى والأهرام أو الأخبار أو الجمهورية .

وضحك مراد وهو يقول .

–كأنك عاشرتنى زمنا .

– حقيقى ؟

بالضبط . . فإننى أجلس إليها كل صباح أتناول الشاى وأقرأ الصحف .

وشاهدا القطة تمرق من أحد جوانب القاعة ثم قفزت إلى سطح المعزف ورقدت بجانب تمثال موتسارت . .

فضحكت عفاف وهى تقول .

– هذه ليلى . . إنها تحب موتسارت .

ألا ترينها جميلة ؟

– جداً .

– لقد حدثتك عنها ليلة الأوبرج . . أتذكرين ؟

– بالطبع أذكر هذا جيدا . . ولكنك لم تخبرنى أن اسمها ليلى .

– لم تجىء مناسبة .

– ألا تغضب هذه التسمية ليلى هانم ؟

وأشارت برأسها إلى الضيفة التى تحمل اسم ليلى . .

وضحك مراد وهو يقول . .

– ولم لا تغضب القطة لأن هذه السيدة تحمل اسمها .

وضحكت عفاف وهى تقول .

– ظننت أنك سميت القطة باسمها .

وأحس مراد بما تدور عفاف حوله . . إنها تريد أن تعرف ما إذا كانت هناك صلة بين اسم القطة وضيفته فقال .

« ليلى هذه – أعنى القطة – هدية من ابنة صديق لى . . طفلة عمرها أربع سنوات واسمها ليلى . . ويوم أهدتنى إياها اشترطت على أن أسميها باسمها . . وكان هذا فى نادى الجزيرة . . وأشهدت على أباها وأمها وبعض الأعضاء لضمان تنفيذ تعهدى . . وقد حضرت يوما مع والديها هنا وأجرت اختبارا فجلست على هذا المقعد وصاحت بأعلى صوتها . . ليلى . . فجاءتها القطة مسرعة وهنا فقط صدقت واطمأنت .

وضحكت عفاف ملء قلبها وهى تقول .

– أصدقاؤك من مختلف الأعمار يا مراد بك .

– هل أرجو منك شيئاً ؟

– تفضل .

– ألا تستطيعين أن تناديني باسمى مجردا .

وخفضت عينيها وهى تقول .

– لا أدرى . . قد يحتاج هذا لبعض الوقت . . نحن . .

وأسرع مراد قائلاً .

– نحن إخوة .

– طبعا .

– أحمد وأنت وأنا إخوة .

– لست أشك فى هذا .
– بهذه المناسبة . . ما أخبار أحمد .
– الحمد لله .
– لم لم تمضيا كل العطلة فى الإسكندرية .
– والله . . . .
– على ما فهمت أنكما سافرتما من أجل الجراحة فقط . . أعنى بعدها . .
– كان عسيرا أن أحتمل حرارة مسكننا عقب مبارحتى المستشفى . . لقد نصحنا الطبيب بضرورة الاستجمام وتغيير الهواء . . إن مسكننا شديد الحرارة .
– الحقيقة . . يجب أن تنتقلا إلى مسكن آخر أكثر ملاءمة . . ما رأيك فى الزمالك ؟
وضحكت عفاف ضحكة قصيرة خافتة وهى تقول .
– الزمالك جنة . . بيوتها الأنيقة . . شوارعها الهادئة النظيفة . . وسطها الخاص .
– ولم لا تنتقلان إليها . . فى مسكن صغير مناسب . . قريب من النيل وإن لم يكن قريبا منه نختاره خاليا من جهتين على الأقل .
وابتسمت عفاف وخفضت رأسها وهى تقول .
– إن شاء الله .
– ضرورى .. ضرورى جدا لنكون قريبين من بعضنا .
– إن أختى أيضاً تسكن الزمالك . . بين بيتها وبيتك شارع واحد .
– وهذا أدعى لضرورة انتقالكما .
– سأكلم أحمد فى هذا . . المسألة تحتاج بعض التدبيرات . .

كان يعرف الصعوبات التى تحول دون أحمد وانتقاله لسكنى حى الزمالك . . فهو قطعا لا يطيق أن يسدد خمسة وعشرين جنيها كل شهر إيجار المسكن وهو الحد الأدنى لأى مسكن فى الحى الذى يحتضنه النيل ويحيطه من كل الجوانب . . والمساكن ذات الأجور المنخفضة منذ قبل الحرب يطلب مالكوها بضع مئات من الجنيهات ممن يرغب فى استئجارها قبل أن يضع قدميه فوق عتباتها . .

مراد كان يعرف هذا وهو يشجع عفاف على الانتقال للزمالك . . وماكاد يسمعها تقول إن المسألة تحتاج بعض التدبيرات حتى قال فى نبرة خفيضة .

– أى تدبيرات ؟ أرجوك أن تلجئى لأخوتنا دائماً . . لا أريد لك أو لأحمد أن تحملا أى هم .

وابتسم ابتسامة هادئة وهو يضيف .

– ألست « آبيه » مراد ؟

وخفضت رأسها وهى تقول فى صوت هامس .

– نعم .

وفجأة غير الحديث .

– هذا الثوب آية فى الجمال .

– ليس أجمل من الذى أحضرته أنت .

– هذا شىء وذاك شىء آخر . لكل منهما وقته . . هذا للمساء أو لسهرة بيتية مثل هذه . . والآخر لسهرة كبرى . . فى مكان عام .

وكأنه تذكر شيئاً كان غائبا عنه .

– بهذه المناسبة . . الثوب الذى أحضرته لك ينقصه حذاء وحقيبة يد . .

وخفق قلبها . . ولكنها قالت .

– ياخبر . . لا يمكن .

– لا شأن لك أنت واتركى لذوق مهمة الاختيار وإن لم أجد فى القاهرة سأرسل إلى كريستيان ديور ليبعث ما يراه هو ملائما للثوب . . فقط أريد أن أعرف مقاس قدمك .

– لا يمكن يامراد بك . . لا يمكن .

– أرجوك .

– هذا كثير .

– من أجل خاطرى .

– خاطرك عزيز على – ولكن مستحيل .

ونظر إلى قدميها وهو يقول .

– حسن جدا . . سأقدر أنا مقاس قدمك تقديرا جزافيا بلغة مصلحة الضرائب وأبعث به إلى كريستيان ديور . . فلنقل إنها خمسة وثلاثون . .

وصاحت عفاف هاتفة .

– ياخبر . . .

– هل أخطأت التقدير ؟

– أبدا – أبدا – هذا مقاس قدمى بالضبط – كيف استطعت .

– هذه أصغر قدم رأيتها فى حياتى . . اسمعى . . أنا لن أضيع وقتى بالبحث فى القاهرة . . غدا سأكتب إلى كريستيان ديور . . ولندع الرسالة تعلن عن نفسها بنفسها عندما تصل من باريس .

– وكيف ؟

– أعنى أنك لا تعرفين عنها شيئاً من الآن ليوم وصولها . . يعنى . . لم أقل لك شيئاً . . لتكن مفاجأة .

وخفضت عفاف رأسها وهى تقول .

– لا أدرى ماذا أقول .

– لا تقولى شيئاً . . أبدا .

وضمها إلى صدره كى يجنبها الاصطدام بليلى ولطفى وكانا يرقصان كعاشقين لا يحفلان بمن حولها .

وتوقفت الموسيقى . .

كانت التسجيلات العشرة قد مرت جميعها واحدة إثر أخرى تحت الإبرة . . وأرخت عفاف ذراعيها وهى تتنهد وتنظر إلى مراد مبتسمة . . فسألها .

– أتعبت ؟

– قليلاً .

– تفضلى . . لننضم إلى أحمد وأمال . . لحظة واحدة أولا . . لأضع بعض التسجيلات فى الجهاز . . إن جهاز التسجيل (الريكوردر) معطل . . ولهذا نستعمل الأسطوانات والبيك آب .

وقفز إلى الدور العلوى . . وعاد بعد لحظات وقد بدأت موسيقى من لون جديد تشع فى المكان . . ولم تمض دقائق حتى بدأ الراقصون يعودون إلى مقاعدهم . . وبدأوا سمرا طويلاً بين ضحكات وروايات وقصص بدت لعفاف أنها لا يمكن أن يكون لها نهاية .

عالم هؤلاء القوم غريب عليها أو هى غريبة عليه ولا عهد لها به من قبل أبدا .

وشارفت الساعة منتصف الثالثة صباحا . . وأبدى بعضهم رغبته فى الانصراف

فقاموا جميعاً دفعة واحدة وبدأوا يودعون مرادا . . وعندما جاء دور أحمد وعفاف قال مراد .

– سأحملكما بعربتى إلى البيت .

– فى هذه الساعة ؟

قالها أحمد مشفقا . . ولكن مراد لم يدعه يتم قوله .

– العربة أمام الباب ولا آمن أن يحملكما سائق دوخه السهر ومغالبة النعاس وقد يكون سكراناً أو بدأ إذابة الفص تحت لسانه .

وهبطوا جميعا درجات السلم جماعات جماعات يضحكون ويصخبون وعفاف بين أحمد ومراد فى مؤخرتهم . . وتوقف مراد فجأة ونظر لأحمد وهو يقول كمن طرأت له فكرة .

– اسمع يا أحمد . . ماذا لو أمضيتما الليلة عندى ؟ غدا – أو بمعنى أصح اليوم – الجمعة . . وأنت خال من العمل . . سأترك لك ولعفاف هانم غرفة نومى وسأنام أنا فى الدور الأول . . ولا تظن أننى أبالغ فى إكرامكما فالدور الأول أجمل وأمتع وأبعث على الراحة من الدور العلوى بكثير . . ما رأيك .

وابتسم أحمد وهو يقول :

– يارجل . . لا تعودنا على هذا العز . . فقد نألفه من ليلة واحدة فنجليك عن مسكنك ونحتله فتذهب أنت لتنام فى شارع شنوده .

وسره أن أحمد تناول عرضه مبيتهما فى بيته بهذه الروح ومن تلك الزاوية المرحة فعاد يؤكد دعوته .

– جد والله يا أحمد . . الساعة الآن قاربت الثالثة . . ماذا لو بقيتما ونمضى غداً الجمعة خارج القاهرة . . أو أوبرج الفيوم أو الإسكندرية مثلاً .

- إسكندرية ! !

- ولم لا نسافر صباحا ونعود مساء .

وشكر له أحمد جميل ضيافته وقال له إن الأيام كثيرة مقبلة . . وأنه يعتبر بيته بيتا آخر له .

فأجابه مراد .

- هذا أملى دائماً يا أحمد .

كان يتمنى أن تمضى عفاف الليلة فى فراشه ولو بين أحضان غيره . . أحضان زوجها أحمد . . يكفيه أن يتصورها تخلع ثيابها وحذاءها وجوربها الرقيق فى مخدعه أمام المرآة الضخمة المقابلة للسرير . . ثم تقفز إليه لتنام . .

وراح يتصورها تتقلب فوقه . . يلامس جسمها الأغطية ويحتك بها فينتقل إليها منه عطر لحمها . . وتعانق الوسائد وجهها الآسر المعبود وشعرها وقد أرسلته منسابا طليقا يرسم حول هذا الوجه هالة فاحمة كالليل فلقه بدر مضىء . .

ثم يجىء الصباح . . وتدخل الحمام . . حمامه الخاص . . فتنضو عنها قميصها ثم تخلع قطعة الثياب الداخلية الوحيدة التى ترتديها . . ثم تقف تحت ماء الدش الدافئ فى ثوب حواء . . ثم تجفف الماء عن جسمها - عن كل موضع من جسمها - بمنشفة يحفظها فى حوزته بعد ذلك دواماً . . يشم فيها عبق أنوثتها كلما عوى به الجوع إليها . .

ثم تهبط إليه فى الدور الأول من المسكن مرتدية ثيابها . . وفى أبهى زينتها وخلفها أحمد . . ليتناول ثلاثتهم طعام الإفطار ثم ينطلقون لقضاء اليوم خارج القاهرة .

وعزاه عن كل هذا قول أحمد أنه يعتبر بيته بيتا آخر له وأن الفرص كثيرة آتية .

وودع مراد ضيوفه التسعة أمام الباب الخارجى للمسكن . . وانطلق هؤلاء فى سياراتهم عائدين إلى بيوتهم . . وفتح مراد باب سيارته الأمامى . . فصعدت عفاف وتبعها أحمد . . ودار مراد حول العربة واتخذ مكانه خلف عجلة القيادة .

ومرة أخرى ، أصبحت عفاف بين زوجها وصديق زوجها ، كالبندقة الصغيرة بين فكى الكسّاره ، وكانت البندقة قد وصلت - أوكادت - إلى الزاوية الحادة الرهيبة ، إن هى إلا ضغطة أخرى ، وتتحطم .

الجزءُ الثَّانِي

١٨

وانطلق مراد بسيارته . . وفى دقائق كان يقف بها أمام مسكن أحمد . . فى شارع شنودة بشبرا . . وهبطوا ثلاثتهم . . وتصافحوا . . وقبل مراد يد عفاف كالعادة وهو يقول لها .

– أرجو أن تتكرر هذه الليلة كثيرا يا أحمد .

– إن شاء الله يا مراد .

– التليفون على مكتبك . . نادنى دائما قبل الحادية عشرة صباحا . . قل لى يا مراد نحن عندك الليلة . . ودع لى الباقى . . بهذه المناسبة . . هل أعجبتكم مجموعة هذه الليلة ؟

وأجابت عفاف .

– ناس لطاف جدا .

وأيد أحمد قولها .

– كلهم بلا استثناء . . أنت لا تعرف إلا أفاضل الناس يا مراد .

– فى المرة القادمة أدعو لكم نفس المجموعة أو مجموعة أخرى لا تقل عن هذه ظرفا .

وصعد مراد إلى سيارته وانطلق بها ملوحا لهما بيده . . وقالا معا .

– مع السلامة .

وخطت عفاف مع أحمد إلى مدخل البيت . . وأحست أن كراهيتها لهذا البيت واشمئزازها وخجلها وزهقها منه ومن موقعه وجغرافيته ومن الشارع الذى يقع فيه ومن الحى ذاته الذى يقع فيه هذا الشارع . . أحست بكل هذه المعانى متضخمة أمامها كما لو كانت تنظر إليها تحت عدسة مكبرة .

وبيت مراد كان هذه العدسة المكبرة الكاشفة الفاضحة . . .

وصعدت الدرج التعس مستندة إلى ذراع زوجها . . طوابق أربعة مجموع درجاتها ثمانية وثمانون درجة تقطع النفس وتهد الحيل .

إن سكنى هذا المنزل أصبحت شيئاً مستحيلا . . مستحيلا تماماً .

وعندما رقدت فى فراشها – وكان أحمد قد أعفاها من وظيفتها كزوجة فى هذه الليلة على غير عادته لسبب لا تعرفه ، قد يكون التعب أو الإجهاد ، راحت تستعيد بعض حديث مراد . . كان يحدثها عن ضرورة انتقالها مع أحمد للسكنى فى الزمالك . . فى مسكن صغير مناسب من النيل .

– وإن لم يكن قريبا منه نختاره خاليا من جهتين على الأقل .

ولقد أشرك نفسه فى هذه المهمة عندما عبر بقوله « نختاره » كأن الأمر يعنيه كما يعنيها وأنه يتحمل بعض مسئوليته . . وعندما قالت له إن المسألة تحتاج بعض التدبيرات قال لها بالحرف الواحد .

– أن تلجئى لأخوتنا دائما . . لا أريد لك أو لأحمد أن تحملا أى هم . .

هم . . ألست «آبيه» مراد .

فهل يعنى هذا ؟ أن يسد عنها وعن أحمد بضع مئات من الجنيهات نظير قبول مالك البيت الذى سيقع عليه الاختيار لسكناهما توقيع العقد بالقيمة الإيجارية الزهيدة . إيجار ما قبل الحرب .

وابتسمت . .

فهذه خرافة . .

ولكنها مسحت الابتسامة عن وجهها فى ظلام الغرفة وهى تتساءل .

– ولماذا هى خرافة ؟

إنه فعل أكثر من هذا . . والعقدة ليست هنا . . فهى على تمام الثقة بأنه يريد أن يفعل هذا من أجلها . . ولكن العقدة فى أحمد . . فهل يقبل ؟

إنها تقطع باستحالة هذا . . إنه لم يلجأ إلى المائة جنيه التى استودعها مراد إياها قبل سفره إلا لأن الظرف كان ظرف حياة أو موت . . كان لابد ولا مفر من إجراء الجراحة وإلا انطفأت حياتها . . وهو دائم التفكير فى الوسيلة التى يستطيع بها أن يرد هذا المال لمراد . . فهو بالتالى لن يقبل أن يبهظ نفسه وكبرياءه بدين جديد . .

ولكنها لا تريد أن تبقى فى هذا المنزل بعد ذلك . . لا تريد . . لا تحتمل قضاء صيف آخر به . . وراحت تعد الشهور الباقية على قدوم الصيف فوجدت أنها سبعة أشهر فقد كان الخريف مازال يتمهل قادما .

ونظرت إلى أحمد فى جانب من الفراش فوجدته نائما . . غارقا فى النوم . . فأولته ظهرها وسحبت غطاء خفيفاً غطت به جسمها إلى ما فوق ردفيها وبدأت تعالج النوم .

قرأت عفاف فى أحد الكتب الهازلة أن جحشا تخطى سن الفطام وكان هذا مع

بدء موسم الربيع والبرسيم الأخضر اليانع يملأ الحقول فراح يرعاه وكان غذاءه الأول بعد لبن أمه . .

وانقضى موسم الربيع ونفد البرسيم وإذا بصاحبه يقدم له الشعير فعافته نفسه ولم يقبل عليه . . ولما حار صاحبه فى أمره أشار عليه بعض من سألهم المشورة أن يلبس الجحش منظاراً أخضر ليرى الشعير فى لون البرسيم .

. . وعفاف أصبحت فى أمس الحاجة لمثل هذا المنظار لترى حياتها الصغيرة المحدودة الضيقة التى لا لون لها ، بلون آخر كشف لها عنه مراد صديق زوجها .

ولكن أنى لها هذا المنظار .

كانت تظن الترف الذى تعيش فيه أختها أمينة شيئا لا قرين له . . فإذا بمراد يهدم لها هذا الوهم الذى كانت تحيا فيه . . تبدلت نظرتها للأشياء والمعانى . وأحست أن تقديرها للقيم فى حاجة ماسة لإعادة النظر . . أن حياتها جميعها فى حاجة لتخطيط جديد ولا بد من عمل شىء . . أى شىء . . والخطوة الأولى هى انتقالها مع أحمد من هذا الشارع التعس . . من هذا الحى التعس كله . . ولكن كيف ؟ وماذا تستطيع أن تفعل وهى مغلولة . . مكتفة لا تملك الحركة إلا فى هذا الثوب الضيق وفوق هذه الأرض الضيقة . . رقعة لا تتسع مساحتها إلا لخطوة للأمام أو خطوة للوراء أو مثلها لليمين أو لليسار . . ثم الأسوار العالية تحيطها من كل جانب . . الحائط الأصم الرهيب الذى يعجزها مجرد التفكير فى اقتحامه فهو أصلب من أن تخترقه وأعلى من أن تتسوره .

الفقر ! ! !

لعن الله الفقر . . لو كان رجلا لقتلته . . هكذا قال الإمام . . وتذكرت الممثلة الكبيرة وهى تقول إن الإمام – كرم الله وجهه – لو كان تحدث عن الغنى لقال لو

كان رجلا لقبلته .

إن مرادا دعاها مع أحمد أكثر من مرة إلى غداء وعشاء . . فى بيته وخارج بيته . أليس من الواجب أن ترد دعواته ولو بدعوة واحدة لغداء أو لعشاء ؟ وأحست أنها المسئولة عن هذه الدعوة لأن صوتا فى أعماقها يقول لها أن كل ما فعله مراد كان من أجلها هى . . ودعواته ليلة عيد ميلادها فى الأوبرج وفى الأرميتاج ومنتدى الجزيرة يوم عودتها من الإسكندرية وعودته من أوربا . . ثم دعوته الأخيرة فى بيته . . كل هذه الدعوات كانت موجهة لها هى ومن أجلها هى . . ولا أحد سواها .

ولكن . . أين تدعوه ؟ فى هذا البيت ؟ مستحيل . . إنها تستطيع أن تطهو له أشهى طعام فهى ماهرة فى الطهو ولها من ألوان الطعام مبتكرات خاصة بها . . ولكنها – أبدا – لا تجرؤ على دعوته إلى بيتها بعد أن رأت بيته وما يضمه مما لم تقع عيناها عليه من قبل . . وهى لا تجد الشجاعة لتوريطه فى ارتقاء سلم بيتها الذى لا يصلح إلا ليكون سلم مئذنة أو برج كنيسة . . وإذا كان قد جاء من تلقاء نفسه يوم عودته من أوربا وصعد السلم وفاجأها ، هى وأحمد ، تلك المفاجأة الرائعة . . فهذا لا يعنى أن تتناسى ما فى هذا من مشقة لا يليق أن تحمله إياها .

ثم . . أيجلس فى هذه الردهة الضيقة ! التى بالكاد تتسع للمائدة وملحقاتها ؟ صحيح أنهم لن يكونوا أكثر من ثلاثة – هو وهى وأحمد – ولكنها كانت تتمنى لو أن بيتها أجمل من هذا وأوسع وأرحب مثل بيت أمينة مثلا ولا تجرؤ أن تقول مثل بيته هو . . قاعة مائدة أنيقة واسعة تتصل بقاعة أخرى للجلوس والسمر وتناول القهوة . . الأرض من خشب الأرو الفاخر اللامع ، لا هذا البلاط الكالح الذى ذابت يدا سيدة المسكينة فى حكه وغسله على مر الأيام .

وراحت تعد قائمة بألوان الطعام التى تليق بأن تجهزها إذا ما حدث ودعاه أحمد يوما . . وإذا بها تتبين فى النهاية أنها ستتناول اليوم عند عودة أحمد من عمله هذه الألوان بالذات مع تعديل طفيف يكاد لا يذكر . . حتى الحلوى . . كان أحمد سألها قبل أن يبرح البيت صباحا إلى عمله إن كانت تجد من وقتها متسعا لصنعها . . وقد وجدت الوقت وأعدتها . . وابتسمت وهى تقول لنفسها :

– أهذا كلام يقال ؟ مستحيل . . مستحيل أن ندعوه هنا . . وإذا كان لابد من دعوته . . فلتكن فى مكان عام . . أحد مطاعم الدرجة الأولى . . ولن تزيد التكاليف عن خمسة أو ستة جنيهات تمر على أية صورة كانت . . أما هنا . .

وأز الجرس فى ردهة المسكن فقامت لتفتح الباب فإن سيدة كانت قد ذهبت لاحضار الثلج . . وجرت إلى الباب وهى تصفر مقطعا صغيرا من لحن الفالس الكبير . . وإذا بها أمام أحمد . . وإلى جانبه مراد وعلى وجهه ابتسامته الساحرة الآسرة . . وشهقت شهقة مسموعة وانفرجت شفتاها المضمومتان على اللحن .

– أهلاً وسهلاً .

قالتها كمن لا تستطيع أن تصدق عينيها . . ولكن مرادا كان أمامها حقيقة واقعة . . يبتسم لها . . ونقل من يده اليمنى إلى اليسرى شيئا كان يحمله ليصافحها وليرفع يدها إلى شفتيه يمس بها أطراف أصابعها . . وعندما همت عفاف بفتح غرفة الضيوف سمعت مرادا يقول فى لهجة من يعرف مكانته من نفس مضيفيه .

– يا عفاف هانم . . أنا على غير استعداد أبدا لأن أكون ضيفا . . أنا رجل جوعان وأحمد وعدنى بأكلة لم أذقها فى حياتى .

– وصاحت عفاف كتلميذة .

– يا خبر . . . .

وأتم أحمد حديث زوجته :

– العفو يا مراد .

ونظرت عفاف إلى زوجها نظرة عتاب . . لقد فاجأها باصطحابه مرادا على غير انتظار . . وكان ينبغي أن يخطرها حتى تعد المائدة إعدادا خاصا . . ولم تفت مرادا نظرة العتب هذه فقال لها :

– عفاف هانم غير راضية عن حضورى . . فواحدة من اثنتين . . إما أنها بخيلة ، وهذا مستحيل ، وإذن فتكون الثانية وهى ظنها أنه كان من الواجب أن يخطرها أحمد بمجيئى لكى تذبح لى خروفا ، فأنا فى تقديرها أستحق الذبح .

وضحك أحمد . . وشاركته عفاف الضحك وهى تقول :

– الحقيقة . . كنت أحب فعلا أن أعطى الفرصة لأقوم ببعض ما يليق . .

وسحب مراد مقعدا من مقاعد المائدة فى غير تكلف وهو يقول :

– هذا مع الغرباء يا عفاف هانم . . وأنا لم أعد أعتبر نفسى غريبا عنكما .

صمت قليلا وهو يقول :

– إلا إذا كنت مخطىء التقدير .

وأشار إلى أحمد وهو يقول مبتسماً .

– هذا الرجل دعانى للغداء . . وكنت أبحث عن سبب أفلت به من دعوة بعض الثقلاء فقبلت على الفور . . خصوصا أنه أخبرنى أنك أبرع طاهية فى مصر .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– أرجو أن يعجبك طهوى . . لحظة واحدة .

وهمت بالتوجه إلى المطهى ولكنه أمسكها من معصمها برفق وهو يقول :

– لحظة واحدة قبل أن تذهبى .

وأجلسها قريبا منه وفتح الصندوق الذى كان يحمله وأخرج منه حقيبة يد وحذاء مرصعين خطفا قلبها خطفا .

– هذه الحقيبة وهذا الحذاء نسيتهما فى باريس . . ولم أفطن إلى هذا إلا عندما عدت إلى هنا وجلسنا معا حول هذه المائدة أنا وأنت وأحمد يوم عودتى من أوربا كما نجلس الآن وفتحت الصناديق التى بها الأشياء . . ولم أقل لك شيئا عنهما يومئذ . . ولكنى كتبت من فورى لكريستيان ديور أستوضحه الأمر . . وكان هو قد أدرك هذا السهو فأرسلهما من تلقاء نفسه . . دليل هذا أنه لم يشر إلى خطابى الذى أرسلته إليه . . أعنى أرسلهما قبل أن يستلم رسالتى .

وكان كاذبا . . . .

وكانت عفاف تعرف أنه كاذب .

والأكذوبة كانت على أحمد ، لأن حديث الحقيبة والحذاء كان قد جرى بينه وبينها ليلة أن كان يراقصها فى بيته .

ولم تستشعر عفاف أى خطأ أو انحراف فى مشاركة مراد أكذوبته . .

وتطوع أحمد بالتفسير فقال إن مرادا فاجأه بالزيارة فى مكتبه قبل موعد الانصراف بقليل وقال له إنه كان قد نسى هذه الأشياء فى باريس وأنها وصلته اليوم وهى مكملة للثوب الذى أحضره لعفاف معه فأسرع باحضارها ووجدها أحمد فرصة لا يجوز أن يدعها تفلت منه فدعا مرادا لتناول الغداء وليقدم لعفاف بنفسه الحقيبة والحذاء ، هذا إلى جانب أنه يعلم أن عفافا قد أعدت اليوم طعاما لا بأس به .

وارتاح مراد لمشاركة عفاف له أكذوبته . . واطمأن قلبه . . لقد أصبح بينهما «سر» يتعاونان على اخفائه ويتحايلان لكى يظل مكنونا بينهما .

كان يستطيع أن يحضر الحذاء والحقيبة بنفس البساطة التى أحضر بها ما هو أهم

وأغلى وأثمن ويفاجىء بهما أحمد وعفافا معا . . ولكنه تعمد أن يضفى عليهما أهمية خاصة لا وجود لها فى الواقع . . فهمس بأمرهما فى أذن عفاف وهو يراقصها فى بيته وطلب منها أن تنسى حديثه بشأنهما كأنها تفعل شيئا جديرا بالكتمان ولا يجوز إعلانه . .

وانساقت عفاف . . ومثلت إحساسها بجمال المفاجأة أصدق تمثيل وكأنها لم تكن تترقبها منذ أسابيع .

هناك إذن ما يمكن أن يكون بينه وبينها فقط ولا ثالث بينهما ، حتى ولا أحمد .

وبدأت عفاف - من عليائها - نزول السلم الرهيب . . فهبطت درجة من درجاته . . وكان هذا انتصاره الفعلى الأول . . أنه ينتظرها عند أسفل السلم . .

وأعادت عفاف الحقيبة والحذاء المرصعين إلى صندوقيهما وهى تتمتم بكلمة شكر رقيقة ثم اتجهت إلى غرفتها وحفظتهما فى خزانة ملابسها وعادت لتعد المائدة .

* * *

١٩

أحست عفاف بوجوب اتخاذ خطوة ايجابية لتغيير حياتها . . لا يكفي أن تقول لنفسها أنني أريد أن أنتقل إلى الزمالك . . ولا يجوز أن يظل الأمر بالنسبة لها مجرد أمنية . . كل من يتمنى شيئا عليه أن يخطو الخطوة الأولى لتحقيق أمنيته فعملت على أن تفرغ يوما من إعداد الطعام ولم تكن الساعة جاوزت العاشرة . . وتركت سيدة لشئون البيت الأخرى وانطلقت إلى الزمالك وأمضت هناك ساعتين تخرج من مبنى لتدخل مبنى آخر محاولة عبثا أن تعثر على بغيتها . . مسكن من ثلاث غرف بإيجار معتدل . . كانت تحاول المستحيل . . أن أحمد لم يتعد الحقيقة عندما قال لها يوما أن الإيجارات هناك لا تقل عن خمسة وعشرين جنيها . . وإيجارات ما قبل الحرب تعوض قيمتها الزهيدة على المالك ثلاثمائة جنيه أو أربعمائة يسددها له المستأجر قبل توقيع العقد . . وبارحت الحى الهادئ الجميل وفى نفسها حسرة وعلى لسانها مرارة . . وكان التعب قد زحف إلى قدميها بعد كثرة التجوال فلم تكد تصل إلى الشارع الرئيسى حيث الحياة والحركة حتى ألقت بنفسها فى أول سيارة من سيارات

الأجرة الخاصة وقالت للسائق فى صوت خفيض .

– شبرا من فضلك .

ومن يومها . . بدأت تتغير . . . .

أصبحت سريعة الانفعال . . تضيق بأى شىء وبكل شىء . . وبدأت تدخن أكثر مما ألف منها أحمد . . كانت أحيانا تشعل له سيجارة ثم تشعل لنفسها أخرى وتنفث دخانها هادئا رقيقا خفيفا وهى تبتسم ويبادلها أحمد ابتسامتها مسرورا . .

كان يروقه منظرها الساحر والسيجارة بين إصبعيها . . وكان دائما يقول لها مداعبا :

– ما حاجتك للثقاب لإشعال سيجارتك يا عفاف . . يكفى أن تقربيها من ثغرك لكى تشتعل من لهب شفتيك .

وكان هذا يحدث مرة فى الأسبوع . . وقد ينقضى الأسبوع كله دون أن تدخن سيجارة واحدة . . ولكنها الآن تدخن كما يدخن أى مدمن وسألها أحمد عن سر إقبالها المفاجىء على التدخين . . فلم تقل أكثر من أنها أحياناً تضيق فتفرج ضيقها فى سيجارة .

وأصبحت مسرفة . . وفى التوافه التى لا تفيد منها . . فإذا بها تواجه الحاجة للضرورات التى لا غنى لها ولبيتها ولزوجها عنها . .

وبدأت تحس أنها أهم وأكبر وأعظم وأرقى من كل جاراتها ساكنات شارع شنودة . . بل من كل سكان حى شبرا بأسره . .

كيف يعيش هؤلاء الناس فى هذه البيوت وفى هذه الشوارع وفى هذه الأحياء وكيف يمضون حياتهم على هذه الوتيرة البغيضة . . نهار يعقبه ليل وليل يعقبه نهار وهذه المناظر الكريهة هى هى لا تتغير ولا تتبدل .

وكان لها بعض الجارات تعودن أن يزرنها وأن ترد لهن زياراتهن بين حين وحين

وكلهن زوجات موظفين مثل أحمد . . فى درجته أو فى درجة تحتها أو فوقها . . فبدأت تهمل رد زياراتهن لها . . ومرة بعد مرة . . انقطعن عنها بعد أن أحسسن تعاليها عليهن .

وراحت الشهور تمضي . . وكل يوم ينقضي كان يساقط فى نفسها الإحساس بالتبرم والضيق والملل حتى لتكاد تزهق هذه النفس تبرما وضيقا ومللا . .

انطفأت الفرحة بهدايا مراد التى بهرتها للوهلة الأولى أسابيع وشهورا . . لبست الثوب الجميل والفراء الثمين والساعة المرصعة المصنوعة من البلاتين والحذاء المرصع وأمسكت بالحقيبة التى يخطف بريقها الأبصار . . وسهرت فى دار الأوبرا فشهدت بعض حفلات الباليه . . وكان هذا بدعوة من مراد . . وفى كل مرة كانت تحس أنه يريد أن يقول لها شيئا ولكنه لا يجد الفرصة . . كانت ترى فى عينيه رغبته فى أن يهمس لها بشيء . . ولكن أحمد كان دائما معها . . ومراد ليس بالشاب الأرعن المندفع الذى تدفعه رغبته لإتيان أية حماقة . . أنه يريد أن يقول لها أشياء وأشياء . . يخيل إليه أنه لو جلس ليتحدث إليها فلن يفرغ حديثه أبدا . . وهو لا يدرى بعد كيف تتقبل الخطوة الثانية بعد اشراكها معه فى إيهام أحمد أن الحذاء والحقيبة كانا مفاجأة لها مثل ما كانا مفاجأة لأحمد .

وأحس أحمد بنفقاته تزداد وتتضاعف . . ومرتبه كما هو . . وعفاف تنفق كما لو أعفت نفسها من مسئولية ربة البيت التى تعمل وتدبر وتجتهد على قدر المستطاع لكى توفر للحياة نفقاتها وتكاليفها إلى أن يحين أول الشهر الجديد . . وبدأ أحمد يراجعها فلم تزد على قولها إنها تعمل جاهدة لأن توفق بين الدخل والمنصرف ولكن الحياة هى التى لا تقف تكاليفها عند حد ، فالأسعار براغيث دائمة القفز . . تلاحقها من هنا فتفاجئك من هناك .

٢٠

وانتصف شهر أبريل .

وبدأت بوادر الصيف تقبل . . وحملت عفاف الفراء الثمين إلى سيستوفاريس ليحفظه لها فى خزانة التبريد . . وكان كريما حيالها هذه المرة فخفض أجر الحفظ من سبعة جنيهات ونصف الجنيه عن الشهر الواحد إلى ستة جنيهات سددتها عفاف وتسلمت الإيصال بها . . لقد أصبحت عميلة معروفة لأشهر تاجر فراء فى مصر .

وابتسمت ابتسامة ساخرة وهى تنظر إلى الإيصال بين أصابعها . . إنها لم تضع هذا الفراء فوق كتفيها أكثر من أربع أو خمس ليال فى موسم الشتاء المنصرم كله وهو يكلفها حوالى أربعين جنيها كل عام لحفظه من التلف .

إن عفاف لم تقدر موقفها المالى . . أنها لا تنتقل إلا فى سيارات الأجرة الخاصة . . وتبريرها لهذا سفالات الركاب فقفزت نفقات الانتقال إلى عشرة أمثالها . . ولم تعد تقبل الجلوس فى قاعات دور السينما . . بل فى مقاعد شرفاتها الأمامية فأصبح أحمد يؤدى ثمن تذكرتى الدخول خمسين قرشا بدلا من اثنين

وثلاثين . . وبعملية حسابية بسيطة قفزت نفقات ساعتين يمضيانهما فى إحدى دور السينما إلى جنيه تقريبا وكانت لا تتعدى فيما مضى الأربعين قرشا .

واهتزت ميزانية البيت . . وبدأ قلق النفس وتوتر الأعصاب والتحايل للتوفيق بين حاجات الحياة وإجابة مطالب عفاف . . لكم تمنى أحمد لوكان من أصحاب الملايين . .

إن حبه لها أقوى من أى شىء وهو على استعداد ليعمل أى شىء يزيد دخله من أجلها . . من أجل عينيها . . ولكنه حائر . . قلق . . يائس . . إحساسه بعجزه وقصوره يصور له الدنيا مظلمة قاتمة كأن غلالة كثيفة من الضباب تحيط به من كل الجوانب . . وزاده إحساسا بالضيق أن ظروف العمل اقتضت أن يقوم بعطلته الصيفية ابتداء من أول شهر مايو . . قبل الموعد الذى تعود دائما أن يجعله بدايتها بشهرين وهو لا يدرى ماذا سيفعل من أجل عفاف . . من حقها عليه أن يصحبها إلى الإسكندرية ليرحمها من ضراوة حر القاهرة . . ولكن كيف ؟ ! كيف ؟ ! ومن أين ؟ إنه لا يدرى كيف اختلت ميزانيته فجأة على هذا النحو الغريب . . إن ضرورات الحياة تعجزه فكيف بنفقات قضاء شهرين فى الإسكندرية ؟ وهل من الضرورى قضاء الشهرين هناك ؟ ألا يكفى شهر واحد ؟ وحتى هذا الشهر . . يعجزه قضاؤه هناك . . ولا خمسة عشر يوما . .

وفكر قليلا . . . .

إذا كان هو وعفاف فقط . . ومرتبه أربعون جنيها وهذا حالها . . فما حال الأسر التى لا يصل دخل عائليها إلى نصف هذه القيمة وتعداد كل منها ستة أو سبعة أو ثمانية . . وحمد للظروف أنه لم ينجب للآن وإلا ساءت الحال أكثر مما هى . . إنه فى حاجة ماسة لمبلغ من المال يصلح به حياته ويعيد إليها توازنها . . بعض الديون

الصغيرة هنا وهناك . . وهو لا يحب أن يعطى أصحابها الفرصة لمطالبته . . إنهم مثله . . ناس على قدهم . . وإذا صبروا شهرا فلن يصبروا شهرا ثانيا . . ولكل متاعبه وحاجاته وضروراته وأعذاره .

وفكر فى مراد . .

إنه يستطيع الصبر عليه . . وهو مدين له بمئة جنيه . . فلتكن مئة وخمسين . . وأدار قرص المسرة ورفع المسمعة إلى أذنه فإذا بالجرس يدق ويدق ولا من مجيب . . وأعاد المسمعة إلى مكانها وكتب ثلاثة أسطر فى ورقة صغيرة وضعها داخل ظرف أحكم لصقه وأسرع إلى الزمالك . . إلى بيت مراد . . وضغط زر الجرس طويلا فلم يجبه أحد . . فانحنى وأدخل الظرف من الفراغ الضيق بين أسفل الباب وأرض المسكن وانصرف . وكان موعد انصراف الموظفين قد أزف فلم يجد مبررا للعودة إلى مكتبه فاتجه رأسا إلى بيته فى شبرا . . فى شارع شنوده بشبرا .

وأخبر عفافا بأن عطلته ستبدأ هذا العام من أول شهر مايو . . أى بعد خمسة عشر يوما . . وشهقت عفاف دهشة وهى تقول :

بدرى إلى هذا الحد ! !

وشرح لها ظروف العمل وما يتطلبه من توزيع الزملاء على أشهر الصيف حتى لا يقوم بالعطلة أكثر من اثنين فى شهر واحد . . كان يبدو أنها تعرف وتدرك مثل هذه الاعتبارات التى يخضع لها موظفو الحكومة فسكتت . .

– أنسافر إلى الإسكندرية ؟

ثم مالت برأسها قليلاً إلى اليمين وعلى وجهها ابتسامة القطة ، وصمت أحمد قليلاً . . كان يفكر فى الإجابة التى لا تحزنها وهو يعلم فى عين الوقت أن سفرهما شبه مستحيل . . ولكنه قال فى تسليم .

– إن شاء الله .

وأحاطت عنقه بذراعيها وهى تقبل خديه وعينيه وعنقه . . ومع كل قبلة تترك آثار شفتيها البرتقالية وهى تقول :

– ولو لشهر واحد .

وضمها إلى صدره بحنو لو وزع على العالم لأصاب كل فرد فيه نصيبا منه . . وربت ظهرها بكفه وهو يحتضنها وراح يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها . . قبلات صامتة حنون تحمل كل منها آيات حب يكاد يفنى صاحبه . . وهمس فى أذنها .

– ربنا يسهل :

وأخبرته أن أختها أمينة مرت بها حوالى الساعة الحادية عشرة وعاتبتها لانقاطعها عنها فترة طويلة وألحت عليها بمضيا سهرة هذا المساء فى ضيافتها – هى وكمال – وأنها أوصت الطاهى بإعداد عشاء خاص يحبه أحمد . . وأضافت . . أن السهر فى الشرفة المطلة على النيل أصبح – وقد أهلت بشائر الصيف – متعة لا تدانيها متعة السهر فى سطح فندق سميراميس .

ورحب أحمد بالاقتراح . . إنه يريد أن يهرب من همومه وإحساسه بالضيق . . ضيق النفس واليد . . لم يستدن قبل ذلك أبدا . . ولم يكن ليتصور أنه سيكتب لمراد ماكتبه اليوم له . . وألح عليه سؤال . . هل يجيب مراد رجاءه ؟ وهل ضايقه أو أثقل عليه بما سأله إياه ؟ هل أخطأ بالتجائه إليه ؟ وهل يظن مراد به الظنون ؟ أنه لا يدرى . . فهى دوامة تدور به وتتقاذفه وهو بين جدرانها المائية الهائلة كدمية صغيرة ألقيت بين مساقط خزان أسوان . . وكان يترقب مجىء مراد بين لحظة وأخرى . . ولكن الساعات راحت تمضى دون أن يدق الباب وتعلن سيدة قدومه . . وجاء المساء فارتدى ثيابه وارتدت عفاف أحد الأثواب التى أحضر مراد

أقمشتها معه . . كانت المرة الأولى التى ترتدى فيها هذا الثوب . . ودارت به أمام مرآة مائدة التزيين دورة سريعة فارتفعت حوافيه كذيل طاووس جميل وكشفت عن فخذيها المستويين ثم هبطت ثانية إلى ما تحت ركبتيها بقليل . . وراح أحمد ينظر إليها وقد جمعت نظرته كل ما تزخر به النفس من معان وأحاسيس . . الحب والإعجاب والإعزاز والإشفاق والقلق والحرص والخوف . . وكان لكل معنى من هذه المعانى دنيا قائمة بذاتها فى نفسه . . وكانت عفاف نقطتى البداية والنهاية معا لكل هذه المعانى . . كانت كل شىء فى حياته . . كانت حياته جميعا .

وجاءت سيدة لتعلن أن سيارة أمينة تنتظر بالباب . . كان كمال دائم الحرص على أن يبعث لهما بسيارته لتحملهما كلما كانا آتيين لقضاء السهرة فى بيته .

وحملتهما السيارة إلى بيت أمينة وكمال . . وفرغوا من العشاء . . وعندما قاموا للانتقال إلى الشرفة . . سحبت أمينة عفاف من يدها وقالت لها :

– تعالى يا عفاف . . سأريك شيئا .

ثم التفتت إلى أحمد وزوجها كمال وهما يدخلان الشرفة وقالت :

– اشربا أنتما القهوة إلى أن نعود لكما حالا .

وفتحت أمينة خوان ملابسهاوأخرجت منه قطعة نسيج فاخرة بسطتها أمام عفاف . . أجمل وأرق ما تكون لونا وذوقا . . وسألتها :

– ما رأيك ؟

وضمت عفاف شفتيها البرتقاليتين كالعصفور الجميل . . وارتفع حاجباها قليلا وهى تقول بإعجاب عميق :

– الله . .

– جميل ؟ ؟

- وأى جمال ! ! مبروك عليك يا أمينة .
- وعليك أنت أيضا يا عفاف .
- أنا ؟

وراحت أمينة تطوى القطعة من جديد وهى تقول :

- هذا النوع وصل (عينة) لحائكة ثيابى وحدها . . من أحد بيوت الأزياء فى الخارج . . وصلها منه اثنا عشر مترا تكفى لعمل ثلاث أثواب فقط . . واحد لها شخصيا والثانى والثالث لك ولى . . فما رأيك ؟ لن يكون فى مصر كلها من ترتدى مثل هذا الثوب غيرنا . . نحن الثلاث .

وخطفت عفاف قبلة من خد أمينة وهى تقول :

- يا حبيبتى يا أمينة . . أنك لا تنسينى أبدا .
- لا تقولى هذا مرة أخرى .
- لا أدرى ماذا أقول ! !
- لا تقولى شيئا . . أنت أختى وبنتى .

وضحكت عفاف وهى تقول :

- يا خبر . . بنتك ! !
- أختى وبنتى وحبيبتى . . وكل شىء .

وربتت خدها بأطراف أصابعها وهى تقول :

- أى شىء تريدينه . . اطلبيه منى .

ونكست عفاف رأسها وصمتت قليلا فسألتها أمينة .

- مالك يا عفاف ؟

ورفعت عفاف رأسها ثانية ونسجت فوق وجهها ظل ابتسامة وهى تقول :

– لا شيء .

– كيف لا شيء ؟ أنك تغيرت فجأة .

ومدت عفاف يدها وراحت تعبث بغطاء زجاجة عطر على مائدة الزينة وهى تقول :

– زهقت يا أمينة . . فاض بى . . أحاول إقناع أحمد بالانتقال من هذه المنطقة البشعة التى نسكنها إلى ما هو أحسن منها . . الزمالك مثلا لنكون قريبين منك ومن كمال فيقول لى أترك بيتا بخمسة جنيهات لأسكن آخر بثلاثين ؟

أودعت أمينة كل حنان قلبها الكبير ابتسامتها وهى تقول فى رقة وعذوبة :

– والحق معه يا عفاف .

وكأن الجواب فاجأ عفاف فسألت أختها فى عتب :

– وأنت أيضا يا أمينة ؟ ؟

واتسعت ابتسامة أمينة وهى تقول :

– لا أريد منك أن تغضبى . . وكل شيء يجيىء فى أوانه وعلى مهله .

– متى على مهله ؟ ؟ عندما ينتهى العمر يا أمينة ؟ ما تمنيت عليه شيئا إلا وأحسست أننى أبهظه . . وبين التسويف والإرجاء تمضى الأيام والشهور إلى أن تنطفىء رغبتى فى الشيء الذى سألته إياه .

ورق صوت أمينة أكثر مما هو رقة وحنانا وهى تقول :

– أنا يا عفاف . . أريد منك أن تسألى نفسك دائما سؤالا واحدا . . هل هو قادر ويرفض إجابة رغباتك ؟ أم غير قادر وعاجز عن إجابة هذه الرغبات ؟ وبين الرفض مع القدرة والعجز لعدمها فرق أى فرق . . هذا الفرق يحدد الحياة بين زوجين .

ودقت عفاف رأس زجاجة العطر بطرف إصبعها وهى تقول فى ملل :

– لا شأن لى بكل هذا . . إنى أريد أن أعيش . . أن أتمتع . . ألبس . . أسافر . . أحس أننى . . أننى عائشة . . عائشة فعلا . . لا أحد يعيش مرتين يا أمينة .

وأخذت أمينة يد عفف بين كفيها وقد هالتها المرارة التى تشيع فى لهجتها . . فراحت تربتها برفق وهى تقول :

– أؤكد لك يا عفاف . . لو تناولت الحياة كما تناولتها أنا أول عهدى بها لعشت حياتك مرتين وثلاثا وعشرا وألفا . . سيكبر أحمد مركزاً ومرتباً . . والمستقبل أمامه . . ومن يدرى . قد يستقيل من وظيفته ويشتغل بالمحاماه كما يفعل كمال واشتغل بالمعمار وتجرى الألوف بين أيديكما والحياة أمامكما طويلة . .

وحاولت عفاف أن تقاطعها . . ولكن أمينة لم تمكنها فقد راحت تتم حديثها قائلة :

– المهم أن أحمد يحبك كما لم يحب زوج امرأته ويكاد يفنى نفسه من أجلك كما نرى كلنا هذا ونحس به .

– كفاية على . .

قالتها عفاف بتبرم وقد ضمت شفتيها كطفلة امتدت يد غريبة إلى لعبتها . . فمدت أمينة سبابتها وإبهامها وأمسكت بشفة عفاف السفلى وهى تقول كأنها تدلل طفلة :

– يا شيخة . . لا تظلمى الرجل . . من شهور اشترى لك ثمانى قطع لثمانية أثواب أهديتنى منها أربعا . . فماذا تريدين منه أكثر من هذا ؟ أى زوج يشترى لامرأته ثمانى قطع دفعة واحدة ! ! إن كمالا لم يفعلها معى .

وخفضت عفاف رأسها ولم تجد جوابا تقوله لأختها . . إن أمينة لا تعرف أن هذه القطع ضمن هدايا مراد . . وهل تستطيع أن تقول لها ذلك . .

وقطعت أمينة فترة الصمت التى سادتها إذ قالت :

– غدا أو بعد غد . . أعنى فى أى يوم نذهب معا إلى حائكة ثيابى لتقص لنا هذين الثوبين . . لقد ضنت بهما على كل عميلاتها وقالت لى بالحرف الواحد .

– ثوب على عفاف من هذه القطعة خير دعاية لى .

– وابتسمت عفاف وردت التحية لأختها قائلة :

– بل عليك أنت يا أمينة .

وقامت أمينة وهى تجذب عفاف من يدها .

– هيا قومى لننضم إلى أحمد وكمال . . لا تحملى هم شىء . . وكما قلت لك . . كل شىء بأوانه .

٢١

عقدت عفاف الميدعة البيضاء حول وسطها ودست كفيها فى القفاز المصنوع من المطاط ودخلت المطهى وكانت الساعة تشير إلى التاسعة من صباح اليوم التالى للسهرة التى أمضتها مع أحمد فى مسكن أمينة وكمال .

كانت خفيفة أنيقة رشيقة تخالها العين – فى هذا الزى الأبيض الذى خصصته لساعات الطهو – طبيبة امتياز صغيرة حديثة التخرج فى كلية الطب وكانت سيدة قد أعدت كل شىء لسيدتها من إشعال المواقد وتجهيز أوانى الطهو وغسل اللحم والخضر إلى آخر هذه التجهيزات التى تسبق عملية الطهو ذاتها ثم انصرفت إلى تنظيف المسكن . .

وبدأت عفاف عملها وقد ضمت شفتيها على لحن « السماء الزرقاء » وراحت تخرجه من بينهما صغيرا خافتا نحيلا . . فى جمال الكأس السكرية – فمها – الذى ينساب منه . . وكانت تبتسم فيما بينها وبين نفسها . . لقد استخلصت من أحمد أمس شبه وعد بالاصطياف فى الإسكندرية . . لقد سألته :

– أتسافر إلى الإسكندرية ؟

فأجابها :

– إن شاء الله .

وعادت وكأنها تريد أن تخفف الحمل عنه فقالت :

– ولو لشهر واحد .

فهمس فى أذنها :

– ربنا يسهل .

وهى تعرفه صادق الوعد . . وهو يحبها . . وهو يتمنى لو أن فى استطاعته أن يصحبها للاصطياف فى أوربا . . هى تعرف كل هذا عنه .

وذكرتها أوربا بمراد . . أو بالأحرى بدعوة مراد لمصاحبته . . وسألت نفسها . أيمكن هذا ؟ أتجيئها الفرصة لمشاهدة أوربا ؟ روما ولندن وباريس وبرلين وجنيف كما شاهدتها أختها أمينة ؟ إن مرادا جاد فى دعوته وهو مصر عليها . . ولكن أحمد . . أنه لن يفعلها إلا إذا كان قادرا . . وبهذا القياس انتهت إلى نتيجة واضحة . . إنها لن ترى أوربا أبدا . . وقالت لها نفسها تكفينا الإسكندرية الآن . . وإذا حدثت المعجزة وانتقلنا من هذا الشارع الكريه . . من هذا الحى الكريه كله . . ستكون هناك خطط أخرى . . تخطيط جديد نبدأ به الحياة من جديد . . المهم الآن أن تتدبر سفرها للإسكندرية . . أن هناك بعض الضرورات التى لا تستطيع الاصطياف بدونها . . لا هى ولا أحمد . . وهى لا تدرى كيف السبيل إليها . . إنها بحاجة لخمسين جنيها تبتاع بها هذه الضرورات . وابتسمت فى مرارة . . أليس عجيبا أن تملك فراء لا يقل ثمنه بحال عن بضعة آلاف من الجنيهات تؤدى أجر حفظه حوالى أربعين جنيها كل عام . . وتعجزها مع ذلك خمسون جنيها ؟ ؟ والمسكين أحمد . .

ماذا سيفعل . . كيف يتصرف . . وألقت بعيدا بملعقة كبيرة طويلة اليد كانت تحرك بها شيئا فوق الموقد وهى تتمتم فى صوت ملؤه المرارة :

– أمثالنا محكوم عليهم بالحياة .

ودخلت سيدة فى هذه اللحظة وهى تقول :

– سيدى مراد بك يا فندم .

وكانت عفاف تهم بالتقاط أداة أخرى من أدوات الطهو . . فتوقفت يدها فجأة وهى تقول فى دهشة بالغة .

– مراد ! ! متأكدة ؟ ؟

– طبعا يا سيدتى . . سأل عنك وهو ينتظر فى الردهة .

ونزعت عفاف القفاز عن يديها وحلت حزام الميدعة وألقت بها إلى سيدة . . وكانت ترتديها فوق ثوب صيفى بسيط جميل يكشف عن كتفيها وذراعيها . . وبحركة لا إرادية أصلحت من خصلات شعرها الأسود الفاحم الغزير وكان وقتئذ حرا طليقا من قيد الضفيرة الواحدة الغليظة التى لم يسبق لمراد أن رآها إلا بها . . وكان وجهها خاليا من الأصباغ تماما . . مغسولا . . نظيفا طاهرا لامعا . . وشفتاها ناعمتان فى لون الوردة الصغيرة التى لم تتفتح عنها أكمامها بعد . . يستحيل على العين الفاحصة المدققة أن تتبين بصمتها وكأن الله خلقها خلقا فريدا بين نساء الأرض . . والخال الدقيق على خدها الأيسر خافت شاحب كنغمة قصيرة جميلة فى لحن كبير . .

هكذا كانت عفاف بلا زينة ولا أصباغ . . يتحدى جمالها الأعزل كل مألوف .

ماذا جرى ؟ وماذا يريد مراد ؟ وقالت للخادم :

– راقبى ما فوق النار يا سيدة .

وطلعت عليه فى ردهة المسكن وعلى وجهها ابتسامة القطة . . وكان واقفا بجوار

النافذة المطلة على شارع شنودة . . وجهه إلى الشارع وظهره إلى جهة عفاف . . وسمع خفق قدميها فالتفت إليها وعلى وجهه الابتسامة .

– صباح الخير . .

– أهلا وسهلا مراد بك .

ومدت يدها فالتقطها ورفعها إلى شفتيه فمس بهما – كعادته – أطراف أصابعها وهو يقول :

– زيارة مفاجئة

– أبدا . . أهلا وسهلا . . هذا بيتك . . إن أحمد . .

– عارف . . أنه بطبيعة الحال فى مكتبه فالوقت وقت عمل . . أن له «أمانة» عندى وقد ذهبت إليه فى مكتبه لأسلمها له فقيل لى أنه فى لجنة . . وانتظرت قليلا فلم يحضر . . وقيل لى إنه قد يتأخر إذ ليس لاجتماع هذه اللجان موعد محدد تنتهى عنده . . ولما كان لابد لى من اللحاق بالقطار القائم إلى الإسكندرية الآن . . وجدتنى مضطرا للحضور إلى هنا لتسليمها لك .

وأخرج من جيبه مظروفا صغيرا مقفلا قدمه لها وهو يقول – والابتسامة مازالت تشيع فى وجهه :

– أتسمحين ؟

ومدت عفاف يدها فأخذت منه المظروف وهى تقول :

– سأسلمه له .

ومد يده مصافحا وهو يقول :

– إلى اللقاء .

– بهذه السرعة ؟

وكانت مدت يدها فأخذها بين يديه وهو يقول :

- كى لا يفوتنى القطار .

- ولكن . . لا أقل من قهوة مثلا أو . .

وربت ظهر يدها بكفه وهو يقول :

- فى مرة أخرى . . أنا لست ضيفا . . إلى اللقاء .

- متى تعود من الإسكندرية ؟

- بعد يومين على أكثر تقدير . . بمجرد الانتهاء من المهمة التى أسافر من أجلها .

- مع السلامة .

ورفع يدها إلى شفتيه وقبلها وبارح المسكن .

وفتحت المظروف وسحبت ما فيه .

كانت مائة جنيه ومعها بطاقة صغيرة كتب عليها هذه الكلمات .

أخى أحمد .

أسفت جدا لحضورك أمس ولم تجدنى . . كنت فى العزبة ولم يكن أحد فى المنزل فقد أعطيت الجميع طول يوم أمس إجازة . . ولم أعد إلا بعد منتصف الليل فوجدت رسالتك . . ذهبت لمقابلتك فى مكتبك فقيل لى إنك فى لجنة ، فلم يكن أمامى إلا أن أترك لك الأمانة مع عفاف هانم لأنى قائم للإسكندرية الآن لمهمة عاجلة وأخشى أن يفوتنى القطار . . قبلاتى . . وإلى اللقاء عند عودتى .

أخوك مراد

وأشرق وجه عفاف بابتسامة مضيئة ودارت حول نفسها بسرعة كراقصة الباليه وهى تقول فى فرح :

– مائة جنيه . . أن أحمد ولد مدهش . . كان يعلم أن للاصطياف ضروراته فلجأ إلى مراد .

وأسرعت إلى المطهى وألقت بتعلياتها لسيدة وافهمتها أنها ستغيب عن المنزل – ساعتين – وأسرعت إلى غرفة نومها وهمت بخلع ثوبها لترتدى ثوبا غيره يليق بالخروج . . وإذا بسيدة تدق باب الغرفة .

– ما بالك يا سيدة ؟

– سيدى مراد بك يا فندم .

وكانت قد فكت بعض أزرار ثوبها فأعدتها ثانية إلى عرواتها وهى تقول فى دهشة :

– مراد ! !

وانطلقت إلى الردهة فإذا بمراد يلتقط صحيفة الأهرام عن أحد المقاعد ويقطع من حافتها شريطا رفيعا . . ونظر إلى عفاف وهو يقول :

– تصورى . . عنوان الرجل الذى أسافر للإسكندرية لمقابلته ورقم تليفونه كتبتهما على هذه الصحيفة . . ثم نسيتها هنا .

وضحكت عفاف وهى تقول :

– هذه المرة لا مفر لك من قدح قهوة . . أو . . عندى شراب مرطب وضعته مع زجاجة اللبن بين الثلج من ليلة أمس .

– شكرا يا عفاف هانم . . الوقت ضيق جدا .

– دقيقة واحدة .

وأسرعت إلى الحمام وفتحت الثلاجة الخشبية الصغيرة وأخرجت منها زجاجة الشراب المرطب فغسلتها بالماء ثم جففتها وفتحتها وأسرعت بها إلى مراد . . ثم

سحبت كوبا نظيفا أفرغتها فيه وهى تقول كطفلة أحست أنها أحسنت تأدية واجب :

-تفضل .

ونظر مراد لها طويلا . . طويلا . . كان يتفحص هذا المخلوق الغريب الفريد بين البشر . . وامتدت يده إلى الكوب فتناوله وهو يقول :

– شكرا يا عفاف هانم .

ورشف منه رشفة . . ونظرا إليها مبتسما فسألته :

– ساقعة ؟

– جداً . .

– بين الثلج من ليلة أمس مع زجاجة اللبن .

– من هنا يشرب اللبن ؟

– أنا . . أنا أحب اللبن .

وعاد ينظر إليها . . غزالا صغيرا جميلا فاتنا وهو يقول :

– كالأطفال . .

واحمر وجهها وهى تقول :

– وهل اللبن للأطفال فقط . . أنا كبيرة .

وسألها كمن يريد أن يتجه بالحديث وجهة أخرى .

– ألا يتسرب الماء – ذوب الثلج – إلى زجاجات اللبن :

– إنها مغلقة . . وأنا لا أضعها نائمة بل قائمة .

– أليس لديك ثلاجة كهربية (فريجدير) ؟

وابتسمت عفاف وتنهدت من قلبها . . من أعماق قلبها وقالت :

– فريجيدير ! ! مرة واحدة ! !

– وهل هى كثير عليك يا عفاف هانم .

– يا مراد بك . .

وقاطعها قائلا :

– بهذه المناسبة . . مادمت تطهين بنفسك فأنت بحاجة إلى مطهى حديث .

وضحكت عفاف وهى تسأله ساخرة :

– كمطهاك مثلا ؟

– ولم لا ؟

– فى هذا البيت ؟

– هذا البيت لا يجوز أن تبقيا فيه بعد ذلك أبدا .

– بعض الوقت يا مراد بك . . المسألة تحتاج بعض الوقت .

ونظر إليها . . إلى عينيها بالذات . . وأفرغ ذوب قلبه فى نبرات صوته وهو يقول :

– أرجوك يا عفاف هانم . . يمكنك أن تلجئى لصداقتنا . . لإخوتنا . . ألست «آبيه» ، مراد كما اتفقنا ؟

وخفضت رأسها وهى تقول :

– طبعا .

– إذن فأنت مقصرة فى حق آبيه مراد .

– أنا ؟

– طبعا . . أنا لا أرجو منك إلا أن تسمحى لى بالتصرف . . أنت أختى الصغيرة فدعينى أتصرف . . أن أحمد أخى . . أخ العمر . . فالق كل شىء على

ولا شأن لك بعد ذلك بأية صغيرة أو كبيرة . . فلنجعلها بيننا وحدنا . . أنت وآبيه مراد .

ونظر فى ساعته وهو يقول :

– يا نهار أبيض . . سيفوتنى القطار . . سنتكلم فيها بعد . . إلى اللقاء يا عفاف هانم .

وودعته عند باب المسكن وأسرع هو يهبط السلم وهو يلوح لها مودعا . . وعادت إلى غرفتها فنضت عنها ثوبها وارتدت ثوبا آخر . . وأجرت القلم البرتقالى فوق شفتيها ثم جمعت شعرها كله فى قبضتها وخنقته من عند منابته بحلقة صغيرة من المعدن المذهب وتركته فوق ظهرها كذيل الفرس الأصيلة الجميلة . . وخلعت حذاءها وانتعلت غيره خفيفا بسيطا يساعدها على السرعة أثناء السير . وفى دقائق كانت تحملها إحدى السيارات الأجرة الخاصة إلى شارع قصر النيل . . كانت تعرف وجهتها تماماً وكانت تعرف ما تريد بالضبط فلم تضيع وقتا طويلا . . كانت تمضى فى كل متجر تدخله بضع دقائق بعدها تخرج وفى يدها شىء . . وما أن فرغت من مهمتها حتى ألقت بنفسها فى إحدى السيارات الأجرة . . وقالت للسائق :

– الزمالك من فضلك .

كانت تفكر فى كل ما قاله مراد منذ قليل .

– أليس لديك ثلاجة كهربية . . فريجدير ؟

– وهل هى كثير عليك يا عفاف هانم ؟

– مادمت تطهين بنفسك فأنت بحاجة إلى مطهى حديث .

– هذا البيت لا يجوز أن تبقيا فيه بعد ذلك أبدا .

– أنا لا أرجو منك ألا أن تسمحى لى بالتصرف . . فأنت أختى الصغيرة

فدعيني أتصرف . . أن أحمد أخي . . أخ العمر . . فالق كل شيء علي ولا شأن لك بعد ذلك بأية صغيرة أو كبيرة . . فلنجعلها بيننا وحدنا . . أنت وآبيه مراد .

ماذا يعني مراد بكل هذا ؟

هل يقدم لها المسكن اللائق وملحقاته ؟

إنه مجنون . . مجنون ويعملها .

هل هو مجنون حقا ؟

وأحست أنها ظلمته . . أنه ساحر . . أنه كريم . . ولقد دفعها حديثه لأن تذهب إلى الزمالك مرة أخرى لترى إن كان من الميسور أن تجد مسكنا تناسبها شروطه .

وعثرت على مسكن جميل في شارع ساليريري بالزمالك . . جميل من كل الوجوه . . ثلاث غرف في الطابق السابع من المبنى . . به كل ما تتمناه . . الحمام الأنيق والأرض المصنوعة من خشب الأرو . . والشرفات العريضة والتصميم الحديث والجدران ذات الألوان الزاهية الجميلة . . وخال من ثلاث جهات . . والمصعد أنيق نظيف مضيء يصعد ويهبط بالسكان في هدوء . . وإيجاره سبعة جنيهات وخمسة عشر قرشا في الشهر الواحد .

هذا خيال . . هذا حلم .

وأفاقها من خيالها وأيقظها من حلمها الرقم الذي يؤديه طالب السكنى للمالك قبل أن يوقع عقد الإيجار . . ثلاثمائة جنيه . . وسألت البواب إن كان هناك أي أمل في تخفيض هذا الرقم . . فابتسم عن أسنانه البيضاء التي أضاءت وجهه وهو يقول :

– كانوا خطفوها . . أنها كبنت حلوة . . مهرها غال .

وعادت عفاف إلى منزلها فوجدت أحمد قد عاد من عمله وجلس ينتظرها أمام المائدة . . وألقت بما كانت تحمل جانبا وعانقته وقبلته وهو فى حيرة من أمرها . . وأخيرا سألها :

– شغلتينى يا عفاف . . أين كنت ؟

– انظر أولا .

– وراحت تحل أربطة كل ماكانت تحمل وتخرج الأشياء من صناديقها وهى تقول .

– انظر . . هذا رداء استحمام لى . . وهذا لك . . وهذه سراويل للشاطىء . . لى ولك وأحذية خفيفة وقبعات ونظارات للشمس ومناشف و . .

– عفاف . .

– انتظر يا أخى .

ولكن أحمد قاطعها وقد أوجس قلبه خيفة .

– عفاف . . هل حضر مراد هنا وترك لى الـ . . .

ونظرت له عفاف وقد أدهشتها لهجته وقالت :

– لقد ذهب إليك فى مكتبك ولم يجدك فاضطر للحضور إلى هنا كى لا يفوته القطار الذاهب إلى الإسكندرية وأعطانى هذا المظروف وبه هذه الرسالة مع النقود .

وقدمت له الرسالة وهى تتم حديثها :

– وأنا أسرعت بشراء ما يلزمنا للمصيف .

وكان أحمد قد التهم الأسطر القليلة بعينيه ثم نظر إلى عفاف والدمع يكاد يطفر من عينيه .

– أهذا كلام يا عفاف ؟ أهذا يجوز يا عالم . . أقترض من الرجل خمسين جنيها لنفى بديوننا التى يطالبنا أصحابها بها . . فتبدديها أنت فى هذه التوافه ! !

وكانت المرة الأولى التى يخاطبها فيها بلوم وعتاب جديين . . فنظرت له وكأنها استغربت لهجته وقالت :

– أحمد ! ! !

– أنا مدين يا عفاف . . مدين لبعض معارفى . . وهذه هى المرة الأولى فى حياتى التى اضطررت فيها للاستدانة . . أنك أسرفت فى الشهور الأخيرة بغير حساب وأنا لا أريد أن أرد لك أية رغبة . . ويعلم الله كم كلفتنى الرسالة التى بعثت بها لمراد أسأله فيها أن يقرضنى خمسين جنيها لأسدد ديون هؤلاء الناس الذين لا يطيقون الانتظار على أموالهم . . فأنهم مثلنا . . ناس على قد حالهم . . أما مراد فيستطيع الانتظار . . ماذا نفعل الآن حيال هؤلاء القوم .

وابتسمت عفاف وهى تنظر إليه من جانب عينيها فسألها فى عتب :

– تبتسمين ؟

– اسمع . . ألم تقل لى أننا سنسافر إلى الإسكندرية ؟

– كان مجرد كلام وأعرف أن تحقيقه مستحيل .

– يعنى . . كنت تكذب على .

– يا عفاف . . أرجوك أن تقدرى حالنا . . أنت تعلمين كم يعذبنى عجزى عن أن أحقق لك رغبة واحدة من رغباتك . . ليتنى أستطيع أن أقدم لك الدنيا بكل ما فيها . . أننى .

دعنا من هذا وقل لى . . يعنى هذه الخمسين جنيها التى سألت مرادا أن يقرضك إياها لم تكن للاصطياف ؟

– قطعا لا . . أيهما أولى وأكرم ؟ أسدد ديونى أم اصطاف فأضاعفها .

وارتسمت على وجه عفاف ابتسامة القطة وهى تسأله .

– أفهم من هذا أن ديوننا فى حدود الخمسين جنيها .

– على وجه التقريب .

– إن مرادا ترك لك مائة جنيه لا خمسين .

– مائة جنية ؟ ؟ جد ؟ ؟

– آه والله . . مائة جنيه . . وظننت فى بادئ الأمر أنك اقترضتها منه بمناسبة سفرنا للإسكندرية فأسرعت واشتريت هذه الأشياء بحوالى ثلاثة وأربعين جنيها .

– ثلاثة وأربعون جنيها ! ! !

وفتحت عفاف حقيبة يدها وأخرجت منها خمسة وخمسين جنيها قدمتها لأحمد وهى تقول :

– على أية حال . . الخمسون جنيها التى تريدها معك . . وفوقها خمسة .

٢٢

ولم يكن عسيرا على أحمد إن يلحظ تغير عفاف بقية اليوم . . كانت المرة الأولى التى يناقشان فيها المسألة المالية بشيء من الصراحة . . لم تكن تتصور يوما أن تضطرها الحياة لأن تقدم حسابا عن مبلغ تافه كهذا .

لقد أصبحت تضيق بكل شيء . . وأصبح كل شيء يضيق بها . . أنها لا ترى لحياتها على هذه الصورة معنى أو مبررا . . وانقضت ساعات ما بعد الظهر . . وأقبل المساء وخرجت إلى الشرفة الصغيرة المسورة بأعواد من الحديد الصدئ . . طراز من الشرفات عفت عليه السنون . . وجلست وحدها . . وراحت ترقب المارة والباعة والصبية والمركبات الرائحة والغادية والغلمان فوق دراجاتهم يتلوون فوقها ويمرقون بين السابلة كالثعابين .

هذا ميخائيل أفندى بسطوروس . . جارهم . . ساكن المنزل المقابل وقد تعلقت بذراعه حرمه المصون – الست فلة – راحا يتهاديان فى مشيتهما كجمل المحمل لاشك أنهما يقصدان إحدى دور السينما الصيفية فى شارع شبرا . . وهذا عبد المجيد

أفندى لطفى . . المتحذلق المفتون بشبابه وقد تعدى الخمسين . . طربوشه مائل كالعادة إلى اليسار . . حليق . . يلمع صدغاه القبيحان من أثر تمرير حجر الشب فوقهما بعد عملية الحلاقة . . عيناه كعيني ثعبان أرمد تدوران فى محجريهما يجذبهما خيال أى إنثى حتى فى الشرفات العالية . . يحس بأهميته التافهة عندما يحييه عم هاشم بائع الثلج أو عم رفاعى الإسكافى الذى يحتل ناصية الشارع وقد بسط فوق فخديه لوحا من الخشب يصلح عليه الأحذية العتيقة . . وابتسمت عفاف شفقة عليه فقد تذكرت أنه تبعها مرة من أول الشارع إلى أن اقترب منها وسألها بصوت أشبه بنقيق الضفدع : الساعة كم ؟

ومسحته يومها بنظرة علمته ألا يعيد الكرة أبدا .

وأمضت عفاف فترة طويلة فى الشرفة إلى أن جاءها أحمد وحاول أن يزيل عن نفسها أثر المناقشة التى جرت بينهما . . وهزت عفاف رأسها وهى تقول فى هدوء :

– لم يحدث شىء يا أحمد . . هذه مناقشات تجرى يوميا بين أى زوجين .

وجلس قريبا منها وجمع يديها بين يديه وراح يقبلهما وهو يسألها :

– غاضبة ؟

– أبدا .

وأراد أن يغير موضوع الحديث فقال لها :

– ما رأيك . . نخرج الليلة . . سينما . . ثم عشاء فى الخارج أو نتصل بأمينة وكمال تليفونيا وإذا كانا لن يبرحا الدار هذه الليلة . . نذهب إليهما .

ومرت لحظات صمت قصيرة قبل أن تجيبه عفاف :

– دعها لليلة أخرى . .

كان يبدو أنها لا تريد أن ترى أحدا أو تختلط بأحد . .

عاودها الإحساس القديم بأنها تلك السمكة الكبيرة أسيرة الوعاء الزجاجى الصغير والتى مكانها البحر الواسع العميق العريض . . وكان إحساسها هذه المرة أكثر ضراوة بها من أية مرة سابقة . . أنها تريد أن تتحرر من هذا الوعاء الخانق . . تريد أن تحطمه فقد ضاقت به وبجدرانه التى تحوطها من كل الجوانب .

وأمضت ليلة سيئة فقد كانت منقبضة النفس . . حزينة . . يملأها الإحساس بأن الحياة ظلمتها واضطهدتها وكان فى الإمكان أن تنصفها كما أنصفت كثيرين . . تبينت أنه كما يجافينا أيضا النوم لفرط إحساسنا بالسعادة فإنه يجافينا أيضا لفرط إحساسنا بالتعاسة . . وكانت عفاف تعسة فى هذه الليلة فلم تنم أبدا . . رصدت أذناها دقات ساعة الكنيسة عبر شارعين يفصلان بينها وبين شارع شنودة .

الواحدة صباحا . . ثم الواحدة والنصف . . الثانية . . الثالثة . . وهكذا إلى الخامسة والنصف صباحا . . وبعدها فقط بدأ جفناها يثقلان . ولم يشأ أحمد أن يقلقها عند مبارحته الفراش صباحا ليذهب إلى عمله فانسل برقة ودون أن يحدث أية ضجة . . وأيقظ سيدة لتعد له قدح الشاى والإفطار ثم بارح المنزل .

وعندما عاد ظهرا أخبرها أن كمالا اتصل به عن طريق التليفون وأخبره أنه – وأمينة ينتظرانهما الليلة لتناول العشاء معهما وأنه وعده بالحضور ولو أنه مرتبط بالعودة إلى مكتبه بمصلحة البريد مساء اليوم لظروف طارئة تتعلق بالعمل . . ثم أضاف قائلا :

– أنا لا أعرف متى أنتهى من مهمتى يا عفاف فما رأيك فى الآتى . . نبرح المنزل معا حوالى الساعة الخامسة ونفترق عند مبنى الإسعاف . . أنا إلى مصلحة البريد وأنت إلى الزمالك ثم ألحق بك هناك عندما أنتهى من عملى .

ومرت لحظة صمت قصيرة مطت عفاف شفتها السفلى وسألت أحمد فى صوت

يشوبه السأم :

– ألن تحضر سيارة كمال لتأخذنا ؟

– سيارة كمال فى التشحيم وقد اعتذر بنفسه عن ذلك .

وتمتمت عفاف بنفس الصوت الذى يشوبه السأم ،

– الساعة الخامسة . . فى عز الشمس . . واليوم . . فى هذا الجو المريض ؟

– أتفضلين أن تتأخرى قليلا ؟ يعنى أذهب أنا إلى عملى فى الساعة الخامسة ثم تذهبين أنت وحدك إلى أمينة . . حوالى السابعة مثلا بعد أن تكون حرارة الجو قد خفت نوعا .

فهزت عفاف رأسها إيجابا وهى تقول فى نفس الصوت :

– لا بأس .

وضمها إلى صدره فى حب وحنو وإعزاز وإحساس بأنه يضم إلى قلبه قطعة شاردة من هذا القلب . . وهمس فى أذنها .

– أنت لا تعلمين كم أحبك ولا كيف أحبك . . لا تعلمين يا عفاف أبداً . . لا تعلمين .

ولم تجب . . إن هذه الكلمات أصبحت كالعملة الزائفة مستحيلة التداول عديمة النفع والفائدة . . رنينها لم يعد له ذلك الجرس الجميل القديم . . أنه أشبه بطرقات الصبية فى شارع شنودة على الصفيح فى ليالى خسوف القمر ظنا منهم أنهم يزيلون عنه بهذه الطرقات خسوفه . . ولو علموا ، لعلموا أنها قوانين ومعادلات محسوبة ومرصودة منذ بلاين السنين من بدء الخليقة وأن زوال الخسوف عن القمر مرهون بخروجه من مخروط الظل . . ولو علم أحمد ، لعلم أن قلب المرأة منذ بلايين بلايين السنين عمر أمها حواء ، معرض أيضا للإصابة بالاختناق كالقمر تماما وأن الطرقات

على رقائق الصفيح لا نحرره من هذه السحابة المخيفة القاتمة الهائلة . . بل لابد من خروجه من مخروط الظل .

وهل كان فى استطاعته أن يتصور أنه أصبح – أو كاد يصبح – بالنسبة لعفاف مخروط الظل بالنسبة للقمر؟

وأخذت عفاف زينتها أكمل ما تكون الزينة . . ارتدت ثوبا من الأثواب التى أحضرها مراد معه . . القطع الثمانى التى حجزت منها لنفسها أربعا وأهدت أختها أمينة أربعا وفتحت علبة أحمر الشفاه التى أحضرها مراد أيضا وأخرجت منها إصبعا صبغت به شفتيها برغم وفرة الموجود منه فى العلبة التى أحضرتها أمينة . . ولم تكن فضت بعد خاتم زجاجة عطر الأربيج منذ قدمها لها مراد يوم عودته من الخارج . . ففضته وراحت تقطر منها لتعطر مكامن الفتنة التى إذا تضوع العطر منها أدار الأعناق وخطف القلوب .

وهبطت إلى الشارع . . شارع شنودة . . وكانت الساعة – هدية مراد – حول معصمها تشير إلى منتصف السابعة . . وسارت إلى موقف سيارات الأجرة فلم تجد إحداها . . وأحست أن أقداما تتبعها . . كانت تعلم أن الجميع فى شارع شنودة ، يحترمونها ويحترمون جمالها ورقتها ويحترمون زوجها . . وما من أحد خطر له يوما أن يسىء التصرف حيالها إلا عبد المجيد أفندى لطفى الذى حاول مرة تلك المحاولة السقيمة المبتذلة . . فهل يكون هو مرة أخرى ؟ ولم تلتفت إلى الخلف فهكذا كان دأبها دائما . . ولكنها أبطأت الخطو فإذا به هو . .

عبد المجيد أفندى لطفى بطربوشه وصدغيه اللامعين القبيحين وزادت عليه مذبة بيضاء من شعر ذيل جواد . . وكان بصحبته رجل شبيه به كل الشبه قطعت عفاف لتوها بأنه أخوه . . وسمعته يقول له عندما أصبح فى محاذاتها :

– أتعرف يا زكى . . أنا فى حيرة من أمرى . . أنا وحدانى كما تعلم وفى حاجة لمن يؤنسنى فهل أشترى عصفورا من عصافير الجنة أم أشترى غزالا ؟

وضغط على كلمة « غزالا » حتى لا تخطئ أذن عفاف . . ولم تكن عفاف فى حالة تسمح لها باحتمال أى شىء . . ولم يكن ينقصها غزل عبد المجيد أفندى لطفى الذى يصح أن يكون لها جدا . . فكظمت غيظها ولم تفتح فمها بكلمة . . وعندما وصلت إلى ناصية الشارع ورآها عم رفاعى الإسكافى وكان منحنيا على حذاء عتيق يصلحه . . نهض واقفا ورفع كفيه إلى رأسه محييا كمن يكبر للصلاة :

– نورنا زاد يا ست هانم .

واقتربت منه عفاف وهى تقول ؛

– ربنا يحفظك يا عم رفاعى .

وقاست المسافة بينها وبين عبد المجيد أفندى لطفى وأخيه زكى يقتربان من محاذاتها وتعمدت أن تسمعها حديثها .

– أريد منك يا عم رفاعى .

– رقبتى يا ست هانم .

وبصوت مسموع وهى تبتسم :

– أريد منك أن تبحث لى عن قرد وغراب .

– وفوجىء الرجل فسألها مندهشا .

– قرد . . غراب . .

– نعم قرد وغراب . . أريد شراءهما فمن أين ؟

وحك الرجل رأسه كمن يفكر فى حل مشكلة . .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– لا بأس يا عم رفاعى . . لا تتعب نفسك . . ودست فى يده خمسة قروش وتركته وانصرفت .

كانت تريد أن تسمع الثقيلين رأيها فيهما وقد أسمعتهما إياه . . وضحكت فيما بينها وبين نفسها وتساءلت . . لم تصرف هكذا ؟ وهل كانت قاسية على عبد المجيد أفندى لطفى ورفيقه ؟ ؟

واستقبلها شارع شبرا بضوضائه وزحامه ومركبات الترام والسيارات الخاصة والعامة والنقل التى لا ينقطع سيرها أبدا . . حركة دائمة دائبة . . يدفع الإنسان حياته فى دوامتها ثمنا للحظة يغفل فيها عما حوله . . وحاولت أن تستوقف إحدى سيارات الأجرة الخاصة فلم تفلح . . مرة وثانية وثالثة ورابعة وكلها ملأى براكبيها . . و . . وفجأة سمعت آلة تنبيه قريبة منها فانتفضت للمفاجأة . . وإذا بمراد أمامها بسيارته .

– مراد . .

كانت المرة الأولى التى تنطق اسمه مجردا فأسرعت واستدركت :

– مراد بك .

فتح لها باب السيارة الأيمن – من جهتها – وكان يجلس هو خلف عجلة القيادة والابتسامة الآسرة فوق وجهه وهو يقول :

– ماذا أسمى هذا ؟ صدفة ؟ أنه شىء أكبر وأجمل من الصدفة بكثير . . الصدفة أعجز من أن تحقق هذا . . تفضلى . . اصعدى . .

وبان عليها التردد وتحركت شفتاها تريد أن تقول شيئا . . فأعاد قوله :

– تفضلى يا عفاف هانم .

وسألته – وكأنها تريد أن تذيب ترددها فى سؤالها :

– متى عدت من الإسكندرية ؟

– اليوم – ألم أقل لك أننى قد أعود بعد يوم أو يومين .

– الحمد لله على السلامة .

– الله يسلمك . . تفضلى اصعدى . . إلى أين ؟

– شقيقتى .

– أحملك إلى هناك .

وعاد التردد يرتسم على وجهها وهى تقول :

– شكراً . . ولكن .

– ولكن ماذا ؟ العربة موجودة وأتركك فى زحام هذا المولد ؟

وكان وقوفه بسيارته قد زحم الطريق وأخل بحركة المرور فارتفعت أصوات آلات التنبيه خلفه متلاحقة تعوى وتصم الآذان وتزحم الجو بزعيقها فمد يده إلى عفاف وهو يبتسم قائلا :

– الحقينا وإلا ألزمتك بسداد قيمة المخالفة لمحكمة المرور .

وابتسمت عفاف وصعدت إلى جانبه .

وانطلقت بهما السيارة فراحت تنهب الشارع المزدحم الصاخب إلى أن انحرفت يمينا إلى شارع الجلاء فطوته فى دقائق ثم شارع ماسبيرو والنيل يلطف حدة الحرارة على السائرين فيه . . وأبطأ مراد السير عما كان عليه فى شارعى شبرا والجلاء . كان يحس أن عفافا ليست كعادتها . . ليست كما ألفها . . القلب الخلى الضاحك . . قلب الطفلة التى لم تعرف الهموم طريقها إليه . . ورجح أن هناك شيئا فالتفت إليها وعلى وجهه ابتسامته الآسرة المألوفة .

– المزاج الرقيق ليس فى أحسن حالاته اليوم . . ليس كأمس مثلا .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– أبدا .

– والقطة الصغيرة تخفى عن «آبيه» مراد ما يشغلها .

وترددت عفاف قليلا ثم قالت :

– لم أنم ليلة أمس .

إذن كنت فى منتهى السعادة أو فى منتهى التعاسة .

قالها مراد وكأنه يجيب حاصل عملية بسيطة من عمليات جدول الضرب .

وضحكت عفاف ضحكة خافتة صغيرة فسألها :

– ما الذى أضحكك؟

– إننى من الأمس أعانى من الأرق . . وقد استخلصت هذه الحقيقة . . أن النوم قد يجافينا لفرط إحساسنا بالسعادة أو بالتعاسة .

– إذن فقد كنت أسيرة إحدى هاتين الحالتين . . هيا وأخبرينى ما الذى أرقك ؟

ومرت لحظة صمت قصيرة . . لم تكن عفاف تدرى . . هل تتكلم ؟ وإذا تكلمت فماذا تقول ؟ واستحثها مراد على الكلام فقال :

– الإنسان فى حاجة دائمة لمن يتحدث إليه ويفضى له بذات نفسه وإلا عصرنا الكبت وأهلكنا .

وهمست عفاف وكأنها تكلم نفسها :

– هذا صحيح .

تكلمى إذن . . فضفضى . . لقد خيل إلى أننى قد أكون أهلا لثقتك . . ولهذا سألتك وأسألك عما يهمك . . أم تريننى لست أهلا لهذا ؟

– بالعكس . .

قالتها وعيناها فى حجرها وأصابعها تعبث بمحبس حقيبة يدها .

– من حقى إذن أن أرجوك أن تسمحى لى بأن أحمل عنك بعض متاعبك . .

– ليست متاعب بالمعنى المفهوم . . و . .

فقاطعها بقوله :

– أيا كانت صفتها أرجو أن تشركينى فيها . . ألست آبيه مراد ؟

– نعم .

– وأنا وأحمد أكثر من أخوين .

– طبعا .

– فماذا هناك أكثر من ذلك لكى تلجئى إلى ؟ إلى أخوتى وصداقتى .

– لا أريد أن أتأخر على شقيقتى .

– لن أؤخرك . . سأستمع إليك ونحن فى طريقنا إلى هناك .

وليست تدرى من أين بدأت الحديث ولا كيف انتهت منه . . كل ما تذكره أن السيارة انحرفت بهما يسارا فعبرت النيل من بولاق إلى الزمالك ثم مالت يمينا فى شارع ضيق طويل وسارت مسرعة إلى أن وقفت عند رأس جزيرة الزمالك . . بقعة لم تطأها قدمها ولم ترها عينها من قبل . . النيل أمامها عند تشعب فرعيه لم تره بهذا الاتساع أبدا . . والطريق مرصوف جميل . . خال من المارة تماما . . كانت قد روت فى هذه الدقائق خلافها الصغير مع أحمد فى كلمات موجزة والخجل يكاد يعقد لسانها . .

واستطاع مراد بحاسته التى لا تخطئ أن يلم بكل شىء . . بكل مالم تصرح به عفاف . . مثل مراد تكفيه كلمة ليعرف القصة كاملة – وأخرج علبة سجائره وقدم

لها فاعتذرت فأشعل لنفسه واحدة نفث دخانها هادئا وهو يقول .

– أهذا كل ما سمحت للعبوس أن يتغلب على ابتسامتك بسببه .

وضغطت عفاف شفتيها كأنها تبذل جهدا كبيرا تغالب به دموعها وتمتمت فى صوت مرتجف :

– أنا خلاص زهقت . . زهقت . . على أخرى .

وأحس مراد إحساس المقامر الذى تحلق هو ورفاقه مائدة اللعب الخضراء . . وفجأة وجد الورق بين أصابعه كامل العناصر للكسب ولا ينقصه إلا التسلسل الصحيح ليلقى به إلى المائدة لكى يسحب كل ما عليها . ولن يفاجئه لاعب غيره بالسبق إلى الربح فالدور دوره ليلعب . .

التفت إليها وقد ارتكز بمرفقه إلى عجلة القيادة وهو يقول :

– والله أحمد . . ذوق ولطيف وابن حلال و . .

فأسرعت وقالت – وكأنها تنفى عن نفسها تهمة اتهامه بعكس هذه الصفات :

– لم أقل بغير هذا يا مراد بك . . ولكن . .

ورفع إصبعه مقاطعا وهو يبتسم قائلا :

– ألم أرج منك قبلا أن تناديني باسمى مجردا .

– لا بأس . . أنى . . أنى لم أتعود ذلك بعد .

وألقى مراد لفافته بعيدا والتفت إلى عفاف بكل جسمه . . وأخذ إحدى يديها بين كفيه وهو يقول فى رقة بالغة . . رقة الأب الحنون أو الأخ الأكبر العطوف :

– عفاف . . استمعى إلى جيدا . . لا أريد أن تحملى هم أى شىء . . أى شىء . . مهما تصورت استحالة إلقاء همه على كتفى أنا . . كل ما تريدينه . . كل ما تحتاجينه . . أتوسل إليك أن تحيطينى علما به ولا داعى للاختلاف مع أحمد بين

اليوم والآخر.

وربت ظهر كفها بإحدى كفيه وهو يسألها ،

– أتسمعيننى ؟ ! أتسمعين إلى ما أقوله لك ؟

وكانت دموعها قد صعدت إلى عينيها . . إلى البحيرتين الصافيتين العميقتين . . وأحسن مراد بهذه الدموع تنزل كيانه ونظر إلى المتاهتين اللامعتين تحت طبقة من الدموع وشهق شهيقاً بطيئاً طويلا أعاد به بعض الهدوء إلى نفسه وردها عن الإقدام على حماقة كان على وشك الإقدام عليها . . لقد كاد يفقد السيطرة على أعصابه ويخطفها بين ذراعيه ويلتقط هذه الدموع عن خديها وأسفل عينيها بشفتيه . . ولكنه اكتفى بأن قرب وجهه من وجهها وهو يسألها فى عتب رقيق :

– تبكين ؟

– أبدا . .

ومد أطراف أصابعه إلى تحت عينيها فأزال بها قطرات الدموع التى تجمعت بين أعلى الخدين وأسفل العينين وهو يقول :

– هكذا ؟ ؟ أهناك مايساوى قطرة من هذه الدموع الغالية يا عفاف .

فقالت فى صوت خال من الحياة :

– لم تعد غالية .

وأحس مراد أن الحديث باب فتحته الظروف أمامه . . وأن عليه أن يحرص على أن يبقيه مفتوحا هكذا . . دائما . . وكمن يضع قدمه أو جسما صلبا فى فرجة الباب المفتوح حتى لا يغلق أبدا . . قال وكأنه يداعبها :

– لم تعد غالية رهان إذن بينك وبينى . . سنجرى مزايدة عليها وسنرى أن كان الناس سيتضاربون عليها بالألوف أم لا .

وضحكت عفاف ضحكة مغتصبة . . وأتم مراد قوله بنفس الصوت الضاحك كأنه يداعبها :

– أنا شخصيا على استعداد لأن أبدأ المزايدة بمائة جنيه .

كان يحاول أن يضحكها توطئة لخطوة أخرى . . وقد نجح فى إضحاكها فأسرع قائلا :

– هذه هى الضحكة التى كنت أريدها .

وبنفس البساطة التى كان يتحدث بها . . وضع أصابعه تحت ذقنها الناعمة اللطيفة وهو يقول كمن يحدث طفلة :

– الله . . أرينى هذه الابتسامة الحلوة . . انظرى . .

وحول المرآة الصغيرة المعلقة أمامه فى السيارة نحوها وهو يقول :

– انظرى . . انظرى هذه الابتسامة المضيئة . . أن الشمس تشرق بعد غيم طويل . . كم تساوى هذه الابتسامة ؟ ما تساوى طلعة الشمس بعد يوم قمطرير من أيام أمشير .

وضحكت عفاف من قلبها . . كانت فى حاجة لمن يحدثها وتتحدث إليه . . وضرب مراد الحديد محميا . . وبنفس الصوت الضاحك وكم يداعبها :

– السجع بين قمطرير وأمشير غير مقصود . . قبل أن أنسى . . هل أستطيع أن أسألك مكرمة ؟

– يا سلام . . أنت تأمر .

– العفو . . أنى لا أرجو كثيرا . . كل ما أرجوه أن تسمحى لى أن أراك كلما كنت ذاهبا لقضاء أمر من الأمور . . أعنى قبل أن أذهب لقضائه .

– لست أفهم .

– لا يمكنك أن تتصورى كيف حالفنى التوفيق فى المهمة التى سافرت إلى الإسكندرية أمس لإنهائها . . كنت أقدر لها يومين فتمت فى دقائق .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– الحمد لله .

– إنى أرد هذا التوفيق إلى حسن طالعك .

– طالعى أنا ! وكيف !

– كنت آخر مخلوق قابلته قبل سفرى . . وكنت طول الطريق أقول لنفسى سأرى وجه عفاف وتأثيره على إتمام ما أنا ذاهب لإتمامه . . وبينى وبينك . . لم يكن لدى أى أمل فى النجاح . . فما راعنى إلا والرجل الذى سعيت إليه من القاهرة . . يسعى هو إلى لينهى المهمة فى دقائق .

– مدهش .

– أليس كذلك ؟

– طبعا .

– لا تتصورى كيف أصبحت أتفاءل برؤياك . . مرة بعد مرة . . ستصبحين ضرورة لى . . أعنى لإنهاء كل ما يعرض لى من شئون . . ومن أجل هذا فإن لك عندى الحلاوة .

وأخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية وفتح حقيبة يدها وأسقطها فيها بهدوء .

– ما هذا ؟ مستحيل يا مراد بك .

– بسيطة جداً يا عفاف هانم هذه مائة جنيه جهزتها لك «حلاوة» مهمتى فى الإسكندرية .

– مئة جنيه ! ! !

– وما مئة جنيه ؟ ؟ وهذه الدموع التى شاهدتها الآن على خديك . . ألا تساوى مائة جنيه .

وكأنه أراد أن يوحى إليها بألا تأخذ المسألة مأخذ الجد فتهون من شأنها فقال وكأنه يداعبها :

– أنا دائما سعيد الحظ . . لحسن حظى أن الميدان خال أمامى ممن قد يرفعون السعر فيشعلونها مزايدة تصل إلى الآلاف .

ثم بلهجة جادة تفيض حنانا وتأثرا :

– هذه الدموع لا أريد أن أراها مرة أخرى يا عفاف . . لا أريد أن أراها أبدا . . ووضعت أصابعها على حقيبة يدها تريد أن ترد له الأوراق المالية وهى تقول فى صوت هامس :

– أرجوك .

فأسرع يضع يده على يدها قبل أن تمتد داخل الحقيبة وهو يقول وقلبه فى عينيه :

– أنا الذى أرجوك . . سأتشاءم لو حاولت ردها لى . . أرجوك . . لا تحرمينى حسن طالعك هذا . . أتركيه يرعانى دائما فيبارك كل خطواتى .

وأحست عفاف بالحيرة . . ومن عجب أنها لم تحس بالحرج .

ولم الحرج ! !

إن مرادا أهداها وأهدى زوجها ما قيمته أضعاف أضعاف هذا المبلغ . . وأمس فقط . . سأله زوجها خمسين جنيها فأعطاه مائة . . هى نفسها تحمل صكا أبديا قيمته مائة جنيه أخرى . . وهذا الصك فوق لحمها . . أثر الجراحة التى

أجريت لها صيف العام المنصرم . . هذه المائة جنيه التى أسقطها فى حقيبة يدها الآن ليست بالشىء الجديد عليها إذن . .

- ولكن أحمد . .

قالتها همسا . . فى غير استفهام ولا تساؤل . . قالتها لا شعوريا وكأنها تستنجد بمراد ليهديها لما يجب أن تأخذ به الأمر فأسرع بنجدتها محاولا تبسيط ما قد يجسمه لها خيالها . . كان على تمام الثقة بأنها المرة الأولى فى حياتها التى تقبل مالا من رجل غريب وبطريق مباشر لا يحتمل تفسيرا آخر . . فقال وكأنه يعقد معها محالفة بسيطة :

- لا لا لا . . لا داعى أبدا لأن يعرف أحمد . . هذا شىء بيننا فقط . . أنت وأنا . . أنت تعرفين أحمد وشدة حساسيته .

وأضاف وكأنه يقرر حقيقة لا تقبل المناقشة :

- أحمد أخى وأنا أعرف الناس به . . دعى كل شىء بيننا .

وخفضت عينيها الساحرتين وهى تقول فى حيرة وتردد :

- فى الحقيقة . . أنا . . أنا لا أدرى ماذا أقول ! !

وربت خدها بأطراف أصابعه وهو يقول :

- لا تقولى شيئاً . . أنا آبيه مراد كما اتفقنا . وأنت قطتى الصغيرة . . أختى الصغيرة . وأنا مسئول عنك .

وبيده الأخرى ربت ظهرها فى حنو . . وبحركة هادئة - أجمل ما يكون الهدوء - طبيعية - أصدق ما تكون الطبيعة - مال برأسه ومس خدها بشفتيه كما لو كانت طفلة فى الثامنة .

ولم تنفر عفاف من قبلته الخفيفة السريعة . . لقد رأتها أو اعتبرتها شيئا مكملا لما

أبداه نحوها من رقة وعون جميل مس بها جميعا نفسها . . أعماق نفسها . . وجذب من جيب صدره منديلا من تيل سويسرا النادر قدمه لها وهو يقول مبتسما :

– امسحى دموعك .

وتناولت المنديل منه . . وجففت به دموعها ثم ردته له وقد عادت ابتسامة القطة إلى وجهها . . ورد مراد المنديل إلى جيبه وهو يقول .

– هذا المنديل لن يغسل بعد ذلك أبدا . . سأحفظه عندى بهذه الدموع مدى العمر . . وأدار محرك السيارة وهو يقول :

– يحسن أن أذهب بك إلى بيت الشقيقة قبل أن يسرقنا الوقت .

– لا ضرورة لأن تحملنى إلى الباب . . سأبرح العربة عند أول الشارع الذى يقع به بيتها .

ودار مراد بالسيارة ثم استقام فى الشارع الهادئ . . وفى الطريق قال لعفاف :

– مسألة السفر للإسكندرية لا تحملى همها .

– ماذا تعنى ؟

– لن أقول لك الآن لتكون مفاجأة لك كما ستكون مفاجأة لأحمد .

– لست أفهم .

– أنت وأحمد فى البيت بعد ظهر الغد ؟

– طبعاً .

– سأحضر إليكما فى تمام الساعة السابعة مساء . . اجتهدى أن تثيرى مناقشة أمر سفركما قبل هذا الموعد بدقائق . . أريد أن أضغط جرس الباب والمناقشة قائمة . . ليس من الحكمة أبدا أن تكون مناقشة عاصفة . . بل محاولات هادئة منك لإقناعه ببذل الجهد لتيسير سفركما للاصطياف .

– ماذا ستصنع ؟

– دعي كل شيء للغد . . إن كل كلمة ستكون أمام أحمد . . وأنا أريد أن تكون مفاجآتك طبيعية لا افتعال فيها . . وإذا أخبرتك الآن فقد يبدو عليك ما قد يشي باتفاقنا السابق وهو ما يجب أن نحرص على أن يظل سرا بيننا .

وبانت علامات الحيرة على وجه عفاف . . كان يبدو كمن يتكلم بالمعادلات والرموز فنظر إليها مبتسماً وهو يقول :

– لا تتعبي هذا الرأس الجميل بالتفكير . . سيكون لك كل ما تريدين .

وخفضت رأسها وعضت شفتها السفلى بأسنانها كطفلة وعدتها أمها بهدية من الشوكولاتة .

وعند أول الشارع الذى تسكن شقيقتها أمينة أحد بيوته . . أوقف مراد السيارة وفتح الباب المجاور لها . . ومدت له يدها مودعة فرفعها إلى شفتيه . . ولأول مرة لم يقبل ظهر يدها . . بل قبل كفها المعطرة وهو يقول :

– مع السلامة . . إلى الغد . . فى السابعة مساء .

وهمست مؤكدة :

– إلى الغد .

وقبل أن تبرح السيارة قال لها :

– أمينة هانم تسكن هذا الشارع ؟

– نعم .

– اتعرفين أين نحن الآن من بيتى ؟

– لست خبيرة بشوارع الزمالك . . فلست من أهلها .

– ستكونين سيدة أهلها جميعا . . قريبا جدا ستنتقلين إليها . . بهذه المناسبة . .

بيتى فى الشارع الخلفى لهذا .

– لم أكن أتصور هذا .

– إلى اللقاء .

– مع السلامة .

وانطلق مراد بسيارته . . وسارت عفاف متجهة فى شارع نهاد إلى بيت أختها أمينة .

* * *

٢٣

راحت عفاف تدور بين غرف مسكنها كالطائر الحبيس . .

فى هذه الغرفة تقضى لحظات تهب بعدها نافذة الصبر إلى غرفة غيرها . . تفتح النوافذ كمن تتنسم رائحة الهواء فلا تجدها فتعود فتغلقها ثانية وتخرج إلى ردهة المسكن المقبضة ذات البلاط الكالح الذى عجز أحمد عن إقناع صاحب البيت بتغييره . . ولا تمضى فى الردهة دقائق حتى تبرحها إلى الشرفة الضيقة المطلة على الشارع التعس . . شارع شنودة . .

وكان أحمد يراقبها ويحس بضيقها وزهقها وتبرمها ويحاول أن يزيل بحديثه عن نفسها بعض ما بها .

– مالك ياعفاف ؟

قالها وقلبه يطل من عينيه . . وكانت قد عادت من الشرفة إلى ردهة المسكن وجلست إلى أريكة فى أحد جوانبها وجلس أحمد قريبا منها وأخذ إحدى يديها بين يديه وهو يكرر سؤاله :

- مالك ياعفاف؟ أراك عصبية . .

- الحر يا أحمد . . وهذا المسكن بوجهتيه القبلية والغربية . . لا نسمة ولا هواء . . وشرفته - والمفروض أنها متنفسه الوحيد - ألعن ما فيه . . لقد كرهت هذا المنزل . . الشارع كله . . شبرا كلها . . لم لا نحاول الانتقال قريبا من أمينة وكمال . . السهرة فى شرفتهما أمس كانت تطيل العمر .

وأودع أحمد كل رقته وحنوه وحبه فى كلماته وهو يقول :

- ياعفاف . . أمينة وكمال لم يصلا إلى ما هما فيه فى غمضة عين . . إنه مجهود سنين طويلة من السهر والمرارة والحرمان . . فكرى معى قليلا ياعفاف . . أنترك مسكننا هذا وإيجاره خمسة جنيهات شهريا لنسكن بثلاثين؟ أناشخصيا أتمنى أن أسكنك قصرا . . أقسم لك أننى عندما دخلت منزل مراد ليلة أن دعانا وشاهدت هذا الجمال الذى لا ينسى . . أقسم لك أننى ابتهلت إلى الله فى سرى داعيا أن يعطينى ويرزقنى بما يهيئ لى أن أعد لك مسكنا كهذا المسكن .

وكانت الساعة فى معصم عفاف تشير إلى السابعة إلا دقيقتين . . ومرت لحظة صمت قصيرة قالت بعدها - وكأنها تحمل هموم الدنيا كلها فوق كتفيها :

- كلما تصورت أنك ستبدأ عطلتك من أول مايو وأننا سنمضى هذين الشهرين فى هذا الفرن المشتعل . .

وعاد يعصر كفها بين يديه وهو يذيب قلبه فى كلماته :

- والله يا عفاف . . أنت لا يمكنك أن تتصورى ما يفعل كلامك هذا بى . . إنى أتمنى أن أصحبك إلى الخارج . . إلى أوربا لا الإسكندرية وحسب . . ولكن . . أنت تعرفين كل شىء . . لقد سددت اليوم كل ما كان علينا من ديون من الخمسة والخمسين جنيها التى تبقت من المائة جنيه التى تركها مراد معك أول

أمس . . إن العقدة كلها فى أجر الإقامة هناك . . الفنادق أو المساكن التى تؤجر فى شهور الصيف . . والمرتب لا يفى بها إلى جانب نفقاتنا اللازمة لنا طول الشهرين .

- أو نظل على هذه الحال يا أحمد .

- ربك كبير ياعفاف . . إنى أفكر جديا فى الاستقالة والاشتغال بالمحاماة .

- متى ؟

- إنها تحتاج شيئاً من الجرأة وقدرا من المال لتأثيث مكتب فى قلب المدينة ومرتب الوكيل والضارب على الآلة الكاتبة . . ويجب أن يعد المبتدئ نفسه لشهور قد لا يقصده فى خلالها عميل واحد . . إنها طريق شاقة ياعفاف . . وأنا أعرف عددا من المحامين طلقوا المهنة والتمسوا إحدى وظائف الحكومة .

وراحت عفاف تعبث بمسمار ساعتها حول معصمها وهى تقول :

- إن أمينة لن تلبث أن تسافر إلى أوربا مع كمال . . كلها شهر ويطيران إلى هناك ونحن هنا لا نستطيع السفر إلى الإسكندرية لأن نفقات الإقامة تعجزنا . .

وهم أحمد أن يقول شيئاً . . ولكنه توقف عن الحديث فقد أز الجرس فى ردهة المسكن فقام ليفتح الباب . . وفى نفس اللحظة ، بدأت الساعة المعلقة على الحائط تدق معلنة تمام السابعة . . وابتسمت عفاف ابتسامة القطة .

- مراد . . أهلا وسهلا .

قالها أحمد مرحبا فى صدق وحرارة .

وصافحه مراد . . وسحبه أحمد من يده وهو يقول :

- الحمد لله على السلامة . . متى عدت من الإسكندرية ؟

- اليوم يا أحمد .

وكان كاذبا . .

لأنه عاد أمس .

وكانت عفاف معه أمس فى سيارته .

وهو على موعد معها اليوم . . الآن . . فى بيتها . . وبوجود أحمد . . زوجها . .

ووقفت عفاف مرحبة وابتسامة القطة مازالت مرتسمة على وجهها . . وبادلته نظره ، فقد كانت تعرف أنه كاذب . . ولكنها أقرت أكذوبته . . ومدت له يدها مصافحة فرفعها إلى شفتيه ومسها بها كمألوف عادته . . وسألها برفق :

–كيف حالك ياعفاف هانم ؟

وخفضت عفاف رأسها وهى تتمتم فى صوت خفيض .

– الحمد لله .

– مالك .

– لا شىء .

والتفت مراد إلى أحمد وسأله ببساطة :

– مالها يا أحمد . . أراها غير طبيعية ؟

وأسرعت عفاف فأجابت :

– لا شىء يامراد بك .

ونظرت إلى أحمد كأنها تنهاه عن الكلام . . وابتسم أحمد وترددت نظراته بين عفاف ومراد . . فعاد مراد يسأل فى اهتمام أكثر . .

– ما الحكاية ؟ هناك شىء . . ألا يفصح أحدكما عنه .

وساد الصمت . . وتبادلت عفاف وأحمد نظرة . . وضحك مراد وهو يقول لعفاف :

- هذه نظرة تحذير خطيرة ياعفاف هانم . . ويقينى أن أحمد لن يستطيع أن يفصح لى بشىء بعدها . . فلتتكلمى أنت إذن .

وعادت عفاف إلى لهجتها المقتضبة :

- لا شىء يامراد بك .

وهنا انطلق أحمد وكأنه يتحدى تحرجها من الحديث أمام مراد . . فقال وهو يغالب الضحك :

- أنا أقول لك يامراد . . أنت لست بغريب عنا . . إنها غاضبة لأننى قلت لها إننا لن نستطيع الاصطياف فى الإسكندرية .

وسأله مراد والدهشة تملأ صوته :

- ولماذا لا تستطيع يا أحمد ؟

- يامراد . . أنت تعلم . . أن عطلتى السنوية تبدأ فى أول مايو وتنتهى فى آخر يونية . . عز الموسم . . أى مسكن فى الإسكندرية لن يقل أجره عن خمسين جنيها فى الشهر . . الفنادق أغلى وألعن . . أى غرفة لشخصين لن يقل إيجارها عن جنيهين فى الليلة الواحدة . . حاولت أن أقنعها بهذا ففشلت .

- أتسمحان لى بالجلوس أولاً ؟

سألها مراد مداعباً وكأنه يأخذ عليهما عدم دعوته ليجلس . . فصاحت عفاف :

- ياخبر . . تفضل يامراد بك . . تفضل هنا فى هذه الغرفة .

وهمت بأن تفتح غرفة الضيوف ولكنه أمسكها برفق من معصمها وهو يقول :

- سأجلس هنا . . أنا لست غريبا . . تفضلى ياعفاف هانم . . اجلس يا أحمد . . أولا أنا حران . . أتسمحين لى بأى شراب مرطب ؟

وأسرعت عفاف كطفلة طلبت منها أمها أن تؤدى مهمة تعرف أنها تستطيع

أداءها على خير وجه .

حالاً .

واختفت داخل المسكن لحظة ثم عادت تحمل صينية صغيرة أنيقة عليها كوب ملئ بعصير الليمون يبدو أنها أخرجته لتوها من الثلاجة .

– تفضل .

وشرب مراد عصير الليمون . . والتفت إلى أحمد وهو يقول :

– مسألة إسكندرية هى التى تربككما إلى هذا الحد يا أحمد ؟

وتردد أحمد فى الإجابة فتمتم قائلاً :

– والله يامراد . . إننى حائر . . أنا لا أستطيع ولا قلبى يطاوعنى أن أرد لعفاف رغبة . . وفى نفس الوقت . .

ولم يدعه مراد يتم قوله فقاطعه :

– هذه أشياء صغيرة يا أحمد . . ومن الظلم أن تكون سببا فى تنغيص هناء عروسين مثلكما .

وضحكت عفاف ضحكة خافتة وهى تقول :

– عروسان ! ! لقد طال بنا العهد يامراد بك .

– من تتزوج أحمد . . تظل عروسا دائماً ياعفاف هانم .

وأحس أحمد أن التحية له فردها إلى زوجته قائلاً :

– العكس هو الصحيح يامراد . . من يتزوج عفاف يظل عروسا إلى الأبد . . حياته معها شهر عسل دائم .

وردد مراد نظراته بينهما ثم قال – والابتسامة الآسرة تشرق فى وجهه :

– ربنا يحفظك لها يا أحمد ويحرسها ويحميها لك من كل شر .

– شكرا يامراد . . هذه أجمل دعوة .

واعتدل مراد فى جلسته وأخرج من جيبه حلقة صغيرة تضم عدة مفاتيح راح يعالجها بأصابعه وهو يقول :

– مسكنى فى الإسكندرية لم تطأه قدماى منذ العام الماضى وهو فى حاجة لمن يفتح بابه ونوافذه لتنظيفه وتلميعه وإدخال الشمس فى حجراته وإزالة رائحة الإهمال منه . . وهذا مفتاحه .

ووضع مفتاحا صغيراً على الصينية التى أمامه .

وتبادل أحمد وعفاف نظرة وهتف أحمد :

– مراد . .

ولم يجبه مراد . . بل راح يعالج حلقة المفاتيح ثانية وهو يقول :

– والكابينة على شاطئ جليم . . شرحه . . وهى كابينة خاصة . . خاصة بى . . أنشأتها بذوقى ومن حر مالى . . أعنى ملكى وليست ملكا للبلدية . . وهذا مفتاحها . .

ووضع على الصينية مفتاحا آخر أكبر قليلا من مفتاح المسكن .

– ولكن أنت يامراد .

قالها أحمد مزيجا من الحيرة والبهر والسرور والإعجاب والتحرج والخجل . . هذا . . بينما كانت عفاف تعصر أصابعها انفعالا وقد تضرج وجهها بلون الورد .

وأخرج مراد من جيبه بطاقة صغيرة وقلما من الذهب وراح يكتب وهو يجيب عن سؤال أحمد .

– أنا قائم غدا إلى لبنان . . سأمضى هناك قرابة عشرين يوماً أعود بعدها لمباشرة بعض أعمالى هنا فى العزبة ولإعداد بعض أوراق خاصة بالشهر العقارى .

ورفع رأسه عن البطاقة التى كان يكتبها وقدمها لأحمد وهو يقول :

– هذا عنوان مسكنى فى الإسكندرية ورقم الكابينة بشاطئ جليم . . معروفة هناك كالشمس .

ودق أحمد كفا بكف وهو يقول :

– والله يامراد . . أنا لم أر مثلك فى حياتى : إنى لا أعرف كيف أعبر لك عن شكرى . . بل إن كلمة الشكر ذاتها تحس فى هذا المقام بقصور معناها عن الوفاء بما أريد أن أعبر عنه .

وابتسم مراد وهو ينظر إلى عفاف . . وعض شفته السفلى وأغمض إحدى عينيه وهو يقول لها :

– زوجك ياسيدتى يريد أن يقتلنى خجلا . . فرديه عنى . . بحياتك .

ثم التفت إلى أحمد وقال :

– يارجل . . لا تقل هذا فالعمر لا يتسع له . . إننى قادم إلى لبنان . . والمسكن والكابينة أقسم لك أننى لم أخط عتبتيهما من العام الماضى . . ومن الضرورى أن يذهب إليهما إنسان ليفتحهما وليعيش فيهما بعض الوقت . . وهذه فرصة . . إنها خدمة كبرى تقدمانها لى . . إذهبا واصطافا وتمتعا . . وسآمر سيد السائق الآن أن يحملكما بالسيارة يوم سفركما . . أهذه مسألة تحملى همها ياعفاف هانم ؟

وكانت عفاف – إلى هذه اللحظة – صامتة لا تدرى ماذا تقول . . إن هذا الرجل يزلزل قلبها وعواطفها وكيانها كله . . فلم تزد على أن رفعت إليه عينيها الصافيتين . . ولكنها لم تلبث أن خفضتهما فى الحال فقد التقتا بعينيه وأحست أنهما تقولان لها شيئا فى خفوت وهمس . . ولكنها – برغم ذلك – تسمعه بعينيها وتراه بقلبها – وقطع أحمد عليها خيط أفكارها إذ سأل مرادا .

– متى تعود من لبنان يامراد ؟
– بعد ثلاثة أسابيع تقريباً . . وبمجرد عودتى سأحضر لأراكما فى الإسكندرية .
– ونهض مراد واقفا فوقف أحمد وعفاف وقالا معا :
– بدرى .
– بهذه السرعة ؟
– مضطر والله يا أحمد . . هناك بعض إجراءات يجب أن أقوم بها وبعض أوراق لا مفر من إعدادها وسيستغرق هذا منى سواد هذه الليلة تقريبا . . وفى الفجر تحملنى الطائرة من مطار القاهرة . . سنلتقى فى الإسكندرية . . إلى اللقاء .

وعانق أحمد . . وبادله أحمد قبلاته . . ثم مد يده مصافحا عفاف . . ولأول مرة تحس عفاف وهى تصافحه أن كفه وأصابعه تعانق كفها وأصابعها فى حنو وشوق . . إن شفتيه قد انتقلتا إلى كفه وأطراف أصابعه . . ورفع يدها إلى شفتيه كالعادة وقبلها قبلة سريعة خاطفة وهو يقول :

– إلى اللقاء .

وقبل أن يبرح المسكن انتحى بأحمد ركنا من ردهته وهو يقول لعفاف مبتسما :

– عن إذنك ياعفاف هانم . . كلمة سر بينى وبين أحمد . . أظن من حقى أن أقول لصديقى كلمة سر . . أم هناك أى مانع ؟

وابتسمت عفاف وهى تراه يسحب أحمد من يده . . وراحا يتهامسان بما لم تسمعه .

مراد يقول شيئا وأحمد يجيبه باهتمام مؤيدا إجابته بإشارات من يديه . . وتكرر الهمس وتكررت الإشارات لمدة دقيقة . . ثم رأت مرادا يربت كتف أحمد فى مودة صادقة . . واقتربا منها . . ثم ودعها مراد مرة أخرى وبارح المسكن .

– خمنى ياعفاف . . ما هى (الكلمة السر) التى انتحى مراد بى جانبا ليهمس لى بها .

ومطت عفاف شفتيها وهى تقول :

– لا أدرى . . ترى ما هى ؟

وكانت كاذبة .

وكانت تعرف بغريزتها ماذا قال مراد لأحمد . . ومع ذلك فقد تجاهلته . . ألا يجوز أنها أخطأت التخمين ؟

– لقد سألنى إن كنت بحاجة لمزيد من النقود للاصطياف . . وألح على فأفهمته أن معنا ما يكفى . . وأن العقدة كلها كانت فى نفقات الإقامة وقد حلها وجود مسكنه بالإسكندرية .

وكان هذا ما حدسته عفاف بالحرف الواحد . . وأضاف أحمد قائلاً :

– إنه مجنون . . مراد هذا .

– إنه يعيش حياته عرضا لا طولا كما قلت يا أحمد .

– تمام يا عفاف . . يعيش حياته عرضا لا طولا وثراؤه يسانده .

واحتواها بين ذراعيه . ثم راح يقبل شفتيها وعينيها وخديها وشعرها وكل ما تقع عليه شفتاه منها وسألها :

– سعيدة .

– جدا . . الحقيقة مراد لطيف وكريم . .

وأسرع أحمد وكأنه يؤكد حقيقة لا تقبل المناقشة .

– إنه صديق العمر ياعفاف . . كان دائماً حلال المشكلات لكل زملائه وأصدقائه .

ومرت لحظة صمت قصيرة قال بعدها بلهجة جادة :

- إننى مدين له الآن بمائتى جنيه . . المائة التى استنفذتها جراحتك صيف العام الماضى . . وهذه المائة التى أحضرها منذ يومين .

ونكست عفاف رأسها . .

إن أحمد لا يدرى أن مرادا أعطاها مائة أخرى فى مثل هذه الدقيقة من يوم أمس . . فى سيارته . . عند رأس جزيرة الزمالك . . وسمعته يقول فى صدق وإخلاص وحرارة :

- لابد أن تأتى فرصة أستطيع فيها أن أسدد له دينه على . . ستأتى الفرصة حتما .

ولم تزد عفاف على أن قالت :

- إن شاء الله يا أحمد .

٢٤

شاطئ جليم بالإسكندرية . .

والأيام الأخيرة من شهر مايو تتتابع مسرعة لختامه . . .

والساعة الثانية عشرة ظهرا والشمس تلهب الأجساد العارية مستلقية فوق الرمال أو سابحة فى الماء .

وعفاف . . .

وعفاف راقدة على بطنها بثوب الاستحمام تحت المظلة الكبيرة لتتقى ضراوة الشمس الحارقة . . كانت قد بسطت منشفة ثقيلة جعلتها بين جسمها ورمال الشاطئ حتى لا تلهبها حرارة الرمال . . واعتمدت بخدها ونصف ذقنها على وسادة صغيرة طوقتها بذراعيها العبلتين .

ونست – أو لعلها لم تهتم – وقد أجهدتها السباحة – أن تستر فخذيها من مفصل الركبتين إلى ردفيها . . فكانت شيئاً فذا فريدا بين المستلقيات فوق الرمال .

كانت كالجسم الممغنط . . يجتذب كل ما حوله من الدبابيس الرفيعة . .

وكانت نظرات الرجال – والنساء معا – هذه الدبابيس الرفيعة الحادة الجارحة . مصيبتها أنها لم تكن ترى فى رقدتها هذه شيئا غير مألوف . . فكل الفتيات الجميلات يرقدن مثلها . . لكنها لم تكن تدرى أنها على فتنة من نوع شاذ غريب طاغ غير مألوف . . كانت ترى نفسها مجرد فتاة جميلة يعج الشاطئ بمثات مثلها . . وكان إحساسها هذا وانعكاسه العادى المألوف على كل تصرفاتها جزءا من جمالها .

وراحت تفكر – والخدر يسرى إلى جسمها العارى بعد أن جفت المياه عنه – فى مراد . . أنه لم يعد من لبنان بعد . . اليوم هو التاسع والعشرون من مايو وكان مقدرا أن تكون عودته فى حدود اليوم الخامس عشر منه . . فلم تأخر ؟ ولم لم يكتب لأحمد ؟ إنها تمضى الآن أجمل وأمتع صيف أمضته فى حياتها . . أجمل وأمتع من الصيف الأول لزواجها . . فهذا المسكن الرائع الذى يستأجره مراد بصفة دائمة صيفا وشتاء . . وهذه الكابينة الساحرة التى تغرى بالإقامة فيها ليلا ونهاراً . . لكم تمنت أن تبيت فيها ليلة . . تستمع فى خلالها إلى هدير الموج الذى لا ينقطع . . إنها لم تكن تدرى أن هناك مثل هذا الترف . . هذه هى الحياة التى تريد أن تحياها . . هذه هى الحياة الجديرة بأن يحياها الإنسان .

إن مرادا رجل ساحر ما فى ذلك شك . . إنه قادر . . قادر على كل شىء . . لم تتمن أمنية إلا حققها . . ولم تشته شيئا لم ينلها إياه . . إنه حلال المشكلات . . والتعبيرات أيضاً لزوجها وليست لها . . وإنه لعلى استعداد لأن يفعل من أجلها أكثر مما فعل . . هى تعرف هذا وعلى ثقة تامة منه . . لقد قال لها ليلة أن كانت فى سيارته عند رأس جزيرة الزمالك :

– ستكونين سيدة أهل الزمالك جميعا . . ستنتقلين إليها قريبا .

ولكن كيف ؟ ؟

آه . .

آه لو يتاح لها الانتقال إلى هذا المسكن الأنيق ذى الغرف الثلاث والشرفات الواسعة فى شارع ساليريرى بالزمالك . .

وتركت أفكارها تحملها وتذهب بها إلى مختلف الآفاق . . وكان وجهها يتأثر ويتلون ويبتسم ويعبس وترتسم فوقه أصداء الانفعالات التى تعتمل فى نفسها .

كل هذا دون أن تدرى أنه . . وصل .

وصل . . ويقف عند قدميها تماما وهى لا ترى ظله فتتنبه لوجوده لأن ظله كان خلفه لا أمامه .

وصل ويقف عند قدميها تماما وقد راح يتأمل هذا المخلوق الكامل . . وأحس أنه لو أمضى العمر واقفا يتأمل عفاف راقدة فوق بطنها بثوب الاستحمام لانقضى هذا العمر كما تنقضى طرفة عين أو خفقة قلب . .

كان يراها داخل ثيابها باهرة الجمال كاملة التكوين . . وهو يعلم أن الثياب كثيراً ما تخفى العيوب وتجمل صاحبتها . . ولكنه لم يكن يتصور أبدا أن يخلق الله امرأة هكذا كما خلق عفاف .

واستنجد بكل قواه ليتحكم فى أعصابه . . واكتشف أنه لن يستطيع أن يطيل الوقوف هكذا فهو يحس أنه يرتد سريعا سريعا إلى سن المراهقة . . السنون تعدو به وتجره فى عجلتها فى غير رحمة إلى سن البلوغ بكل نارها وضراوتها وانفعالاتها . . فازدرد ريقه ليبلل حلقه الذى جف حرارة وسعارا . . وجاهد ليبدو صوته هادئاً وهو يقول :

– فى حياتى كلها لم أر الشاطئ أجمل مما هو اليوم وأنت فوق رماله . . وأدارت عفاف وجهها لتراه فى مكانه . . عند قدميها الصغيرتين . . وانتصبت . . غزالا

صغيرا جميلا وشعرها الأسود اللامع الغزير يحتضن وجهها ويقبل كتفيها وعنقها وما بين نهديها . . وارتسمت ابتسامة القطة على وجهها وهى تهتف وقد بان أثر المفاجأة فى صوتها .

– مراد بك .

ومدت له يدها . . فقبض عليها بكفيه وهو يقول .

– سأناديك بعفاف فقط حتى تنادينى باسمى . . كيف أنت ياعفاف ؟

– الحمد لله على السلامة أولا .

– الله يسلمك .

– متى عدت من لبنان ؟

– أمس فقط . . وصلت القاهرة . . وجئت اليوم لأراكما ولكى أطمئن على راحتك فى المسكن والكابينة . . أرجو أن يكونا أعجباك .

واتسعت ابتسامة عفاف وهى تقول :

– ياه . . إننى . . إننى لا أدرى ماذا أقول . . هذا شىء فوق المعقول وكان مازال قابضا على يدها بين كلتا يديه . . فقال وهو يبتسم :

– هناك دائماً ما تريدين قوله . . لا تقولى شيئا ياعفاف . . خبرينى أولا . . كيف أنت ؟

– الحمد لله . .

– وأحمد . . أين هو ؟

وحولت عفاف وجهها إلى جهة البحر الذى يزخر بألوف المستحمين وقالت :

– إنه لا يزال فى الماء .

– أعجبك المسكن والكابينة ؟

– إنه شيء لم أكن أتصوره . . الذوق الذى أثث مسكن الزمالك هو هو الذى أثث مسكن الإسكندرية . . ثم الكابينة . . أهذه كابينة للشاطئ والاستحام أم . أم ماذا لا أدرى كيف أسميها .

وأخذها من يدها برفق وهو يقول :

– تعالى . . أريني مافعلت بها . . لابد أن الأتربة كانت بها أكواما فإنني لم أفتحها منذ العام الماضى .

وسارا جنبا إلى جنب متجهين إلى الكابينة .

– أوحشتنى ياعفاف .

قالها وهو ينظر إليها مبتسما . .

كان يتأمل هذا القوام النادر . . صدرها يكاد يمزق ثوب الاستحام الملتصق بجسدها ردفاها يتهاديان دلالا مع كل خطوة تخطوها . . قدماها – وقد انتعلت حذاء خفيفا من المطاط لحمايتهما من الأجسام الصلبة فى قاع البحر – تغوصان فى الرمال فتحاول أن تتفادى هذا فتجعل خطوها فوق أطراف أصابعها فتبرز فخذاها مع كل خطوة مستويتين مصقولتين لامعتين يتفجر منهما السحر والصحة والنضارة والشباب .

وابتسمت عفاف وهى تجيبه :

– أنت أكثر .

وكان يحب هذه الإجابة منها . . فسألها :

– صحيح ؟

– طبعا . . كما أوحشناك أوحشتنا وأكثر .

ونظر إلى ثوب الاستحام الجميل الذى ترتديه وهو يقول :

– هذا الثوب فى لون عينيك تقريبا . . أهو اختيارك أم اختيار أحمد .
– أهو حقا جميل ؟
– آية فى الجمال . . خصوصا عليك .
– شكرا . . إنه اختيارى أنا . . أحمد يترك لى دائماً اختيار هذه الأشياء .
– إنه على ثقة من جمال ذوقك . . بهذه المناسبة . . ما أخباره ؟

ومالت عفاف برأسها قليلا ومطت شفتيها السفلى وهى تقول وقد راحت تنظر إلى قدميها تقتربان بها من الكابينة خطوة بعد أخرى :

– لا جديد تقريبا . . يئست من إقناعه بالانتقال من شبرا لنسكن الزمالك . . قريبا من أختى . . أقل مسكن هناك لا يقل إيجاره عن خمسة وعشرين جنيها . . والمساكن الأخرى ذات الإيجار القديم المنخفض يشترط أصحابها سداد ثلاثمائة جنيه قبل السكن . . وربما أكثر .

وكانا قد أصبحا أمام باب الكابينة فأدارت عفاف مقبضها ودفعت الباب وهى تقول له – وابتسامة القطة فوق وجهها :

– تفضل .

وأشار لها بيده إشارة رشيقة وهو يتأخر للوراء خطوة وقال بالفرنسية :

– تفضلى أنت . . السيدات أولا .

ودخلت عفاف . وتبعها مراد . . وأغلق الباب وظلا واقفين خلفه . . وسألها متمما حديثه :

– هل وجدت فى الزمالك مسكنا أعجبك ؟

– فى شارع ساليريرى مسكن فى منتهى الجمال . . فى الطابق السابع . . أجرته سبعة جنيهات وخمسة عشر قرشا . . إنه فرق لا يذكر إذا قيس بمسكننا الحالى فى

شبرا وأجرته خمسة جنيهات وبضعة .

– أعجبك .

– جدا .

– تنتقلان إليه إذن .

وخفضت عفاف رأسها فانسدلت خصلات شعرها الأسود الجميل فأحاطت بوجهها . . مد مراد يده برقة إلى ذقنها ورفع وجهها إليه . . وقال بلهجة من يعرف وقع كلامه فى أذنى سامعه .

– تنتقلان إليه إذن ياعفاف . . . لماذا سكت ؟

– المالك يطلب ثلاثمائة جنيه خلو رجل . . وأحمد بطبيعة الحال

ولم تتم قولها . . ولكن مرادا التقط طرف الحديث من شفتيها فسألها :

– أحمد رأى هذا المسكن ؟ يعرف عنه أى شىء ؟

– أبدا لأنى أعرف ألا فائدة من الحديث .

وتغيرت لهجة مراد فبدأ يتكلم كأستاذ يلقى محاضرة قصيرة يرجو أن تنطبع فى أذهان طلبته بمجرد إلقائها .

– اسمعى إذن وافهمى ما سأقوله لك جيدا . اتصلى أنت بصاحب البيت واتفقى معه على أنك ستعطينه القيمة التى يريدها – وهذا سر بينك وبينه – لأن زوجك لا يقر مبدأ سداد ذلك الذى يسمونه « خلو رجل » .

– يعنى أقول لأحمد إننى وجدت فى الزمالك مسكنا بإيجار ما قبل الحرب وبدون خلو رجل ؟ وفكر مراد قليلا ثم قال :

– لا بأس من أن تقولى له إن المطلوب مبلغ صغير . . عشرون أوثلاثون جنيها مثلا كى لا تكون هناك أية شبهة أو شك . . وتكونين أنت قد سددت فعلا للمالك

البيت سرا فرق القيمة . . مائتين وسبعين أو مائتين وثمانين جنيها . . ومسألة العشرين أو الثلاثين جنيها أمرها بسيط . . يمكنك أن تقولى لأحمد أنك ادخرتها من نفقاتكما الشخصية . . ثم أعطها له ليعطيها بدوره لصاحب البيت .

وعصرت عفاف كلا من كفيها بالأخرى وهى تقول :

- أنت تتكلم بكل بساطة يا مراد بك .

- مراد فقط من فضلك .

- أنت تتكلم بكل بساطة يامراد فقط وقد نسيت شيئا مهما .

وضحك مراد وهو يسألها :

- وما هو ياعفاف فقط ؟ .

- وكيف ومن أين سأسدد للرجل مائتين وسبعين أومائتين وثمانين جنيها ؟

ولم يتكلم مراد . . ولكنه أخرج من جيبه دفتر الشيكات وحرر واحدا منها « لحامله » بمبلغ ثلاثمائة جنيه .

وهتفت عفاف فى صوت خفيض مبحوح .

مراد بك . . ما هذا ؟

- ألم أقل لك ستكونين سيدة أهل الزمالك جميعا . . هذه هى الثلاثمائة جنيه وأسرعى باستئجار المسكن الذى أعجبك قبل أن يسبقك إليه غيرك .

وزحفت إلى وجهها علامات الخوف والحيرة والتردد وهى تقول :

- مستحيل . . مستحيل . .

وكان مراد قد طوى الشيك فصغرت مساحته إلى ربعها ثم دسه بين نهديها وهو يقول :

-كيف تقولين مستحيل يا عفاف ؟

– ثلاثمائة جنيه . . هذا كثير .

– لا شيء كثير عليك ياعفاف .

وربت خدها بكفه وهو يقول :

– ألسنا أصدقاء ؟

فرفعت إليه عينيها المذعورتين وهى تقول :

– طبعا .

وأكثر من أصدقاء .

–طبعا .

وأحاط خصرها الرقيق بكفيه وقربها منه بحركة رقيقة مهذبة وقبلها من خدها قبلة هادئة وهو يقول :

– نحن أصدقاء ياعفاف . . وأكثر من أصدقاء . . أنا نتعاون معا على صون أسرار صغيرة بيننا .

– إننى . . إننى أرهقتك كثيرا .

– لا تقولى هذا مرة أخرى .

ورفع كفيه عن خصرها .

ونحى عن جبينها خصلات شعرها التى تهدلت فوقه ثم احتواها بين ذراعيه فى حنان آسر وراحت كفاه تكويان لحمها . . ذراعيها وكتفيها . . بينما ألصق خده بخدها وهو يقول :

– لا تقولى هذا مرة أخرى ياعفاف . . ألست آبيه مراد .

– طبعا .

قالتها همسا وكأن صوتها النحيل آت من أعماق مغارة سحيقة .

– أنا آبيه مراد . . وكل شئونك أنا مسئول عنها . . لا تحملى هم أى شىء :

وكانت شفتاه تطوفان بخديها وجبينها وعينيها وشعرها . . وارتفعت كفه اليمنى إلى صدرها . . إلى الكنز الأيسر . . وهمس فى صوت خنقه الشوق الطويل :

– عفاف . . عفاف . .

وحاول أن يجمع نهدها فى كفه . . وكانت شفتاه قيد شعرة من شفتيها اللتين دوختاه عاما كاملا . . وانتفضت بين ذراعيه كالعصفور الصغير ونظرت إليه من خلال المتاهتين العميقتين نصف المغلقتين وهمست بصوت يكاد لا يسمع . .

– مرا . . .

ولم يدعها تنطق الحرف الأخير من اسمه لأنه التقطه من شفتيها بشفتيه .

– أحبك . . أحبك . . أحبك ياعفاف . . لقد عشت أسعد وأتعس عام فى حياتى . . لم أكن أدرى كيف أقول لك هذا . . ولكن . . ها أنا ذا أضع قلبى بين يديك . . عفاف . .

وجاءه صوتها نحيلا . . خافتا . . بعيدا .

– مراد . .

وعصرها بين ذراعيه وأصابعه تعبث بكنوزها الغالية . . وأحس بالحيوان الكامن يكاد يدمره وينطلق من كل مسام جلده . . ورده إحساسه بفخذيها البضتين العاريتين تلتصقان به إلى مراهق فى السادسة عشرة . . فهوى ثانية بشفتيه فوق شفتيها وراح يمتص منها الشهد مباحا صريحا .

وفجأة . . فتح باب الكابينة . . وإذا بأحمد يدخل مناديا :

– عفاف . .

وخطا إلى الداخل . . وكان قد فتح الباب إلى آخره فأخفى وراءه زوجته

وصديقه وقد تسمرا فى مكانيهما كتمثالين من الحجر :

ودخل أحمد وهو ينادى مرة أخرى :

– عفاف .

وحاولت عفاف أن تتخلص من ذراعى مراد . . ولكنه وضع أطراف أصابعه على فمها كمن يحول بينها وبين مجرد التنفس . . وظلا متعانقين متلاصقين فقد كانت أية حركة منهما كفيلة بأن تنبه أحمد لوجودهما . . كانت ضلفة الباب التى تسترهما ملتصقة بهما أو تكاد . . ولو حركت عفاف ذراعها أو لو تنفست ملء صدرها لاهتز الباب وكانت الكارثة .

وتقدم أحمد من منضدة صغيرة فى أحد الأركان والتقط آلة تصوير كانت موضوعة فوقها وراح يتأكد من سلامة وضع الشريط بداخلها ويدير فى أحد جانبيها مفتاحاً صغيراً . .

نصف دقيقة مرت بعفاف ومراد كأنها العمر بأكمله فقد أخذ أحمد آلة التصوير وبارح الكابينة . .وفى خروجه جذب ضلفة الباب بيده فأغلقه وعندئذ كادت عفاف تهوى أرضا وهى تقول :

– يامصيبتى . . أنا قلبى وقع .

وزفر مراد أنفاسه التى حبسها طوال هذه الثوانى وهو يقول :

– حصل خير . .

– أخرج حالا . . أرجوك . . انتظر أولا لنرى من نافذة الكابينة إلى أين ذهب . . يجب أن يختفى قبل أن تخرج .

وأسرع الاثنان إلى النافذة الصغيرة المطلة على الشاطئ فشاهدا أحمد يبتعد وآلة التصوير فى يده . . إلى أن التقى به صديق يحمل صندوق النرد فجذبه إلى كابينته

وفهمت عفاف أنهما سيبدآن مباراة النرد كما تعودا يوميا . . وهمست لمراد .

– دخل عند أحد معارفه . . أخرج أنت الآن يامراد .

– متى تعودان إلى القاهرة ؟

– عندما تنتهى إجازة أحمد . . آخر يونية .

– وكيف أراك ؟ .

– لست أدرى . . لست أدرى يامراد .

قالتها والذعر مازال يشيع رجفته فى صوتها ونظرة عينيها وكل أعضاء جسمها :

– سأتصل بك تليفونيا .

– ليس لدى تليفون كما تعلم .

– نسيت ياعفاف . . هذا صحيح . . اسمعى . . قدمى طلب اشتراك . . منطقة الزمالك أصبحت سهلة للمشتركين الجدد فقد زودت بأربعة آلاف خط .

– عندما أنتقل إلى المسكن الجديد .

وعاودها الارتباك ثانية كمن أحست أنها مقدمة على مغامرة أكبر وأضخم منها فهزت رأسها والحيرة بادية على وجهها وهى تقول :

– لست أدرى . . إنى حائرة . . ماذا سيقول أحمد ؟ كيف أتصرف ؟ إنى . . إنى فى شدة الارتباك يامراد . . أخشى أن تنكشف حكاية الفلوس . . الثلاثمائة جنيه قد لا أحسن ترتيبها مع صاحب البيت ويسألنى أحمد من أين لى بهذا المبلغ الكبير . . تبقى مصيبة لا أدرى ماذا أفعل . . لا أدرى .

وأحس مراد – فعلا – سهولة غرقها فى شبر ماء . . كان يبدو جليا أنها ليست مدربة . . وأنها المغامرة الأولى فى حياتها . . إنها تنتفض كالحمامة الوديعة الصغيرة وقد أطبقت عليها شبكة الصياد . . إنها ليست من أولئك الزوجات اللائى مارسن

اللعب بأزواجهن والحيلة طوع أخيلتهن يموهن بها عليهم فيلبسن الأكاذيب الفاضحة أثواب الحقائق الناصعة . . عفاف - قطعا - ليست من هذا النوع من الزوجات . . وأنها لتجربتها الأولى .

ونظر إليها مشفقا . . وأحس أنه أحبها فى هذه اللحظة أكثر مما أحبها فى أية لحظة مضت وأنه يريدها أكثر مما أرادها قبل اليوم فقال :

- اسمعى . . هذا الكلام لا يعجبنى . . دعينى أتصرف . . هذا المسكن الذى أعجبك ما عنوانه بالكامل ؟

- المبنى بشارع ساليريرى رقم ٨٥ الطابق السابع . . رقم المسكن نفسه من الطابق السابق لا أذكره الآن .

- لا يهم .

- ماذا ستفعل ؟

- سأستأجر هذا المسكن لنفسى ثم أتنازل لأحمد عنه .

- فكرة مدهشة .

قالتها . . ومدت يدها فأخرجت الشيك من بين نهديها وقدمته له وهى تقول :

- لكى تدفع لصاحب البيت .

وابتسم مراد . . وأمسك بيدها الصغيرة ورفعها إلى شفتيه . . وراح يقبلها من كل الجهات . . ظهرها وكفها وأصابعها وهو يقول :

- هل تتصورين أن أسترده منك ياعفاف ؟

- ولم لا ؟ إنك ستسدد المبلغ للمالك .

- احتفظى به لك ياحبيبتى . . إن أمامك مطالب كثيرة . . أنا سأسافر الليلة أو غداً إلى القاهرة . . وسأوقع العقد مع صاحب البيت بمجرد وصولى . . وأنت . .

بمجرد عودتك للقاهرة ، اسحبي المبلغ من البنك .

وردّ يدها بالشيك إلى صدرها وهى تقول له صادقة :

– أرجوك اقبله مني . .

ووضع يده فى يدها القابضة على الشيك بين نهديها القلقين تحت ثوب الاستحمام وهو يقول :

– وأنا بالتالى أرجوك أن تقبليه منى . . من آبيه مراد . . لا تضيعى الوقت واسمعى هذا مسكن ممتاز بطبيعة الحال .

– جدا .

– أنت إذن فى حاجة لأثاث جديد من مستوى خاص . . هذا إلى جانب ثلاجة كهربية وسخان للماء ومطهى يليق بوقوفك أحياناً فيه . . ثم سيارة صغيرة .

ولمعت عيناها وهى تقول :

– ياخبر . . ما هذا كله ؟ وأحمد ؟ ماذا يقول ؟ أنت نسيت أحمد .

– سأرتب لك كل شيء . . المهم . . لابد أن أقابل أحمد الآن لعمل التمهيد اللازم . . أأنت واثقة أن هذا المسكن الذى أعجبك مازال خاليا ؟

– لست أدرى يامراد . . لقد نبهتنى لهذا فمن الجائز أن يكون قد سبقنا إليه أى مستأجر .

– لا تهتمى . . إذا كان قد سبقنا إليه أحد . . سأبحث أنا عن غيره . . المهم ألا نتورط أمام أحمد فنتقيد بعنوان محدد قد نذهب فنجده قد شغل بسكان لا نملك إخراجهم منه .

– ما ترتيبك الآن ؟

– سأخرج وحدى . . وألتقى بكما بعد فترة . . وسأمثل أمامه أننى بحثت عنكما

طويلا ثم سأستدرجه إلى حديث السكنى والمساكن . . دعى كل شىء لى . .

ونكست عفاف رأسها وهى تقول :

– لا أدرى ماذا أقول .

ولم يزد على أن احتواها بين ذراعيه والتقط شفتيها بين شفتيه وهو يقول :

– قولى إنك تحبيننى .

– طبعا . . أحبك .

٢٥

جلست عفاف أمام الكابينة وقد ارتدت ثوبا صيفيا أبيض جميلا ودست قدميها الصغيرتين فى حذاء خفيف من القش وراحت تطرز بالخيوط الملونة قطعة من نسيج خشن مشدود على طوق من الخيرزان . . كان قلبها يخفق بشدة . . فمازالت قبلة مراد تهزها فرعا لقدم . . وكانت تتوقع ظهوره قادما مع زوجها بين لحظة وأخرى . .

وكانت تعمل لهذه اللحظة ألف حساب . . ولم تمض دقائق حتى رأتهما قادمين فوضعت الطوق الخيرزان والإبرة جانبا ونهضت واقفة

– أهلا مراد بك . . الحمد لله على السلامة .

ومدت يدها وصافحها مراد بحرارة وهو يقول :

– الله يسلمك . . أهلا عفاف هانم . . أهلا وسهلا .

– ما هذه المفاجأة . . متى وصلت ؟

وتطوع أحمد بالإجابة فقال لزوجته :

– تصورى أنه قلب الشاطئ بحثاً عنا . . إنه هنا منذ ساعة .

– ياخبر . . وأين كنا ؟

وأخرج مراد علبة سجائره فقدمها لعفاف فالتقطت منها واحدة وهى تبتسم قائلة :

– لا بأس بالتدخين الآن .

وتناول أحمد سيجارة . . وأخرج مراد القداحة المنقوش عليها اسم أحمد وأشعل سيجارة عفاف ثم سيجارة أحمد ثم سيجارته . . وسأله أحمد :

– أما زالت هذه القداحة معك يامراد .

– لم تتعطل مرة واحدة والله يا أحمد .

وأسرع أحمد إلى داخل الكابينة ليحضر مقعدين . . وفى هذه اللحظات التى غابها بالداخل سألت عفاف مرادا :

– أين وكيف تقابلتما ؟

– رابطت قريبا من الكابينة التى دخلها أحمد ليلعب النرد إلى أن رأيته خارجا فكان اللقاء .

– طبعا لم يعلم أنك قابلتنى قبل أن تقابله .

وابتسم مراد لسذاجتها . . ونظر فى عينها بحنان غريب وقال :

– أنا أكثر حرصا عليك من حرصك أنت على نفسك .

وعاد أحمد يحمل مقعدين . . فغير مراد حديثه وقال كأنه يحادث عفاف :

– لقد أمضيت ساعة فى البحث عنكما . . قطعت الشاطئ من أوله إلى آخره . . ثم ذهبت إلى الكابينة فلم أجد أحداً.

ووضع أحمد المقعدين وهو يقول :

- أنا كنت فى البحر. وعفاف كانت تحت المظلة.

وجلسوا.. ونفث مراد دخان سيجارته رقيقا خفيفا وهو يقول لأحمد:

- أرجو أن يكون المسكن والكابينة قد أعجباكما يا أحمد.

وابتسم أحمد وهو يقول: وكأنه يوزع حديثه بين مراد وعفاف.

- تصورى ياعفاف.. مراد يسألنا إن كان المسكن والكابينة قد أعجبانا.. يارجل.. هذه جنة.. كيف تهجرها هكذا؟

وألقى مراد سيجارته بين قدميه فوق الرمال وضغطها بمقدمة حذائه وهو يقول:

- مادامت أعجبتك هكذا فهى رهن إشارة منكما فى أية لحظة.. فى أى وقت من السنة.. المسكن والكابينة معا.

- شكرا يامراد.. فى الحقيقة مسكننا فى القاهرة لا يطاق فى الصيف.

ونفثت عفاف دخان سيجارتها وألقت بها فوق الرمال وهى تقول:

- أنا إذن معذورة.

- أنا معترف ياعفاف.. مسكننا حر.. حر.. هذه مسألة لا تحتاج مناقشة.. ولكن.

وأحس مراد أن الكلمة هنا له فقال لأحمد.

- يا أخى.. لم لا تترك هذا المنزل إلى آخر قريب من النيل.. الزمالك.. مثلا أو جاردن سيتى.

وتحفزت الابتسامة - ابتسامة القطة - لترتسم على وجه عفاف وهى تقول:

- والله يامراد بك.. تعبت من هذا القول.

وانبرى أحمد مدافعاً عن وجهة نظره.

- يامراد.. أترك مسكنا بخمسة جنيهات لأنتقل إلى آخر بثلاثين؟

– ولم بثلاثين يا أخى ؟

– هذا هو السعر العادى فى الزمالك . . أما المساكن ذات الأجرة القديمة . فلا أقل من مائتى جنيه تسددها للمالك قبل أن يوقع العقد معك وربما ثلاثمائة أو أربعمائة .

وسادت فترة صمت قصيرة أخرج مراد بعدها علبة سجائره مرة أخرى وقدم منها لعفاف فاعتذرت . . واعتذر أحمد كذلك . . فأشعل هو سيجارته وهو يقول . .

– اسمع . . أنا لدى مسكن لا تتجاوز أجرته سبعة جنيهات . . كنت دائماً أسأل نفسى لم أحتفظ به وأنا لدى مسكنى الذى رأيتماه . . وفكرت أخيراً تفكيرا جديا فى تركه . . سأتنازل لك عنه يا أحمد .

– مراد . . غير معقول .

سأتركه . . وبطبيعة الحال لن آخذ من الغريب الذى سيخلفنى فيه مليما واحدا فأنت إذن أولى . . أهذه مسألة تحتاج إلى تفكير أو تردد ؟

وارتسمت علامات الرجاء والتوسل على وجه عفاف وهى تنظر إلى أحمد . . كانت كل قسمات وجهها تقول :

– والنبى يا أحمد . .

وسأل أحمد مرادا :

– كم حجرة فى هذا المسكن يامراد ؟

وأسرعت عفاف قائلة :

– ولو كان من حجرة واحدة . . سنأخذه .

واحتاط مراد للاحتمال الوحيد الذى قد يكشف كل تدبيره . . أن يتقيد أمام

أحمد بأوصاف المسكن الذى حدثته عفاف عنه ثم يفاجأ فى القاهرة بأنه قد شغل بساكن آخر فقال :

– دعك من هذه التفاصيل . . إنه مسكن رائع . . من حيث عدد غرفه وموقعه . . لن أخبرك الآن حتى بعنوانه ليكون مفاجأة لك ولعفاف هانم .

ونظر إلى عفاف وهو يبتسم ابتسامة عريضة ويقول مداعباً :

– ياعفاف هانم . . ردى زوجك هذا عنى . . أم ترى يريد أن يحتل مسكنى الذى أعيش فيه .

وضحك أحمد وهو يقول :

– يارجل . . أستغفر الله .

وهمست عفاف :

– أحمد . . هذه فرصة . . ومادام مراد بك سيتركه حتما فنحن أولى .

وأمن مراد على قولها .

– وهذا ما أقوله أنا . . أنتما أولى من أى غريب . . مبروك يا أحمد . . مبروك ياعفاف هانم . . سأرتب أنا كل شىء مع المالك . . وبمجرد عودتكما من الإسكندرية يوقع أحمد العقد .

وصفقت تصفيقتين سريعتين كطفلة أعلن اسمها فائزة فى إحدى المباريات المدرسية . . فنظر لها أحمد وهز رأسه وهو يقول :

– طبعا سعيدة جدا . . جاءتك من السماء .

وخفضت عفاف عينيها وراحت تعبث بمقدمة حذائها فى الرمال . . وسمعت زوجها يقول لها :

– آبيه مراد . . أظنه يستحق منك كلمة شكر .

وهتف مراد وهو يلقى بسيجارته بعيدا – وكان دائماً يلقى بها قبل أن يحترق نصفها .

– يارجل . . أى شكر . . المسكن وسأتركه . . والساكن الجديد لا أريد أن أحظى بشرف معرفته وبالتالى لن أتقاضى شيئاً فأى فضل لى ؟

ثم بلهجة يحبها أحمد من مراد ، وأحمد طيب النفس نقى السريرة .

– نحن أخوة يا أحمد . . وأنا ليس لى إلا أنت وعفاف هانم .

وتردد أحمد قليلا ثم أتم حديثه :

– والله يامراد . . إنك أعجزتنى عن الحديث . . لا أدرى ماذا أقول . .

– لا تقل شيئاً . . هذا المسكن هديتى لك ولعفاف هانم فى عيد ميلادها بعد يومين .

وابتسمت عفاف وهتفت :

– والله كنت ناسية .

فأجابها مراد :

– ولكنى لم أنس . .

وقال أحمد :

– وأنا أيضاً يستحيل أن أنسى .

– سأسافر الليلة أو غداً إلى القاهرة ثم أعود إليكما بعد غد لنحتفل بعيد ميلاد عفاف هانم . . سنحتفل به ليلتين متتاليتين .

٢٦

وقفت عفاف بجانب النافذة العريضة الواسعة واضعة كفها فوق حافتها النظيفة اللامعة . . منتصبة القامة . . تنفث دخان سيجارتها فى هدوء والابتسامة الجميلة تضىء وجهها والهواء يداعب أطراف شعرها المرسل . .

الهواء ! ! !

لأول مرة تحس نعمة التنفس فى البيت الذى تسكنه وتعيش فيه . . إنه يعبث بكل شىء . . بشعرها . . بصدر ثوبها . . بالستائر الخفيفة التى تزين نوافذ الردهة . . إنها ترى النيل وهى واقفة أمام هذه النافذة العريضة الساحرة . . ليس بالقرب الذى تراه به وهى فى شرفة مسكن شقيقتها أمينة . . ولكنها على أية حال تراه . . ترى مساحة كبيرة منه وأشرعة المراكب تنساب فوق صفحته التى تبرق وتتلألأ تحت أشعة الشمس . . إنها تحس بنسيمه الرطب الرقيق يبعث به إليها فى أثناء النهار فيحيل مسكنها جنة صغيرة .

وكانت إقامتها فى الإسكندرية طيلة الشهرين المنقضيين – مايو ويونية – قد

لفحت جسمها فأكسبت بشرتها سمرة فاتنة فبدت – والصحة يكاد عبيرها يتضوع من أعطافها – كثمرة الخوخ الحلوة الناضجة . . يختلط سمارها بحمرتها لا تكاد تمسها الشفاه حتى تجود بشهدها . .

إنها تسكن الزمالك الآن . . أرقى أحياء القاهرة . . فى نفس المسكن الذى طالما تمنته . . وبقدر ما تمنته ، عز عليها وامتنع .

. . الغرف الثلاث الملونة الجميلة والردهة الواسعة والنوافذ العريضة والشرفة الظليلة التى تستطيع أن تمضى فيها بعض أمسيات الصيف بلا زهق ولا ملل . إنها تستطيع أن تدعو شقيقتها أمينة وزوجها كمال لتناول العشاء فى شرفة هذا المسكن كما يدعوانها مع أحمد تماماً . . وألقت نظرة إلى أرض الردهة المصنوعة من خشب الأرو اللامع الفاخر . . وابتسمت . . وتذكرت شارع شنودة والمنزل الذى كانت تعيش فيه بكل مساوئه وسوءاته والسنين التى أمضتها به والسنين التى كان مقدرا عليها أن تمضيها به لولا مراد . .

واهتزت أهدابها . . وأحست بزهو غريب . .

لقد فعل كل هذا من أجلها . . لقد بارح الإسكندرية صباح اليوم التالى لحضوره إليها وأسرع إلى الزمالك فوجد المسكن الذى عينته له مازال خاليا فوقع عقد استئجاره ولقد أفهمها وهو يراقصها ليلة عيد ميلادها فى ملهى الرومانس أنه قد بالغ فى الحيطة فاتفق مع المالك على أن يؤرخا العقد بتاريخ قديم حتى لا يظن أحمد – إذا صادف أن رأى هذا العقد تحت أى ظرف طارئ – أن مرادا قد استأجره بتاريخ لاحق لحديثهما على الشاطئ . . أمام الكابينة . .

وزادت ابتسامتها اتساعا . . وهمست لها نفسها :

– صحيح . . إنه يخاف عليك . . إنه أكثر حرصا عليك منك على نفسك كما

قال . .

لقد سدد ثلاثمائة جنيه أخرى غير الأربعمائة التى أعطاك إياها على دفعتين والتى تحفظينها فى مكان لا يمكن أن تسوق مجرد الصدفة يد أحمد إليه .

وسألت نفسها بلهجة من حيرة التفكير فى هذا الكون وأصل وجوده .

– ما هذا الغنى ؟ وما هذه الفلوس التى لا تنتهى ! !

وجاءها صوت من الخلف .

–كله تمام ياهانم .

.... فألقت سيجارتها إلى الطريق والتفتت إلى العاملين اللذين أوفدتهما مصلحة التليفونات لإتمام توصيلة المسرة (التليفون) وحمل أحدهما الآلة البيضاء الصغيرة بين يديه وهو يقول :

– التليفون جاهز . . وحبل طوله تسعة أمتار كطلب سيادتك . . تستطيعين أن تنتقلى به بين كل غرف المسكن . . حتى المطهى والحمام .

ودست عفاف يدها فى جيب السروال الذى كانت ترتديه فأخرجت جنيها – ورقتين – أعطت كلا من العاملين واحدة . . فشكرا لها وانصرفا . .

واقتربت من الآلة العزيزة التى طالما تمنت أن يكمل بها بيتها . . ورفعت السماعة وقربتها من أذنها ثم أدارت القرص – لأول مرة – برقم مراد . . وسمعت الدق فى الجانب الآخر مرة ومرتين وثلاث مرات . . ثم حملت لها الأسلاك صوته .

– آلو . .

– أنا عفاف يامراد .

– عفاف ! ! ! أخيراً . من أين تتكلمين ؟

– من البيت .

– صحيح ؟ تم تركيب التليفون ؟
– وأنا أتحدث إليك منه .
– مبروك .
– وهذه أول مكالمة . . صوتك أول صوت سمعته منه .
– كان شيئاً لابد لك منه ياعفاف . كان ضرورة .
– الفضل لك .
– لا تقولى هذا ثانية أرجوك . . أنا لم أفعل شيئاً بعد .
– كل هذا ولم تفعل شيئاً ! !
– إنى أعد لك مفاجأة ضخمة .
– صحيح ؟
– صحيح جدا .
– وما هى ؟
– لو أفصحت لك عنها لفقدت المفاجأة معناها . . اسمعى . . ما رأيك لو حضرت لى بعد ظهر اليوم . . أريد أن أطلعك على المفاجأة .
– ياخبر بعد الظهر لا يمكن .
– ولم ؟
– مستحيل . . وأحمد .
– صحيح أراك الآن إذن .
– الآن ممكن . . الصباح دائماً أنسب الأوقات لمن فى مثل ظروفى .
والتقطت أذنها اللهفة فى صوته وهو يسألها كمن لا يصدق .
– إذن ستحضرين الآن . . سأراك الآن .

وعاودها التردد والخوف والرهبة وهى تقول :

– أنا خائفة يامراد . . خائفة .

لا تخافى ياحبيبتى . . أنا أحرص عليك من نفسك .

– أعندك أحد فى البيت .

– لن تجدى أحدا مطلقا – شعبان فى البدرشين ولن يعود قبل غد . . الطاهى بابه مغلق عليه وهو لا يدخل المسكن أبدا ودخوله وخروجه من باب المطهى الداخلى المؤدى إلى سلم الخدم . . وإذا أردت أن أصرفه . . أصرفه حالا .

– لا داعى يامراد . . لا تجعله يشعر بأى شىء .

– لا تخافى ياعفاف . . اركبى أول سيارة خاصة تقابلك والمسافة بين بيتك وبيتى لن تستغرق أكثر من ثلاث دقائق بالسيارة . . نحن الآن جيران .. فى الزمالك .

– البواب .

– البواب خادمك وأنت سيدته . . ما لك خائفة هكذا . . أنت سيدة الكل . . وسيدتى أنا قبلهم جميعا .

– لا أريد أن يرانى أحد . . لا أريد أن يعرفنى أحد .

– لا بأس . . سأبعث البواب فى مهمة تستغرق منه ساعة .

– مراد . . أرجوك . . أنا خائفة .

– ياحبيبتى . . والله لا مجال للخوف أبدا . . لو أننى أعرف أن هناك ما قد يمسك لما شجعتك .

– قد يكون لأنها أول مرة .

– هذا صحيح . . وأنا أعذرك . . ولكن اطمئنى . . سأنتظرك فى الشرفة كى

أشجعك . . لا تخافى أبدا . . كأنك داخلة بيتك وأنت تعرفين الهدوء الذى يتميز به مدخل بيتى فلا مجال هناك للخوف أبدا . .

ومرت لحظات قصيرة جاءه صوتها بعدها خافتا . . بعيدا . . رقيقا . . ناحلا .

– سأكون عندك بعد ربع ساعة .

وردت المسمعة إلى مكانها واتجهت إلى غرفة النوم فخلعت السروال الصينى الذى كانت ترتديه . . وارتدت ثوبا بسيطا جميلا يكشف عن ذراعيها وكتفيها وأصلحت من زينة وجهها وصففت شعرها والتقطت حقيبة يدها وبارحت المسكن ودقات قلبها تكاد تخلع ساقيها مع كل خطوة تخطوها . .

وألقت بنفسها فى إحدى السيارات الخاصة وأملت على السائق اسم الشارع الذى يقع به بيت مراد . . شارع الأمير بدر الدين .

وعندما وقفت السيارة أمام البيت . . أعطت السائق أجرته قبل أن تبرحها وأخرجت من حقيبة يدها وشاحا أحكمت به تغطية وجهها ثم هبطت من السيارة . . لم تكن تريد أن يرى وجهها أى مخلوق . . ولقد هب البواب واقفا لمرآها وحياها باحترام فمرقت إلى الداخل مسرعة دون أن تعنى برد تحيته . . وصعدت الدرج وضربات قلبها تزلزل كيانها كله . . وعندما وصلت باب المسكن وجدته مفتوحا ومراد فى انتظارها أمامه .

وأسرعت داخلة دون أن تحييه أو تصافحه . . وألقت بنفسها على أول مقعد صادفها ثم رفعت الوشاح عن وجهها وأنفاسها تتلاحق كمن جرت شوطا طويلا . . وتبعها مراد . . فأقفل الباب فى هدوء وأسرع نحوها وأمسك بكفيها وإذا بهما قطعتان من الثلج . . ومع ذلك . . فقد كان العرق يتصبب منهما .

– يانهار أبيض . . ما هذا كله .

قالها مشفقا محاولا تهوين الأمر عليها فأجابته فى صوت هامس :

– أسكت يامراد . . مت . . مت . . من الخوف والرعب والتردد .

وضمها إلى صدره فى حنو بالغ وراح يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها وهو يقول :

– أنا أموت بدلا عنك يا عفاف . . أنا فداك . . حياتى كلها . . عمرى كله . . لآخر قطرة فى دمى .

– البواب . . رأيته بالباب .

– لم أجده بعد محادثتنا التليفونية . . حاولت أن أناديه لأكلفه بأية مهمة تبعده عن الباب فلم أجده . . يظهر أنه عاد بعد أن يئست أنا من العثور عليه . . ومع ذلك لا تهتمى أبداً . . إنهم جميعا خدمك .

قالت والرعدة مازالت تشيع فى نبرات صوتها :

– على أية حال . . كان هذا الوشاح معى وقد أخفيت به وجهى تماما .

وأمسك بكفيها ثانية وراح يقبلها . . ثم راح يقبل أصابعها إصبعا إصبعا وهو يقول :

– مازالت أطرافك باردة .

– من الرعب يامراد .

ونهض واقفا ويده ممسكة بيدها فوقفت معه وقال لها :

– سأقدم لك شيئا يعيد إلى نفسك هدوءها وإلى جسمك حرارته .

وجذبها وصعد السلم إلى الطابق الثانى وأجلسها على أريكة منخفضة وملأ كأسا صغيرة بشراب قاتم قدمها لها فتناولتها منه وبللت بها شفتيها ولكنه قال لها :

– دفعة واحدة ياعفاف . . اشربيها دفعة واحدة . . إنه كالعسل . . لكى يحبه

الأطفال .

– وهل أنا طفلة .

– إنك تشربين اللبن .

– ألا زلت تذكر؟

– إنى أذكر كل كلمة تبادلناها فى كل مقابلة تمت بيننا . وتشاغلت عفاف فى الكأس الصغيرة بين أصابعها فرفعتها وأفرغتها بين شفتيها دفعة واحدة . . فسألها كما لو كانت طفلة أبدت شجاعة أثناء شربها دواء مرا .

– حلو ؟

فهزت رأسها إيجابا وقد عاد إلى نفسها بعض هدوئها .

وجلس إلى جانبها واحتوى وجهها بين كفيه . . ونظر فى عينيها طويلا طويلاً . . دون أن يتكلم . . فسألته :

– لماذا تنظر فى عينى هكذا ؟

– أنا لم أر بحيرات الجنة . . ولكن ما قرأته عنها فى كتب السماء يجعلنى أؤمن أن صفاءها وسحرها من صفاء عينيك وسحرهما .

وهوى بشفتيه يعتصر شفتيها . . وراحت كفه تمسح لحم كتفيها وذراعيها وظهرها . . وهمس فى شفتيها .

– هذه السنة عشتها ألف سنة فى انتظار هذه اللحظة ياعفاف . .

وحملها بين ذراعيه . . أجمل ما حمل طول حياته . . ودخل بها غرفة نومه ثم أنزلها عن ذراعيه وضمها – واقفة – إلى صدره . . وامتدت أصابعه المدربة إلى محابس ثوبها فجذبها برقة واحدا بعد واحد . . وكان خبيرا بهذه العملية فانفتحت جميعا .

وكان فى كل ما يقدم عليه ناعما كحد الموسى . . مهذبا كمن يسأل المحكوم عليه بالإعدام عما يشتهيه قبل التنفيذ . . أملس كالثعبان الرهيب . . وكانت هى كالحمامة الصغيرة الوديعة وقعت تحت سيطرة جارفة عارمة لا تستطيع لها دفعا . .

وقطعة فقطعة .. جردها من ثيابها . .

– وذبحها . . . .

ذبحها وهو يهمس فى شفتيها بما أعده ويعده ويهيئه لها من حياة كانت تتصورها أحلاما بعيدة التحقيق . . وقد بدأت تتحقق فعلا . . ومسكن الزمالك ليس إلا خطوة أولى نحو هذه الحياة . .

ولاحت منها التفاتة إلى جانب من الغرفة فأطلق صدرها صرخة خافتة مبحوحة .

– يامصيبتى . . .

لقد وقعت عيناها على أبشع ما وقعتا عليه من قبل ، خطيئتها الأولى . .

عرضها المراق . .

جسدها الجميل الطاهر . . فى الوحل . . بين أحضانه . . عارية كما ولدتها أمها .

– مراد أرجوك .

– عفاف . . ما بك ياحبيبتى .

– أحجب هذه المرآة الضخمة . . غطها بأى شىء . . لا أستطيع النظر إليها . . أرجوك . . ومسح بكفه حبات العرق التى تناثرت فوق جبينها كاللؤلؤ وراح يقبلها فى حنو ممزوج بالشفقة . . وقفز عن الفراش وسحب من الخوان أحد أغطية

المائدة الكبيرة فبسطه وثبت طرفيه عند زاويتى المرآة العلويتين فأخفاها . . وكانت هى فى هذه الأثناء قد سحبت غطاء الفراش على جسمها العارى فسترته . . وكانت دموع تبرق فى هاتين العينين . .

٢٧

ولما جلست بقميص نومها أمام مرآة التزيين . . راحت تصلح من شأنها . . فأعادت زينة وجهها وتصفيف شعرها وصبغ شفتيها . . كل ما عبث به مراد . . بكل شوقه ولهفته ولوعته وحرمانه وانتظاره عاما كاملا .

ودخلت فى ثوبها . . وكان ضمن محابسه واحد فى الظهر تحتاج دائماً لمن يزلقه لبعده عن متناول يدها . . وفهم مراد فأسرع إليها وضم حافتى الثوب كلا منهما للأخرى وجذب المحبس فاتخذ الثوب شكل القالب ، خصرها الساحر الدقيق ومد ذراعية تحت ذراعيها وجمع كلا من نهديها فى كف من كفيه وضمها إليه وراح يقبل كتفيها العاريتين وعنقها وهى تقول له فى همس :

- بس يامراد .

وأدارها فجعل وجهها لوجهه وهى مازالت بين ذراعيه وسألها .

- تحبينى ؟ ؟

ونكست رأسها ولم تجب .

كانت لا تزال فى دوامة ذلك الشىء الرهيب الذى جرى لها . . ولم تكن تدرى كيف جرى .

ورفع وجهها إليه بأطراف أصابعه وكرر سؤاله .

– تحبيننى ياعفاف ؟

– وهل تعرف أنت الحب ؟

– لم أكن أعرفه إلى أن رأيتك .

– هذا كلام تقولونه دائماً . . لكل من تلتقون بها .

– أقسم لك . .

– لا تقسم . . كم قبلى جئن إلى هذا المكان ؟

– لست أنكر أن هناك من سبقنك . . ولكنى أقسم لك بحياتك – أعز وأغلى ما أقسم به – على أنك الأخيرة . . لن تكون هناك بعدك ياعفاف .

– أهذا كلام ؟

– ألا تصدقيننى ؟

– من أين لى العلم ؟ من يدرينى ؟ تأكدى من هذا يكاد يكون فى حكم المستحيل .

وخلى ذراعيه عنها وفتح أحد أدراج مائدة الزينة والتقط مفتاحا صغيرا محفورا عليه رقم ٣ قدمه لها وهو يقول :

– هذا مفتاح المسكن . . احفظيه معك .

– وما جدواه .

– كيف ما جدواه ! ! المفتاح معك . . فى حقيبة يدك . . تستطيعين أن تفاجئينى فى أية لحظة من ليل أو نهار . . فى أى وقت . . وفى أية ساعة . . تديرينه

فى الباب فتفتحينه وتدخلين كما لو كنت داخلة بيتك تماماً . . إنى بإعطائك هذا المفتاح أضع نفسى تحت اختبار دائم .

وكانت تعرف أنه صادق . . ولكنها أرادت أن تعذبه . . فرسمت على وجهها ابتسامة القطة وهى تقول :

– ألا يجوز أن يكون لك مسكن آخر غير هذا ؟

وأحاط وجهها بكفيه وقرب عينيها من عينيه وهو يقول فى لهجة تقطر صدقا وحرارة .

– عفاف . . كيف يخطر لك هذا ؟ أنت لا تعرفين من أنت عندى . . لا يمكنك أن تتصورى كيف أحبك ولا كيف ملأ حبك حياتى . . إن قلبى كان يدق فيما مضى ليمنحنى الحياة كأى مخلوق سواى . . ولكنه الآن تغيرت وظيفته . . إنه لا يدق إلا لأنه يحبك .

وشاعت فى وجهه ابتسامة . . ظل ابتسامة وهو يقول مداعبا .

– إن حياتى – والأحداث المهمة التى مرت بى – يمكن أن تؤرخ من الآن بحبى لك . . فأقول هذا حدث قبل أن أحب عفاف – وهذا حدث بعد أن أحببتها .

وضحكت عفاف . . لأنها لم تمتلك إلا أن تضحك وقالت فى سذاجة :

– إنى أصدقك .

وأراد أن يزيدها تأكدا فقال :

– هذا المفتاح ، أقسم لك ، عمرى ما أعطيته لمخلوق لأنى ما أحببت قبلك من تستطيع أن تستأثر بى وحدها فتغنينى عن غيرها . . ولكن أنت . .

وأزاح الفضاء بكفيه وهو يقول :

– أوه . . كيف تضطرينى لأن أقارن بينك وبين أية مخلوقة أخرى . . إننى

أستغنى بك عن العالم بأسره ياعفاف .

وقلبت عفاف المفتاح الصغير الدقيق بين أصابعها وهى تقول :

- إنه صغير جدا . . أصغر مفتاح مسكن رأيته إلى الآن . .

وفتحت حقيبة يدها الموضوعة على منضدة صغيرة بجانب الفراش وألقت المفتاح إلى داخلها فاختفى بين محتوياتها .

بضعة مناديل .

ومنظار قاتم واق من الشمس .

وقلم أحمر الشفاه .

وعلبة البودرة المستوردة المنقوش عليها حرف A

وقلم مذهب أنيق .

ومفكرة صغيرة ومبرد للأظافر .

وكيس صغير لقطع النقود المعدنية والفضية .

وبضعة أوراق مالية من الجنيهات وأنصافها وأرباعها وأعشارها ملقاة فى إهمال .

وظرف من الورق الشفاف الوردى يباع فى الصيدليات يحتوى على بضعة مناديل من ورق يتناهى لينا ونعومة لالتقاط العرق عن الوجه فى الأيام شديدة الحرارة .

وزجاجة عطر صغيرة داخل كيس من الأنتيلوب الاسود الفاخر وملقط

وقطعة من الشوكولاتة فى غلافها المفضض .

ومصحف شريف صغير .

وأغلقت الحقيبة .

وسألها مراد .

– متى أراك ثانية .

وهزت رأسها حائرة وهى تقول :

– لا أدرى يامراد . . لا أدرى . .

وجمعها بين ذراعيه وراح يلصق شفتيه بخديها وعينيها وجبينها وأذنيها وهو يهمس فى حنو .

لا تقولى لا أدرى . . أرجوك ياعفاف . . فهذه الإجابة تحيرنى وتعذبنى . . إننى أريد أن أعيش دائماً على موعد معك . . أود أن أكون دائماً فى حالة انتظار لقائك . . أن أقول لنفسى . . عفاف موعدها غدا أو بعد غد . . أو بعد بعد غد . . أو فى مثل هذا اليوم من الأسبوع القادم . . فأمضى حياتى أحسب الأيام فأقول مضى يوم وبقى يومان . . مضى يومان وبقى يوم واحد . . جاء هذا اليوم . . سأراها اليوم . . بعد ساعتين . . بعد ساعة . . بعد نصف ساعة . . بعد خمس دقائق . . لقد تأخرت . . ها هى ذى قد وصلت . . إنها تدير المفتاح فى الباب . . فأسعى إليك لأضمك إلى قلبى . . لا تدعينى أسأل الغيب متى أرى عفاف ؟

إن هذا الكلام لم تسمعه من قبل فقد كان مراد تجربتها الأولى . . قدرها الأول . . وأحست الصدق فى كل كلمة من كلماته . . فى كل نبرة من نبرات صوته . . فى كل نظرة من نظرات عينيه .

وكان مراد صادقاً . . فقد تحولت عاطفته نحو عفاف – بعد أن منحته نفسها – من مجرد اشتهاء جسد جميل – إلى حب وإعزاز وإيثار وعطف وخوف وحرص عليها أن يمسها أى شر . أحس أنها شىء له قيمته . . شىء غال . . ثمين . .

مسئول عنه وعن المحافظة والحرص عليه والذود عنه . مسئول عن حمايته وتوفير كل أسباب هناء الحياة له .

وكل هذا لمسته عفاف وأحسته فى حديثه فقالت له .

– التليفون بيننا يامراد . . ستناديني وأناديك .

وقبل شفتيها وهو يقول مداعبا وقد عاد المرح إلى صوته :

– معك حق . . التليفون مثل . . «الجوكر» بين أوراق اللعب . . وجوده ينهى كل شىء .

وكأن الحديث عن المسرة ذكرها بها فاقتربت منها – موضوعة فوق مائدة صغيرة بجانب الفراش وقالت :

– سأكلم أحمد وهو فى مكتبه .

وكانت رغبتها فى تأكيد الطمأنينة وتوفيرها لنفسها وهى الدافع الحقيقى لأن تنادى زوجها فى مقر عمله لتلمسها حقيقة لا محل للشك فيها . . أن يكون فى عمله فى ذات اللحظة التى تجمعها بمراد فى مسكنه . .

ورفعت المسمعة وأدارت القرص وهى تنظر إلى مراد وقد ارتسمت فوق وجهها ابتسامة القطة . . ومرت لحظات قبل أن تقول :

– الأستاذ أحمد راغب من فضلك . . فى مكتب المدير ؟ أرجو أن تحول الخط إليه . . شكرا . .

وكان العرق يتصبب من جبينها بينما عادت البرودة تسرى فى أطرافها . . وأحس مراد بحالها وهو يقف قريباً منها فأحاط خصرها بساعده وأشعل لها سيجارة وضعها بإصبعيه بين شفتيها . . ولم تمض لحظات حتى كانت المكالمة قد حولت إلى مكتب المدير . . رئيس زوجها .

– أحمد ؟ ؟

وأدركت للتوأنها تخاطب رئيسه الذى أعطى المسمعة لزوجها وسمعته يقول :

– يبدو أنها الحرم المصون يا أستاذ أحمد . . تفضل .

وجاءها صوت زوجها . .

وكانت حائرة . .

ماذا تقول له ؟

ولكنها لم تعدم سببا للمحادثة فأخبرته أنه قد تم إدخال المسرة فى البيت وأنها تحدثه منها فإنها أرادت أن تكون أول مكالمة له . .

وكانت قد تعودت هذه الأكاذيب واكتسبت شيئاً من الخبرة فى إلباسها ثوب الحقائق . . وراحت تستمع إليه وهى تعلق على حديثه بين كل عبارة وأخرى . . ولم تمض لحظات حتى قالت :

– إنى أنتظر هذه المفاجأة يا أحمد . . إلى اللقاء .

وأعادت المسمعة إلى مكانها . . وسألهامراد :

– ماذا قال لك .

– لن يحضر فى موعد الغداء فهناك لجنة منعقدة وستستمر طويلا ولديه ما سيؤخره إلى وقت الغروب تقريباً .

وقبلها مراد وهو يقول :

– هذا أجمل ما سمعت فى حياتى . . تستطيعين إذن أن تمضى معى كل هذا الوقت . . نتناول غذاءنا معا ثم تأخذين كفايتك من الراحة . .وبعدها تعودين إلى البيت .

ولكنها لم تجد الشجاعة لقبول هذا البرنامج فقالت :

– لا داعى والنبى يامراد . . فمن يدرى . . قد يناديني من مكتبه فى أية لحظة . . ويحسن أن يجدنى فى المنزل .

وأحاط وجهها بكفيه وهو يقول :

– لا بأس مادمت ترين هذا .

– قال أيضاً أنه يحمل لى عند عودته مفاجأة سارة .

– ترى ما هى ؟

– لا أدرى

– ذكرتنى فقد كدت أنسى . . ألم أقل لك إننى أعد لك مفاجأة ؟

– أنا أيضاً كدت أنسى . . هيا وقل لى . ما هى ؟

وفتح مراد أحد أدراج مائدة الزينة وأخرج منه ورقة من أوراق النصيب لعفاف وهو يقول :

– هذه مفاجأتى ياعفاف

قلبت عفاف الورقة بين أصابعها . . وقرأ هو فى عينيها خيبة أملها فابتسم وهو يقول :

– مالك ؟ ألا يجوز أن تربح ؟

– ثلاثة آلاف جنيه ؟

– هذه قيمتها .

فاكتفت بأن قالت :

– والله أنت يامراد . .

– شديد التفاؤل . . أليس كذلك ؟

– إلى حد فاق الحد . أنا لم أكسب فى حياتى شيئا من هذا القبيل . . ورقة

بين مليون ورقة .

– ولكن لابد لواحد من أن يربح .

وضحكت عفاف وهى تقول :

– أى أحد . . إلا أنا يامراد . . الحظ مازال مبصرا . . لم يصبه العمى بعد ليصطدم بى .

– اسمعى كلامى . . إنى أحس إحساسا خفيا بأن هذه الورقة ستربح ثلاثة آلاف جنيه . . لقد حلمت حلما يؤكد لى هذا . . جاءنى هاتف وقال لى اشتر الورقة التى تحمل رقم ٦٢٣٥٧ فأوصيت عليها أحد الباعة فأحضرها لى .

وابتسمت عفاف . . وارتد مراد فى نظرها من عملاق كبير إلى غلام يطير مع الأحلام . . فنظرت إليه وابتسامتها آخذة فى الاتساع وهى تقول له :

– لا بأس . . احفظها لى معك إلى أن تراجع أرقامها على كشف الأرقام الرابحة . . وإذا ربحت ، وهنا لم تستطع أن تمنع ضحكة – كانت تغالبها – من أن تنطلق . . صافية ناعمة كرنين أجراس من البللور ثم قالت :

– سيسرنى فى هذه الحالة أن تقاسمنى الربح .

وأحس مراد بالسخرية فى حديثها فنظر إليها طويلا دون أن يفتح فمه بكلمة . . وأحست هى أنها جرحته . . ربما . . فاقتربت منه كالقطة الناعمة الأليفة وسألته :

– غضبت ؟

فجمعها بين ذراعيه . . بكل قوته وراح يهصر خصرها وهو يأكل شفتيها وهى تحاول التخلص منه ضاحكة :

– أفسدت لى أحمر شفتى بعد أن سويته .

وظل حابسها بين ذراعيه وقد شبك أصابع يديه ببعضها حتى لا تفلت منه . .

ثم نظر فى عينيها طويلا بعد أن أفرج عن شفتيها وقال بلهجة جادة :

- اسمعى لما سأقوله لك جيدا ياعفاف .

وهزت رأسها كمن تقول إنى سامعة . . وبان عليها أنها تغالب الضحك ولكنه استمر فى حديثه .

- نفذى كل ما سأقوله لك . . هذه الورقة أنت التى اشتريتها منذ حوالى أسبوعين . . وكانت متروكة منسية فى حقيبة يدك . . غدا . . أو الليلة إذا أمكن . . انتهزى فرصة وجودك مع أحمد فى أى مكان خارج المنزل . .

وبأية مناسبة . . تذكرى أن معك ورقة من أوراق النصيب ولا بأس من الكشف عليها . . ثم أعطها لأحمد ليقوم بهذه المهمة . . واجتهدى أن يتم كل شىء بمنتهى البساطة .

وزالت الابتسامة الساخرة عن وجه عفاف وهى تقول لمراد :

- لست أفهم شيئاً .

مس شفتيها بشفتيه فى قبلة خاطفة سريعة وهو يقول :

- وهذا أحسن ما فى الأمر . . ألا تفهمى شيئاً . . كل ما أطلبه منك أن تحافظى عليها جيدا . . من يدرى . . ورقة بين مليون ورقة . . هذا صحيح . . ولكن لا مفر من أن يربح أحد . .

وفتحت عفاف حقيبة يدها ووضعت الورقة بداخلها .

* * *

وجاء المساء .

وعاد أحمد من عمله .

وكانت عفاف فى انتظاره أبهى ما تكون امرأة فى انتظار زوجها . . ارتدت

الثوب الذى يحبه . . وصففت شعرها على النحو الذى يفضله . . وهنا وهناك . . خلف الأذنين وفى الكفين والإبطين وفى مخابئ جسمها الجميل كلها . . كادت تفرغ ما كان متبقيا من عطر الإربيج فى قارورته . . إن أحمد يحب هذا العطر ويفضله على سواه . . غالبية الرجال يحبون هذا العطر.

إحساسها بجرمها الفادح كان يدفعها لا شعوريا لبذل كل ما تستطيع لإرضاء زوجها .

ولم تكن بحاجة لكل هذا . . فإن أحمد كان مشوقا يحرقه الشوق لأن يضمها إلى صدره ليزف إليها مفاجأته الضخمة .

لقد فاز بالدرجة الثالثة وقفز مرتبه إلى خمسة وأربعين جنيها .

وراح يقبلها من كل ما تقع عليه شفتاه منها . . وكانت هى كالفل نظافة وعطرا وجمالا وسحرا فكانت القبلة منها دنيا قائمة بذاتها .

واعتصر شفتيها بين شفتيه ثم خلاهما ونظر فى عينيها طويلا وسألها وقد عصف به حبه . .

- آكلك ؟

وشاعت فى وجهها ابتسامة القطة وهى تقول :

- كلنى .

كانت تعرف مكانها من قلبه . . إنه يعبدها . . يعبد جمالها . . وجمالها كان دائماً سيد الموقف . . أى موقف . . وأحست أنها لم تكن بحاجة لكل هذا . .

أغرب من هذا . . أكثر من هذا . .

أحست أن قبلاته قد محت قبلات مراد وأن مرور كفيه على ذراعيها وكتفيها وصدرها وشعرها قد محى آثار كفى مراد التى كانت تكوى لحمها . . وأنه عندما

احتواها بين ذراعيه وضمها إلى صدره قد تحررت من صمات مراد وأحست كأنها لم تكن .

وراحت تستمع إليه .

قص عليها كيف تلقى نبأ الترقية والفرح والزهو يطلان من عينيه . . كيف استدعاه رئيسه وكيف زف إليه البشرى وهو يثنى كفاءته ويطرى غيرته على العمل . . وكيف قاوم رغبته – وهى تحدثه تليفونيا – فى أن يخبرها بالنبأ السار فقد أحب أن يفاجئها وهى بين ذراعيه . . هكذا .

وراح يعصرها بين ذراعيه من جديد . . وراح يقبلها من جديد . . وهى تمنحه من شفتيها ومن نظرات عينيها ومن دلالها ما لم يسبق له أن ظفر به . . وقالت له :

– أرأيت كيف أن هذا المسكن طالع سعد . . نحن انتقلنا إليه من هنا . . فسعت إليك الدرجة من هنا .

فسألها وقلبه يكاد يقفز من عينيه :

– مبسوطة ياعفاف ؟

– طبعاً .

– لدينا ابتداء من الشهر القادم خمسة جنيهات زائدة عما تعودنا .

– العقبى فى الثانية ثم الأولى إن شاء الله .

– كله من أجلك ياعفاف . . إنى أدعو دائماً أن يقدرنى الله على إسعادك . . لو نلت الدنيا كلها ووضعتها بين يديك ماكفانى .

وأحاطت عنقه بذراعها وقبلته من خده وهى تقول :

– شكرا يا أحمد . . إنى واثقة من هذا .

وعاد يدللها قائلاً :

– لك عندى البشارة . . حلاوة هذه الدرجة . . الهدية التى تروق لك .

فأحاطت عنقه بذراعها الأخرى . . وأسندت رأسها إلى كتفه وهى تقول .

– لست بحاجة لأى شىء يا أحمد . . فأنت لى كل شىء . .

وفى هذه الليلة منحته فى فراشها من جسمها وشبابها وجمالها ما تمناه عليها طويلاً وكانت تمنعه عنه تحرجاً وتعففاً وحياء وخجلاً وكان هذا المنح تأكيداً لإحساسها بجريمتها وفظاعة ما أقدمت عليه . وعلى قدر انفعالها بهذا الإحساس كانت تعمل على تغطيته بإرضاء هذا الزوج الذى أثمت فى حقه وخانت خبزه وملحه فمرغت عرضه فى الوحل .

ومن أعجب العجب – وكأن لعفاف مقاييس غير ما تعارف الناس عليه – أنها أحست بجسدها يتطهر من سقطته بعد أن منحت زوجها هذا الجسد وكأنها بذلك قد غسلت خطيئتها . . وكان هذا إحساسها عن يقين فقد طابت نفسا وزايلها الشعور بالإثم الذى كان يعذبها منذ بارحت مسكن مراد ، عندما هدأ أحمد فوق صدرها وقد ماتت قبلته فوق شفتيها وظلت تستمع إلى ضربات قلبه .

ولم يكن الليل قد أوغل بعد . . فقد مزق الرنين المتواصل الذى أطلقته الساعة القريبة من الفراش سكون الغرفة . . فد أحمد ذراعه – وكان مازال بين ذراعى عفاف يلتقط أنفاسه – فأدار الزر الصغير فأوقف صوت الجرس وهو يقول :

– تصورى . . الساعة مازالت العاشرة إلا الربع .

– ظننت أن الليل انتصف والله . . إنى أحس بالجوع .

– سبقتنى .

– أنت أيضاً ؟

– أكاد أموت جوعا والليلة شديدة الحرارة . . ما رأيك . . نخرج . . نتناول

عشاءنا فى مكان بعيد . . حديقة أو سطح مرتفع . . فى أى مكان ؟

– فى هذه المرة أنت سبقتنى .

– صحيح ؟

– كدت أقترح عليك هذا .

– الليل لا يزال فى أوله وهذه مناسبة تستحق الاحتفال .

وقفزا عن الفراش وأسرعا إلى الحمام فأزالا عن جسميهما تحت الدش عرق الحب وحرارته وارتديا ثيابهما وانطلقا إلى مطعم خريستو فى آخر شارع الأهرام .

وقريبا من باب المطعم . . لاحظت عفاف وجود رجل عجوز يجلس على الأرض ساندا ظهره للجدار وقد وضع فى حجره كثيرا من أوراق اليانصيب مضمومة إلى بعضها بخيط رفيع من المطاط .

– خذ منى ورقة يا سيدى ربنا يعمر بيتك ويحفظ لك الست .

قالها الرجل فى رجاء وأمل وهو يرفع عينيه الكليليين إلى أحمد وعفاف ، وتوقفت عفاف لحظة وأحست بضربات قلبها تتسارع . .لقد حانت لحظة لم تكن تدرى بالضبط ما وراءها ولا ما تخبئها . . لقد كان فى حديث مراد عن الورقة التى تستقر فى حقيبة يدها شيئاً . . شيئاً لم يفسره لها . . بل تركه غامضا . . وتركها هى فى حيرة وتطلع .

– لحظة يا أحمد . . نسيت أن معى ورقة قديمة . . أكشف لى عن رقمها .

وضحك أحمد وهو يقول :

– ياشيخة . . أنت أيضاً تؤمنين بهذه المستحيلات .

– والنبى يا أحمد . . من يعرف ؟ ألا يجوز أن تربح .

– ورقة بين مليون ورقة ياعفاف .

– ولكن لابد من أن يربح أحد . .

– لا يجوز أن نقف هكذا أمام باب الحديقة لنفحص كشوف الأرقام الرابحة . . أنت الآن زوجة موظف فى الدرجة الثالثة .

وكانت عفاف قد أخرجت من حقيبة يدها الورقة التى أعطاها مراد إياها ودستها فى كف أحمد وهى تقول :

– لا بأس . . استدعه للداخل . . أوكلف أحد القائمين على الخدمة هنا ليحضر لنا منه كشوف الأرقام الرابحة .

ودخلا الحديقة الواسعة واختارا مائدة منعزلة فى أحد الأركان . . وجلست عفاف وهى تتم حديثها .

– إنها فرصة أيضاً للإحسان إلى هذا الرجل المسكين . . أرأيت شيخوخته . . ومع ذلك فإنه يترقب رزقه إلى مثل هذه الساعة من الليل .

وأسرع أحد الخدم ساعيا نحوهما للقيام على خدمتهما . . ودون فى ورقة صغيرة كل ما أملاه عليه أحمد من ألوان الطعام . . وإذ هم الخادم بالانصراف كلفه أحمد باستدعاء الرجل العجوز الجالس خارج الحديقة الذى يبيع أوراق الحظ والنصيب . . وابتعد الخادم وبسط أحمد الورقة أمامه . . وإذا به يقهقه ضاحكا . . – ثلاثة آلاف جنيه ياعفاف ظننتها ورقة من فئة المائتين . . إنك شديدة التفاؤل . .

وتشاغلت عفاف بما تتشاغل به أية امرأة . . فأخرجت علبة البودرة من حقيبة يدها وفتحتها وراحت تصلح من زينتها وهى تقول :

– أنت تعرف أننى لست ممن يشترين هذه الأوراق . . ولكن غلاما فى شارع سليمان باشا – منذ عشرين يوماً تقريباً – ألح على واستحلفنى بكل عزيز لكى أشترى

منه ورقة . . وكانت أمه بصحبته . . وهى عجوز ضريرة تتكئ إلى دراعه الصغيرة . . وراحت هي الأخرى تشترك فى الإلحاح على . . فرق قلبى لهما فاشتريت هذه الورقة وأعطيتها فوق ثمنها عشرة قروش .

ولم تمض لحظات حتى جاءهما الخادم يجر الرجل العجوز متأبطا أوراقه . . وعين له أحمد اسم الكشف الذى يريده . . فأخذت أصابع الرجل المرتعشة تبحث فى بعض ما يحمل من أوراق ثم سحب من بينها ورقة قدمها لأحمد فى خضوع وهو يدعو له بالربح والستر والعمر الطويل . . وبسط أحمد الورقتين أمامه . . قائمة الأرقام الرابحة . . وإلى جانبها الورقة التى قدمتها عفاف له وراح يتمتم بكلمات يسخر بها من عفاف ومن نفسه ومن الجماعات التى تصدر مثل هذه الأوراق ومن الحظ بصفة عامة . . هذا بينما كانت عفاف تقول له :

– يا أخى . . لن تخسر شيئاً . . الورقة واشتريتها . . ألا يجب أن أقارنها بالأرقام الرابحة .

واتجهت عيناها فورا إلى الرقم الأول رابح الثلاثة آلاف جنيه فدفع أحمد كتفها فى رقة وهو يقول :

– إلام تنظرين ؟ تواضعى وابحثى بين الأرقام الأخرى لا بأس بربح عشرة جنيهات . . لا بأس أبدا والله . .

وردت له دفعة الكتف بنفس الرقة وهى تقول ،

– يا أخى . . انتظر رزقك .

وفجأة تغيرت نبرات صوت أحمد وهو يقول :

– عفاف . . انظرى . .

والتصقت أصابعه بالورقة فوق سطح المائدة الصغيرة وتشبثت بها وعاد يقول فى

صوت مبحوح :

– عفاف .

– أحمد .

– انظرى معى جيدا . . اقرئى معى . . ستة .

وازدردت عفاف لعابها وهى ترد

ستة .

اثنان .

– اثنان .

– ثلاثة .

– ثلاثة .

– ثم سبعة .

ولهثت عفاف وهى تردد بعده .

– خمسة . . ثم سبعة .

وأعاد أحمد قراءة الرقم كله من جديد وكأنه لا يستطيع أن يصدق عينيه .

– ستة . . اثنان ثلاثة خمسة سبعة .

وكررت عفاف قراءة الرقم :

– ستة اثنان ثلاثة خمسة سبعة .

ووضع أحمد كفيه على الورقة ووضعت عفاف كفيها فوق كفى أحمد . . وتقارب وجهاهما وسبح كل منهما بعينيه فى عينى الآخر . . وهمس أحمد .

– عفاف . . .

– وزحف عقل عفاف الباطن إلى طرف لسانها وكادت ترد همس زوجها هاتفة

باسم مراد فقد كان مستحيلا عليها أن تتحرر من التفكير فيه فى هذه اللحظة الفريدة من عمرها . . ولكنها تمالكت وضبطت نفسها وأعصابها ولسانها ثم همست وهى تمسح بكفها ظهر يد زوجها فى حنان .

- أحمد . . .

- ثلاثة آلاف جنيه ياعفاف .

فأجابته والفرحة تتألق فى عينيها :

- ثلاثة آلاف جنيه يا أحمد .

وكانا قد نسيا العجوز الواقف أمامها يبتسم . . ثم تنبها إلى وجوده وهو يقول :

- كسبت ياسيدى . . اللهم زدك من نعيمه . . ضمنا الحلاوة . . إلهى يطرح فيها البركة . . ضمنا الحلاوة . . كريم يارب كريم .

وراح الرجل يدعو لأحمد ولعفاف فأخرج أحمد من جيبه ورقة مالية فئة العشرة جنيهات أعطاه إياها فقبلها الرجل من وجهها وظهرها وهو يتم دعواته بمختلف الألفاظ والتعبيرات ثم طوى الورقة ودسها فى جيب صغير فوق قلبه وراح يبتعد ودعواته الطيبة مازالت تنطلق من نفسه البسيطة القانعة .

٢٨

في هذه الليلة لم ينم أحمد ولم تنم عفاف .

ارتدى منامته الصيفية البيضاء ذات الأكمام القصيرة . . وارتدت قميص نومها الوردى . . وجلسا فوق فراشهما يدرسان ما سيصنعان بهذا المبلغ .

استنزلا منه قبل كل شيء سبعمائة وخمسين جنيها ضريبة الحكومة وبدأت عفاف تعد قائمة بما ينقص بيتها .

وكان تغيير الأثاث الحالى لهذا البيت أمرا مفروغا منه . . فأضافت قيمة ثمنه الذى تتوقع أن تبيعه به على وجه التقريب إلى قيمة الورقة بعد استنزال ضريبة الحكومة وراحت تستنير بآراء أحمد . . وكان هو سعيدا بسعادتها . . إن ما عجز عن تحقيقه لها حققته الأقدار فى سخاء غير مألوف فراح يشير عليها بما تفعل . . أقترح أولا أن تودع المبلغ – بمجرد سحبه – أحد المصارف باسمها فالمال مالها ولا شأن لغيرها به حتى ولا هو . . فاقتربت منه إلى أن ألصقت جبينها بجبينه ثم قبلته قريبا من أذنه وهى تقول وابتسامة القطة فوق وجهها :

- لا تقل هذا مرة أخرى يا أحمد . . أنت تملكنى أنا فأنت تملك ما أملك .

واحتواها أحمد بين ذراعيه وراح يمسح لحمها بكفيه فى حنان آسر وهو يقول :

- ياحبيبتى . . ياحبيبتى الصغيرة . . إننى لك . . لآخر قطرة من دمى . .

وسألته جادة . . جادة تعنى ما تقول :

- اقتطع بنفسك ما تريد يا أحمد قبل كل شىء .

- أنت لى كل شىء ياعفاف .

وعادت تؤكد ما تقول :

- أرجوك .

- لا شىء والله ياعفاف . . فرغباتك أنت وأمانيك أنت هى كل ما أرجو من حياتى .

ومضت لحظة صمت قصيرة بادلته خلالها نظرة بنظرة ثم قالت :

- أنت تخفى على عفاف شيئاً . .

وكان هناك فعلا ما يريد أن يقوله . . شىء نسيته عفاف ولكن أحمد لم ينسه . . واستحثته على الإفاضة فقال :

- مراد يديننا بمائتى جنيه ياعفاف وأرى أن ننتهز هذه الفرصة فنرد له دينه .

وضمت عفاف شفتيها الحلوتين وأخرجت من بينهما صفيرا رقيقا جميلا أشبه ما يكون بصفير العصفور المغرد وهى تقول :

- كدت أنسى هذا والله يا أحمد .

- إذن تقرينني ولا مانع لديك . .

وقالت عفاف وكأنها تنكر منه مجرد الشك :

- مانع ! ! أى مانع ؟ ؟ هذا أوجب الواجبات يا أحمد . . إنه قبل كل

شيء . . كل شيء بأولوية مطلقة ولم يكن يجوز أن تسألني رأيي . . مرة أخرى أنت تملكني أنا فأنت تملك ما أملك . .

وضحكت وهي تغير الحديث .

– بهذه المناسبة . . هل حصلت على الدرجة الثالثة بأولوية مطلقة ؟

وضحك أحمد وربت خدها بأطراف أصابعه وهو يقول :

– يا صغيرتي العزيزة . . كنت أعرف دائماً أنك (شيء) رائع نادر الوجود .

واتخذ صوتها نبرة جادة وهي تقول :

– لا يجوز أبدا أن نظل مدينين لمراد أو لغير مراد . . لقد كان كريما حيالنا كرما بالغا فمن الإنصاف أن يرد له دينه مشكوراً .

واتفقا على أن يلتقيا ضحى اليوم التالي في جروبي عدلي باشا . . يستأذن هو لفسحة ساعة من الزمن يغادر في خلالها مكتبه ثم يمر بها في جروبي ليصحبها إلى مقر اتحاد المستشفيات لسحب قيمة الورقة الرابحة ثم يرافقها إلى أي مصرف لتودع المبلغ باسمها .

وابتسمت عفاف وهي تقول في فرحة حقيقية :

– أحمد . . من الغد ستكون كل معاملاتي بالشيكات ، واحتضنها أحمد وهو يقول :

– هذه أسعد ليلة في حياتي . . فأنت امرأتي . . حقيقة لا شك فيها . . وكل أمانيك قد تحققت . . وفزت بالدرجة الثالثة التي راوغتني حتى دوختني . . من يستطيع أن يقول إنه يدانيني سعادة ؟

وجمعها بين ذراعيه والتقط شفتيها بين شفتيه . . وراحت كفه تحاول كالعادة أن تجمع نهدها وقد عاودته حمى الرغبة وهوس العاطفة . . وكانت أطوع له من

خاتم حول إصبعه . . ولم تزد على قولها فى همس آسر عذب :

- تا . . . . نى ؟ ؟

وامتدت ذراعه فحرك غطاء المصباح الصغير الرابض بجانب الفراش على محوره فأصبح الفراش فى نصف الغرفة شبه المظلم .

٢٩

فى تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى . . كانت إحدى السيارات تحمل عفاف إلى بيت مراد بعد أن أتمت – بمعاونة أحمد – تلك المهمة التاريخية فى حياتها . . سحب قيمة الورقة الرابحة من خزانة جماعة اتحاد المستشفيات ثم إيداع المبلغ أحد المصارف بعد أن احتجز أحمد منه مائتى جنيه . . دين مراد عليه .

وكانت – السيارة تقطع بها شوارع الزمالك الهادئة – تفكر فى هذا الذى حدث . . كيف استطاع مراد أن يختار هذه الورقة بالذات من بين مليون ورقة موزعة بين أنحاء القطر ليهديها إياها . . لقد كان حديثه عنها يشى بشىء . . كان كمن يعلم أنها الورقة الرابحة دون غيرها . . فكيف حصل عليها ؟ إن هذاالرجل يحيرها . . لايزال يبهرها . . فى كل يوم يكشف لها عن جديد فى شخصيته الطاغية الآسرة . . إنها ملهوفة لتخبره بكل ماكان ولتعرف منه سر هذه الورقة العجيبة .

وقطع عليها وقوف السيارة استرسالها فى حل هذه الألغاز فأدت للسائق أجرته . . ونفحته عشرة قروش فوق ما يستحق فراح يدعو لها بالستر وطول العمر

بينما كانت تحكم إخفاء وجهها بالوشاح قبل أن تبرح السيارة . . كانت حريصة دائما على ألا يرى عبد المجيد – البواب - وجهها فهى لا تريد لأى مخلوق أن يعرف بترددها على هذه الدار .

وهبطت من السيارة وأسرعت بقدم ثابتة تعرف طريقها جيدا . . ووقف لها عبد المجيد رافعا يده محييا فى تعظيم وإجلال . . فدست فى يده ورقة مالية فئة الجنيه دون أن تسمعه صوتها .

وبسليقته . . ودون أن يعرفها أو يرى وجهها . . كان يعرف أنها تقصد المسكن رقم ٣ . . مسكن مراد .

ولم تمض ثوان حتى كانت أمام بابه . . فأخرجت من حقيبة يدها المفتاح الصغير ففتحت ودخلت وأغلقت خلفها فى هدوء . . ووصلت إلى أذنيها موسيقى كأنها آتية من مكان بعيد . . بعيد . . موسيقى رقيقة ناعمة كأنها الفجر الوردى نورا ورقة وجمالا . . كانت المرة الأولى التى تستخدم المفتاح الذى أعطاها مراد إياه فتدخل بيته دون استئذان كما لوكانت تدخل بيتها . . وكان الطابق الأول من المسكن هادئاً . . مرتبا . . منظما . . تشيع الأزهار من كل جوانبه شذاها فتملأ فضاءه عطرا ناعماً تتفتح له القلوب . . وتبينت شيئاً غريباً . . إن اضطرابها بدأ منذ وضعت قدمها فى السيارة وأمرت السائق بالانطلاق إلى الزمالك . . وظل هذا الاضطراب يتزايد ويتزايد كلما اقتربت من مسكن مراد . . إلى أن وقفت بها السيارة أمام بابه فبلغ بها ذروته . . ولكنها ما كادت تدخل المسكن – حتى بدأت تحس به يزايلها واستطاعت أن تلتقط أنفاسها المتلاحقة وتحس الهدوء يتسلل إلى نفسها . . وبدأت أعصابها المشدودة ترتخى وتعود إلى هدوئها الطبيعى . . ورفعت الوشاح عن وجهها واقتربت من السلم المؤدى إلى الطابق العلوى فاقتربت الموسيقى من أذنيها عما كانت

لحظة دخولها . . وبدأت تصعد الدرج . . ومع كل درجة تصعدها كانت الموسيقى تقترب منها فتزداد فى أذنيها وضوحاً .

وابتسمت . .

إنها ستفاجئه . . وهى تعلم مدى وقع هذه المفاجأة عليه . . ولم تكن تدرى أن المفاجأة الرهيبة فى انتظارها هى . .

فقد اخترق صوت زوجها قلبها قبل أذنيها وهو يقول :

– شكراً يامراد . . سأتركك الآن فقد طال غيابى . . وفى انتظارى كثير من الأوزاق فوق مكتبى للمراجعة .

وتسمرت فى مكانها . . وأحست بقلبها وقد توقفت دقاته . . كانت كالعصفور الصغير انقض الباشق فجأة عليه فشل حركته . . ولم تكن تستطيع العودة إلى الطابق الأول ثانية فهى عملية تتطلب سرعة غير عادية ولابد أن تحدث قدماها وحفيف ثوبها صوتا ينبه مرادا وأحمد إليها . . وإن هى حاذرت كيلا تحدث هذا الصوت فلابد لها من أن تهبط ببطء وفوق أطراف أصابع قدميها وفى هذه الحال سيلحق بها أحمد ومراد عند منتصف السلم .

مر كل هذا بخاطرها فى أقل من ثانية وأحمد يتقدم خارجا من غرفة نوم مراد . . إنها تراه . . إن هى إلا خطوة واحدة ويصبح أمامها . . وجها لوجه . . ومراد إلى جانبه .

ولمحت الباب المؤدى للحمام مفتوحاً فلم تتردد . . ودخلت فى سرعة الضوء . . واستندت إلى أقرب جدار لها وقد شحب وجهها واصفر وأسرعت دقات قلبها حتى خيل إليها أنه يكاد ينفجر فى مكانه من صدرها .

وأحست بأقدام مراد وأحمد تقترب من باب الحمام . . وسمعت زوجها يقول لصديقه :

– لحظة واحدة فى الحمام يامراد . . اتسمح لى ؟ وجاءها صوت صديقه .

– طبعا طبعا . . تفضل .

وغامت الرؤى فى عينيها . . وأحست أن شيئا ما يطفو فى معدتها وأنها تكاد تفرغ ما بها فأغمضت عينيها واستسلمت لقدرها التعس الذى يتعقبها على هذه الصورة من العناد الشاذ الغريب .

ولم تمض طرفة عين أو خفقة قلب من الزمان حتى سمعت مرادا يتم حديثه وقدم زوجها تعبر به الباب داخلا .

– أو . . اسمع يا أحمد .

ورأت يده – يد مراد – ترد أحمد عن الدخول وهو يقول :

– المياه مازالت تغمر الأرضية هنا فإننى لتوى فرغت من حمام الصباح . . وسيبتل حذاؤك فتعال إلى دورة المياه فى الطابق الأول . . إنها جافة نظيفة كالفل . .

وأحست بوقع قدمى زوجها وقد استدار عائدا ومراد إلى جانبه يتحدث إليه . . وبدأ النزول إلى الطابق الأول . . ومع كل درجة يهبطانها كان صوتاهما يبتعدان عنها . . ومرت دقيقتان قبل أن يصل إلى مسمعها صوت اصطفاق الباب فأيقنت أن زوجها قد بارح المسكن .

وانهلت دموعها . . وراحت تهتز فى مكانها قهرا وانفعالا . . وخيل إليها أنها تكاد تسقط ضعفا وإعياء فحطت بجسمها فوق مقعد صغير قريب من حوض الاستحمام واعتمدت وجهها بين كفيها وارتفع صوت نحيبها المكتوم .

وكان مراد قد عاد بعد أن ودع أحمد عند باب المسكن فصكت دموعها أذنيه وهو يمر بباب الحمام فتسمرت قدماه برهة . . وخيل إليه للوهلة الأولى أنها « ليلى » قطته . . تموء بصوت غريب . . واقترب من الباب فى خفة القط الحذر وقد أوجس خيفة وأرهف السمع فأيقن أن الصوت صوت بشرى – إنها عفاف . . تبكى . . فأسرع إليها فوجدها فى جلستها الذليلة فهتف بها :

– عفاف .

– وأحس أنها لا تقوى على الوقوف فحملها بين ذراعيه إلى غرفة نومه وأرقدها فى فراشه وخلع من قدميها حذاءها وراح يفركهما تارة ويقبلهما تارة أخرى . . ثم تناول كفيها وراح يضغطهما ويقبلهما وهو يخاطبها بأرق الكلمات .

وعاد إليها هدوءها بعد قليل ومسحت دموعها بمنديل كانت قابضة عليه بأصابعها فانحنى بصدره فوق صدرها وقبل فمها وخديها وعينيها وشعرها وهو يقول :

– مت ياعفاف . . مت . . أخبرينى . . ما هذه المفاجآت الإرهابية ؟

واعتدلت عفاف جالسة فى الفراش وهى تقول :

– أنت الذى مت ؟ ؟ وما عساى أن أسمى ما جرى لى إذن ؟ إنى لا أحس بنفسى .

ومدت له يدها . . وكانت كالثلج والعرق مازال يتصبب منها مختلطا بعطرها فرفعها مراد إلى شفتيه وراح يقبلها ويقبل أصابعها واحدا بعد الآخر ثم سألها ما الحكاية :

– وروت له عفاف ما حدث من لحظة أن افترقت عن أحمد بعد أن أودعت قيمة الورقة الرابحة فى أحد المصارف إلى أن فوجئت به أمامها . . فى غرفة نوم مراد .

وأكمل مراد حديثها قائلاً :

– لقد فاجأني بالزيارة ليرد لى المائتى جنيه . . ولقد حاولت كثيراً أن أقنعه بأن المسألة ليست على هذا القدر من الأهمية وأن المبلغ سواء كان معى أو معه فلا فرق بيننا فنحن إخوه . . ولكنه صمم على رده وأخبرنى أنك ربحت الجائزة الأولى فى نصيب اتحاد المستشفيات .

وتفكرت عفاف قليلا وهى تقول كمن تتساءل .

– إذن . . فلابد أنه وصل قبلى بدقائق .

– إنه فعلا لم يمكث هنا أكثر من خمس دقائق حضرت أنت فى خلالها وكان ماكان ووضعت عفاف كفها فوق صدرها وهى تقول :

– ياداهيتى . . لا تتصور يامراد ما أحسست به . . ثانية . . جزء من ستين من الدقيقة . . مرت بى كما لوكانت ستين سنة . . يامصيبتى . أنا رحت فى رجلى . . قلبى راح والحمدلله أنى لم أسقط مغمًى على وعادت تفكر ثانية وهى تتساءل .

– ولكن . . كيف وصل هو قبلى .

– ربما أنفقت بعض دقائق فى الطريق .

وسرحت عيناها قليلا ثم قالت :

– هذا صحيح . . السائق توقف قليلا ليزود سيارته بالوقود والماء . . وعجلاتها بالهواء .

– هذه عملية لا تستغرق أقل من عشر دقائق وربما أكثر .

– وأنا طلبت فى أثناء هذا فك عشرة جنيهات .

– وهذه خمس دقائق أخرى .

– لهذا وصل أحمد قبلى وهو لم يخبرنى أنه سيتوجه إليك مباشرة لإعطائك المبلغ

وأنا بدورى لم يخطر لى هذا أبدا . . تصورت أنه سيقابلك بعد الظهر أو غدا أو فى أى وقت آخر . ولكن أن يستقل سيارة ليصل قبلى .

وأزاحت الهواء بيدها الصغيرة وهى تقول :

– هذا آخر ماكان يخطر لى .

وضمها مراد إلى صدره ثانية وهو يقول :

– حصل خير . .

– خير ! ! يامصيبتى .

وتناول زجاجة قائمة فوق مائدة الزينة فصب منها قدراً فى كأس صغيرة قدمها لها وهو يقول :

– اشربى هذا . سيعيد إليك هدوءك .

وتناولت منه الكأس ومست حافتها بشفتيها ولكنه قال :

– دفعة واحدة . . اشربى الكمية كلها دفعة واحدة لتحدث الأثر المرجو .

وابتسمت عفاف . . ورفعت الكأس إلى شفتيها وأفرغتها بينهما دفعة واحدة ونظر إليها كما ينظر إلى طفلة صغيرة . . وقال والابتسامة الآسرة فوق وجهه .

– شاطرة .

واعتدلت عفاف – وكانت مازالت فى فراشه – فرفعت الوسائد خلف ظهرها ومدت ساقيها ثم عادت فضمت إحداهما ثانية بأن ثنت ركبتها وهى تقول :

– قل لى . . نسيت أن أسألك . . فتلك المفاجأة أنستنى ما جئت من أجله . . عندما أعطيتنى الورقة أمس . . كنت تتحدث عنها كما لوكنت تعلم أنها الورقة الرابحة .

وأشعل مراد سيجارة نفث دخانها خفيفا رقيقا وهو يقول :

- المسألة تتناهى ببساطة .

- ومع ذلك فإن تفسيرها أعجزنى .

اتصلت بصراف الجمعية وهو من معارفى فأوصيته بألا يصرف قيمة الورقة الرابحة لمن يتقدم بها . . بل يسرع بالاتصال بى عن طريق التليفون . وتم لى ما أردت . . فأسرعت إلى هناك وقابلت حامل الورقة الرابحة فأخذتها منه وسددت له قيمتها التى ستصرفها له خزانة الجمعية ثم أعطيتك إياها .

ومالت عفاف برأسها جانبا وارتسمت على وجهها علامات الدهشة كمن تستمع إلى خرافة يصعب تصديقها وسألته .

- تعنى أنك اشتريتها رابحة ؟

- وبعد السحب . .

واعتدلت فى جلستها بأن مالت بجذعها إلى الأمام وضمت ساقها الأخرى إلى أختها فأصبحت الاثنتان تحت ردفيها . . وسألته باهتمام أكثر .

- وسددت قيمتها لصاحبها الذى أخذتها منه ؟ ؟ سددت له ألفين ومائتين وخمسين جنيها ؟

وهز رأسه إيجابا وهو يبتسم . . فاقتربت منه وكان يجلس على حافة الفراش وكفاه تمران فى حنان وشوق فوق فخذيها . . وسألته ثانية :

-كل هذا من أجلى ؟

وأطفأ سيجارته فى جفنة من البلور قريبة منه واقترب منها . . وجمعها بين ذراعيه وراح يهصر عودها وهو يقبل كل ما تقع عليه شفتاه منها .

- وما ألفان ومائتان وخمسون جنيها ياعفاف . . كنت أتمنى أن يكون هناك سحبا أو اقتراعا على مبلغ أضعاف هذا حتى أقدم لك ورقته الرابحة . . لقد فكرت

طويلا فى الوسيلة التى أستطيع بها أن أقدم لك هذا المال دون أن يفطن أحمد لأى شىء أو يسألك مصدره إلى أن هدانى التفكير إلى هذه الوسيلة . . إنها على بساطتها لا يمكن أن تثير أى شك فى نفس أحمد .

– وضحكت عفاف وهى تقول :

– بساطتها ! ! هذه حيلة لا يتفتق عنها إلا مثل هذا الذهن . . ذهن عفريت ومست بأنملتها جانب رأسه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة القطة . . وكانت لا تزال بين ذراعيه وقد اقترب منها أكثر من ذى قبل . . وألصق صدره بصدرها وراح يمر بكفه فوق خصلات شعرها ثم فوق كتفيها . . وهبطت كفه إلى صدرها فجمعت أحد الكنزين الغاليين وشفتاه تعتصران الشهد من شفتيها . . وهبطت أصابعه الماهرة المدربة إلى أزرار ثوبها ومحابسه . . فخلت الأولى وزلقت الثانية . . ولم تكن أصابعه تخطئ أمكنة الأزرار أو المحابس أبدا حتى لو كان مغمض العينين . . تماما . . كما لو كان مصممها وصانعها ومنفذها بيديه .

وخفضت عفاف رأسها فانسدلت خصلاتها الفاحمة اللامعة فأحاطت بخديها وقد توهجت فوق كل منهما وردة عبقة نضرة . . وماتت الكلمات فوق شفتى كل منهما فساد الغرفة سكون لم يكن يتخلله إلا صوت أنفاسها وحفيف ثيابها التى بدأ مراد ينزعها عنها فى رقة ونعومة قطعة فقطعة حتى أصبحت فى ثوب حواء .

إلى أن همست فى أذنه . . وفى صوت تخنقه الرجفة .

– المرآة يامراد . . أرجوك .

فأمسك بقدمها الصغيرة بين كفيه ورفعها إلى شفتيه فقبل أصابعها وكاحلها ثم قام إلى المرآة الكبيرة فحجبها بأحد أغطية المائدة .

* * *

– خبريني . . كيف كان شعور أحمد عندما تبين أن الورقة قد ربحت الجائزة الأولى ؟

وكان مراد وهو يلقى سؤاله يقف خلف عفاف وقد جلست أمام مائدة الزينة تصلح ما أفسده – فى فراشه – من زينتها . . ونظرت إلى عينيه فى صقال المرآة أمامها وهى تقول :

– كانت دهشته أكثر من دهشتى . . كيف يواتينا الحظ هكذا على هذه الصورة . . كانت مفاجأة ضخمة لكلينا . . أنا أيضاً فوجئت برغم أننى كنت أحس أن وراء حديثك عن الورقة شيئاً .

وامتدت يد مراد إلى المائتى جنيه التى ردها أحمد إليه منذ قليل وكانت ملقاة فوق مائدة الزينة فالتقطها وأسقطها داخل حقيبة يد عفاف وهو يقول :

– هاتان المائتان تخصانك أنت ولا شأن لى بهما .

وكانت عفاف تمر . . فى هذه اللحظة . . بالقلم الأحمر فوق شفتيها . . فتوقفت يدها عن الحركة وأدارت وجهها إليه وهى تقول وقد أحست بالحرج .

– مراد . .

ولكنه لم يدعها تتم ما كانت تريد قوله فقد ختم على شفتيها بشفتيه فانتقل اللون الأحمر البرتقالى منهما إليه فإنه لم يكن قد جف بعد . . فضحكت وهى تقول :

– أصبح لى من يشاركنى استعمال هذا اللون الأحمر . . انظر إلى شفتيك فى المرآة .

وأنهضها عن مقعدها واحتواها بين ذراعيه ثانية وصك إحدى إذنيها بقبلة أسرت الرعدة فى كل جارحة من جسمها وهو يقول :

– إنى أفكر فى وسيلة أخرى غير ورقة النصيب من أجل مبلغ أكبر . .

وهمست فى أذنه :

- يا . . خبر . .

وكانت هذه إحدى كلماتها التى يحبها ويحب سماعها منها فقال لها :

-قوليها مرة أخرى . . أرجوك .

فألصقت شفتيها بأذنه وهى تهمس . . أرق همسا . .

- ياخبر . .

وهمس هو بدوره فى أذنها .

- المرة القادمة من أجل السيارة . . ألا تحبين أن تكون لك سيارة ؟

وباعدت ما بينها وبينه بقدر ما تستطيع أن تنظر فى عينيه . . ولمعت عيناها الآسرتان فقد سرى فى خضرتهما العذبة بريق غريب . . مزيج من الفرح واللذة والسعادة والإحساس بانتهاء الهموم من العالم كله . .

وكان ضعيفاً أمام عينيها . . أمام عينيها بصفة خاصة . . وتذكر قصة قرأها عن فتاة كانت مفتونة بحب البحر باتساعه وأبعاده وسحره وغموضه ومتاهاته وخضرة مياهه التى لا نهاية لها فكانت تقف بشاطئه الساعات الطويلة تتأمل هذا الجمال الغامض الساحر . . إلى أن ضعفت أمام هذا الحب العظيم الفريد وأحست برغبتها فى الفناء فى هذا الشىء الغامض الذى تحبه فألقت بنفسها بين أحضانه .

وكان لعينى عفاف فى قلب مراد ونفسه ما كان للبحر فى قلب ونفس الفتاة بطلة القصة . . إنهما كالبحر تماما . . بكل غموضه وسحره وعمقه وأبعاده . . الفرق الوحيد بين البحر وعينيها أنه يستطيع أن يصل إلى أحد شاطئى البحر ولو بعد شهور من التيه فوق صفحته . . أما عيناها فمتاهتان بلا شطئان يرسو فوق أحدهما مهما طال التيه به .

وأحس برغبته فى أن يفنى فى عينيها كما فنيت بطلة القصة فى البحر الذى أسرها فضمها إلى صدره ، وإحساسه فى أصدق صورة أنه يضم البحر الساحر العريض الجميل . . وأحس أن الحياة كلها . . بأسرها قد اختزلت وتجمعت فى هذه الضمة الناعمة الرقيقة . . وهمس فى أعمق أعماق قلبه .

– كلى لك ياعفاف . . قلبى وروحى ودمى وما ملكت يداى .

ورفع خصلة من شعرها بين أصابعه وألصق بها شفتيه .

وعادت إلى المرآة ثانية لتعيد إصلاح زينتها . . وجلس مراد قريباً منها يراقبها والفرحة بها وبوجودها بقربه تطل من عينيه . . وسألته وهى تجرى المشط بين خصلات شعرها :

– ألك علاقة بتاجر الأثاث بونتريمولى يا مراد .

واعتدل فى جلسته وهو يقول :

– طبعا . . أخبرينى بكل ما تريدين . . وسأوصى لتكون لك معاملة خاصة .

– إنى أريد تغيير أثاث بيتى كله . . سأبيع ما لدى وأستبدل به غيره وأريد أن يتولى بونتريمولى هذه العملية . . وأريد أيضاً مطهى . . لا أقول كمطهاك ولكن . . شيئاً مناسباً .

ورفع مراد مسمعة المسرة وأدار القرص وطلب أن يتحدث إلى بونتريمولى شخصيا . . ولم تمض ثوان حتى سمعته يتحدث إلى الرجل الذى طالما تمنت أن يصنع لها أثاث بيتها .

تحدث معه فى كل شىء . . فى عدد الغرف ونوع الأثاث وطرازه وألوانه . . والطنافس اللازمة ومصدرها والثريات والتحف . . لم ينس شيئاً . . ثم عرج فى حديثه على أثاثها القديم ومدى إمكان التصرف فيه . . وأخيراً سمعته يقول :

- هذا الأثاث كما لو كان لى شخصيا . . بل وأكثر . . ستحضرلك السيدة بشخصها . .

وانتقل الحديث عن السعر . . وفهمت أنه سيجرى لها خصم نسبة منه لم يسبق لغيرها أن فاز بها .

وأعاد مراد المسمعة إلى مكانها ثم رفعها ثانية وأدار القرص برقم آخر . . ولم تمض لحظات حتى فهمت أنه يتحدث إلى أحد مهندسى شركة الدلتا . . وفهمت أن مندوب الشركة سيصل إلى بيتها فى اليوم التالى ليرسم المطهى الانسيابى الذى يتناسب ومساحة مطهاها وأطوال جدرانه . . وما سيطبق على تعاملها مع بونتريمولى من حيث خصم نسبة معلومة من الثمن . . سيجرى مثله على تعاملها مع شركة الدلتا .

وأعاد المسمعة إلى المسرة مرة ثانية ثم رفعها مرة ثالثة وأدار القرص برقم ثالث جديد وبدأ يتحدث بالفرنسية حديثا هادئاً قصيراً . . وفهمت أنه يوصى بالثلاجة الكهربية وسخان الماء . . وسمعته يشكر لمحدثه خصم نفس النسبة من الثمن . . وأدركت أنه يتحدث فى هذه المرة إلى سيدة .

وأعاد المسمعة إلى المسرة للمرة الأخيرة والتفت إليها مبتسما وهو يقول :

-كله تمام .

وكانت هى شاردة شبه مذهولة لكل ما يجرى أمامها فسألته :

- ما هذا ؟ ما هذا كله ؟ أنت تعرف الدنيا كلها .

- اسمعى . . بونتريمولى لن يشترى أثاثك القديم ولكنه سيبيعه لحسابك بمعرفته وفى هذا أكبر ضمان لحصولك على أعلى سعر له . . وهذه خدمة شخصية بحتة لأنه لا يبيع غير صناعة مصانعه .

– وبعد .

– شركة الدلتا ستتولى أمر المطهى وأظنك سمعت كل شيء .

– نعم سمعت .

– مدام لينا . . سأعطيك عنوانها وسترسل لك الثلاجة الكهربية والسخان . . الثلاجة من نفس نوع ثلاجتى وطرازها .

وشهقت عفاف قائلة :

– ياه . . صحيح ؟

– ولكنها أصغر قليلاً . . ثلاجتى أنا سعة أربعة عشر قدما أما ثلاجتك فسعة عشرة أقدام فقط .

– أحسن . . إنها فوق كفايتى .

– وكل هذا مع خصم من الثمن أقله خمسة وعشرون فى المائة .

وابتسمت عفاف وهى تقول :

– كل هذا من أجل خاطرك . .

– بل من أجل عينيك .

وضمها إلى صدره وهو يقول :

– وإذا لم يكف ما معك من النقود . . فلا تحملى هم ذلك .

٣٠

تم لعفاف كل ماكانت تتمناه .

حقق مراد لها كل أحلامها التى كانت تراها ،فيا مضى مستحيلة التحقيق .

المسكن فى الحى الأرستقراطى الهادئ الجميل . .

الأثاث آية الذوق . . وعلى كل قطعة منه – وفى مكان غير ظاهر – بطاقة المتجر الكبير الذى قام بصنعه . . عنوان الرقى والامتياز .

الثلاجة الكهربية وسخان الماء والمسرة وقطعة أنيقة فاخرة من الأثاث تجمع المذياع وجهاز التسجيل والحاكى ومجموعة نادرة من المسجلات الموسيقية الراقصة وغير الراقصة .

المطهى الانسيابى بكل معداته وحاجاته .

لم يعد ينقصها شىء مما كانت تتحرق شوقا إليه .

لم يعد ينقصها إلا السيارة . . وقد وعدها مراد بها من تلقاء نفسه وهو حتما سيفى بوعده .

وبعد أن كان رصيدها فى المصرف يجاوز الثلاثة آلاف جنيه مجموع قيمة الورقة الرابحة مضافا إليها الأربعمائة جنيها التى أعطاها مراد إياها وثمن الأثاث القديم الذى باعته . . أصبح هذا الرصيد صفرا فقد استنزف تأثيث البيت كل قرش كانت تملكه .

ولكنها لم تأبه لهذا .

فليكن رصيدها صفرا أو تحت الصفر أى مدينة . . إن مرادا إلى جانبها ولن تحمل هم المشكلة المالية بعد اليوم .

وتغيرت حياتها تماما .

تغير أسلوب حياتها فقد كان مستحيلا عليها ألا تتطور مع الحياة الجديدة والوسط الجديد والمحيط الجديد وما يفرضه عليها من التزامات لا تستطيع التحرر منها .

ولم يمض وقت طويل حتى أدركت أن سكنى الزمالك تكلفها أضعاف ما كانت تكلفها سكنى شبرا . . فكل شىء هنا . كل حاجة . . كل ضرورة بضعف ثمنها أو بضعف قيمتها التى تعودت عليها . . الكواء يتقاضى عن كل قطعة يقوم بكيها ثلاثة أمثال ماكان يتقاضاه عم لوقا كواء شبرا . . الخضر والفاكهة بسعر مثلين أو ثلاثة أمثال . . القصاب لا يرسل لحما قابلا للأكل إلا إذا أجزلت له فوق الثمن المعلوم . . سائقو السيارات الخاصة يتسابقون نحوها لحظة أن تهل من باب المبنى . . كل يريد أن ينال الحظوة بأن تحملها سيارته . . ولم تكن تستطيع أن تردهم فأصبحت كل تنقلاتها – كلها بلا استثناء – بواسطة إحدى هذه السيارات الحافلة . . إنها لا تستطيع أن ترد من عليه الدور ، ليحملها فى سيارته ، خائبا وكانت دائماً تقول لنفسها :

- لن يلبث مراد أن يبر بوعده فيحضر لى السيارة .

والإكراميات مع كل خطوة تخطوها ومع كل يد ترتفع بالتحية لها ولجاهها . .

ولكل من يسرع ليفتح لها باب السيارة أو باب المصعد .

والمظهر بصفة عامة . .

مظهرها ومظهر زوجها ومظهر خادمتها « سيدة » التى لم يطاوعها قلبها على التخلى عنها فقشرتها وخلقتها خلقا جديدا فجعلت منها شيئاً لا عهد - لسيدة نفسها - به من قبل . . ولو استطاعت عفاف أن تغير لها جلدها ما توانت . . وخادم آخر نظيف مؤدب مهذب خفيض الصوت أكسبته معاشرة أهل الزمالك طويلا طابعا خاصا ترضى عفاف عنه تمام الرضا .

وأشياء أخرى كثيرة . . نثريات رفيعة نحيلة دقيقة لا تحسها اليد وهى تنفقها ولكنها تتسلسل أثر بعضها وتتجمع وتتكتل فإذا بها - فى النهاية - غول رهيب يواجه ذوى الدخل الضئيل المحدود بالحقيقة العارية . . نفاد ميزانية الشهر فى الأيام الأولى منه ووضعهم وجها لوجه أمام الحاجة والاستدانة . .

وتبينت حقيقة أخرى . .

إن مرادا لا يتوانى عن بذل حياته من أجلها . . هذا صحيح .

ولو سألته - عن طريق المسرة - ألفا من الجنيهات لأسرع بها إليها . . وهذا أيضاً صحيح . .

ولكنها لا تستطيع أن تفعل هذا فما عساها تقول لأحمد إذا سألها عن مصدر هذا المال .

وأحست أنها عادت من جديد زوجة موظف من موظفى الدولة محدود الدخل

لا يطلع عليه صباح اليوم الثانى من كل شهر حتى يتطلع فى حنين وشوق إلى أول الشهر الجديد . . فهو لا يزيد ولا يمتاز عن عشرات الألوف من أقرانه وزملائه موظفى الدولة الذين لا يعرفون أول الشهر إلا على أنها الساعات الأولى من نهاره ومرتباتهم مازالت فى جيوبهم تنتظر الأيدى التى تتقاسمها .

هى أيضاً كذلك . . لا تزيد عن زوجة أى زميل لزوجها أحمد .

هل أخطأت غندما بددت هذه الآلاف الثلاثة فسددتها ثمناً لأثاث ورياش وكماليات لم تكن بحاجة إليها .

لقد نصحتها شقيقتها أمينة بألا تفعل هذا . . أشارت عليها بشراء الثلاجة الكهربية وسخان الماء وموقد الغاز وحسب فهذه ضرورات ولن تكلفها أكثر من أربعمائة جنيه . . وأن تحتفظ بالمال المتبقى لتنتفع به فى وجه آخر . . ولكنها لم تسمع لشقيقتها . . كانت تريد أن تدخل بيتها فتحس نحوه عين الإحساس الذى يملأ نفسها إذا ما دخلت بيت شقيقتها أو أى بيت آخر من البيوت المشهود لها بآيات الذوق والترف . . إنها ليست أقل من أولئك وهؤلاء وانتهت إلى أنها فعلت عين الصواب . . ولو عاد كل شىء لما كان عليه . . والثلاثة آلاف جنيه قابعة فى المصرف لفعلت عين ما فعلت . .

إنها على الحديدة . . هذا صحيح . . ولكن . . لابد أن هناك حلا . . إن مرادا لن يتركها هكذا . . إنها لا تدرى كيف يكون هذا الحل ولا ما هو على وجه التحديد . . ولكنها تعرف عن يقين أنها لن تحار فى تدبير شئونها . .

وأحس مراد بضائقتها المالية فقدم لها حافظة نقوده .

ورجاها أن تأخذ ما تشاء . . ولكنها أفهمته أنه يستحيل عليها أن تأخذ مبلغاً

يلفت نظر أحمد فقد كانا دائماً حذرين غاية الحذر ويحسن بهما أن يظلا على حذرهما . .

وأقر مراد وجهة نظرها ووعدها أن يدبر لها سبيلا جديدة ليعطيها علانية وأمام زوجها مبلغا كبيرا من المال .

٣١

وكانت علاقتها به قد قطعت شهورا ترددت عليه فى خلالها عشرات المرات . . ولم تعد تحس للخطيئة تلك الرهبة التى كانت تحسها من قبل . . كانت فيما مضى – فى أو عهدها بالتفريط – تجلس إلى جانبه فوق الفراش . . تتحدث إليه ويتحدث إليها . . فى أى شىء . . وقد يكون فى الغالب غير ذى بال . . ثم تمتد ذراعاه ليعانقها وليضمها إلى قلبه وهو يهمس فى شفتيها وعينيها وأذنيها بأرق وأجمل وأعذب ما تمليه عليه عاطفته ورغبته واشتهاؤه ثم تهبط كفاه إلى أزرار ثوبها ومحابسه فتنزلق هذه وتفك تلك وهى صامتة خافضة الرأس وقد تسارعت دقات قلبها . . كانت تتركه ينزع عنها ثيابها بيديه قطعة فقطعة . . دون أن تحرك إصبعا من أصابعها . . إنها لاتنزع ثيابها عن جسدها بيديها .

ولكنه هو . .

هو الذى يقوم بهذه العملية وهى لا تشاركه فيها أبدا فإن يديها وأصابعها تعصيها .

إنها لا تجرد نفسها بنفسها . . ولكنه هو . . هو لا هى . .

وأحيانا كانت تكبده بعض المشقة والعناء فى تجريدها من بعض قطع ثيابها بطريقة سلبية فلا تميل بجسدها يمينا أو يسارا لتسهل عليه مهمته أو لا تقف حتى ينضو عنها ما لابد من وقوفها ليجردها منه . . ومن الغريب أنها كانت تحس لهذا الذى تكبده إياه بعض الرضا . . وتقنع نفسها أو تحاول أن تقنعها بأنه هو الذى يفعل هذا وأنها تقاومه وتعاكسه وتحاول رده أو صده . . ولكنه هو . .

هو الذى يصمم ليدأب ويثابر ويلح .

هو الذى يفعل هذا . . لا هى . .

إلى أن تصبح بين ذراعيه كما ولدتها أمها . . لحما بضا ناعما شهيا . . فتهمس فى أذنه أن يحجب المرآة . ولم تكن تجرؤ على أن تقول له هذا قبل أن يجردها حتى لا تتهم بنفسها بأنها على استعداد وتهيئ لما سيجرى لها . . كانت دائماً تختبئ وراء جهلها الذى تصنعه بنفسها لنفسها . جهلها بأن شيئاً سيحدث . . وكانت تعلم دائماً أن هذا الشيء سيحدث حتماً . . ولكن بقية من حياء كانت تحول دونها ورجاءه أن يحجب المرآة إلا بعد أن ترى ألا حيلة لها وأنها أمام واقع الأمر . . إنها عارية بين ذراعيه .

كان هذا إحساسها نحو الخطيئة فى أول عهدها بها . .

فيما مضى . . لم تكن تقدم عليها إلا خائفة وجلة ، متوجسة – فى كل خطوة تقترب بها من بيته – شرا . . ومن عجب أنها كانت تحرص دائماً – كلما ذهبت إليه – على ألا تنسى المصحف الذهبى يتدلى من عنقها فى سلسلته الذهبية الرفيعة ليحفظها ويحرسها ويسترها ويرد عنها ببركته شر الغيب والمجهول . والمصحف الصغير الآخر فى حجم نصف كفها فى قاع حقيبة يدها يزحمها مع محتوياتها الكثيرة . . لم

تكن تتخلى عنها أبدا . . هذا فى حقيبة يدها وذاك حول عنقها . .

ولكنها الآن غير ما كانت عليه من قبل .

أصبحت تدخل عليه مخدعه بكل جمالها ودلالها وزينتها وعطرها فتلقى بحقيبة يدها فوق المنضدة الصغيرة القريبة من فراشه . . وتبدأ فى التجرد من ثيابها بيديها . . قطعة فقطعة وهو يدور حولها كا (الدبور) يرف بجناحيه حول قرص الشهد .

كانت تنزع – أول ما تنزع – القرط من أذنيها ثم السوار والساعة من معصميها – والمصحف الذهبى من حول عنقها ثم الدبابيس المزدوجة الصغيرة من شعرها لتلقى بكل هذا بجانب حقيبة يدها فوق المنضدة الصغيرة .

ثم . .

وهى تنضو عنها ثوبها ، تخلص قدميها من الحذاء وهى واقفة دون أن تنحنى أو تمسه بيدها .

وكان مراد يحب منها هذه الطريقة التى تخلع بها حذاءها .

وفى لحظات تبدو أمامه وقد تجردت تماما إلا من ورقة التوت . . فيقترب منها ويحتويها بين ذراعيه ثم يحملها إلى فراشه .

كان يحب – دائماً – أن تدعه يسحب بيديه هذه القطعة الأخيرة من ثيابها عن فخذيها . . أو عن . . ردفيها .

وتعلمت هى هذا منه فكانت تتركها له .

ولم تعد تحفل بأن تذكره بإخفاء المرآة الكبيرة المقابلة للفراش كما كانت تفعل من قبل وأصبحت تكتفى بتجنب النظر إليها وهى بين ذراعيه . . وإن حدث ووقعت عيناها على خطيئتها معكوسة فوق صقالها . . حولتها عنها فى فتور دون أن يتحرك فى

أعماقها ذلك الشيء الذى زلزلها يوم خطيئتها الأولى فصرخت به تسأله أن يغطيها بأى شيء يخفيها .

* * *

إلى أن كان يوم . .

دق جرس المسرة فى مسكن عفاف . . وكانت الساعة تشير إلى منتصف الثانية بعد الظهر . . فرفعت عفاف المسمعة . . وكان المتحدث زوجها أحمد . . وفهمت منه أنه لن يتناول طعام غذائه فى المنزل فإن هناك ما يشغله ويهمه وما قد يستغرق منه بعض ساعات بعد الظهر .

وفرزت أذن عفاف من بين نبرات صوت زوجها نبرة قلق وحيرة وزهق فسألته ما به . . فلم يزد على قوله :

– لا شيء . . لا تقلقى .

وعادت فسألته متى يعود فأجابها بأنه لا يستطيع أن يحدد ساعة عودته بالضبط ولكنه سيحاول ألا يغيب كثيرا .

وأعاد كل منهما المسمعة إلى مكانها وبدأت عفاف تفكر .

إن صوت أحمد مضطرب . . إنه يعانى شيئا دون شك فما هو ؟ أيكون قد فطن إلى علاقتها بمراد ؟ ولكن هذا مستحيل فإنها ومرادا كانا دائماً حريصين حذرين غاية الحرص والحذر ولم يصدر عن أيهما مرة ما قد يشم منه – مجرد الشم – ما يكشف علاقتهما أو يشى بها .

أيكون معتل الصحة ؟

أيكون إرهاق العمل وبعض متاعبه ؟

أيكون الضيق المالى الذى بدأ يحاصرهما منذ شهور وهى تعرف ما تعرف عن

حساسية أحمد الشديدة المرهفة إذا بدأ يواجه المشكلة المالية ؟

– إن حياتها فى الزمالك قد تغيرت كثيرا عنها فى شبرا . . هذه حقيقة لا تقبل المناقشة . .

ولكنها تذكرت أن أحمد لم يشك لها فى خلال الأسابيع الأخيرة عسره المالى . . كانت تلاحظ عليه فقط ، عصبيته وسرعة انفعاله . . إذا جلس ليتناول طعامه تناوله بسرعة وكأنه يؤدى مهمة لا مفر له من أدائها . . إذا اصطحبها إلى السينما لاحظت وهى تجلس بجانبه أنه لا يتتبع القصة المعروضة كما يتتبعها المشاهد العادى الذى اشترى التذكرة ليتمتع بمشاهدتها . . وظهر على وجهه الإرهاق ، وحول عينيه الذبول وفى وصوته الملل وأصبح يبدو – والشحوب يكسو وجهه – كمن لم ينم منذ ليلتين .

وحارت فى تعليل كل هذا وراحت تدور فى غرف مسكنها وقد أحست بقلق لا تدرى مصدره يزحف إلى صدرها . . وعادت إلى المسرة فرفعت المسمعة وأدارت القرص برقم مراد ولم تمض ثوان حتى حملت لها الأسلاك صوته . . وأخبرها أنه كان يريد أن يتصل بها ولكنه أرجأ هذا فالساعة غير مناسبة والاحتمال كبير أن يكون أحمد قد عاد من عمله ولن يستطيع أن يتحدث إليها كما يحب ويشتهى .

وأخبرته عفاف بأن أحمد لن يتناول غداءه معها ثم روت له تفاصيل المحادثة القصيرة التى دارت بينها وبينه عن طريق المسرة . . وأفصحت له عن هواجسها وخوفها من أن يكون أحمد قد أحس بما بينهما . . ولكن مرادا طمأنها وأعاد الهدوء إلى نفسها عندما أخبرها أنه يعلم سبب قلق أحمد وأنه – أى هذا السبب – بعيد كل البعد عن علاقتهما .

وحاولت عفاف أن تعرف هذا السبب ولكن مرادا لم يجبها جوابا صريحا شافيا

غير أن عفاف قد أدركت أنها مسألة مالية وأن مرادا - كرما منه - لا يريد أن يظهرها على عجز أحمد وأنه يمر بمأزق أو ضائقة . . وختم حديثه بقوله :

- كل شيء سيسوى الليلة . . أنت تعرفين مقدار أحمد عندى . . إن قدره من قدرك .

وأضاف قائلاً :

- لقد أعددت لك وله مفاجأة ظريفة .

وسألته عفاف فى لهفة :

- أية مفاجأة ؟

- اسمعى ألم يتصل بك الآن ليخبرك أنه لن يحضر إلى المنزل ساعة الغداء .

- نعم .

- البسى إذن بسرعة وتعالى إلى وشاب صوتها شيء من التردد وهى تقول :

- الآن يامراد .

- لا أجمل ولا أحسن منها . . سأعد لك طعاما خفيفا نتناوله معا فى غرفتى وأطلعك على المفاجأة التى أعددتها لك ولأحمد .

ولم يترك لها الفرصة للتردد فختم حديثه بقوله :

- المفاجأة شيء وعدتك به ولم يؤخرنى عن الوفاء بوعدى إلا تفكيرى فى الاهتداء إلى الوسيلة .

وهتفت عفاف فى فرح :

- السيارة ؟ ؟

- لن أقول لك إلا وأنت بين ذراعى .

* * *

٣٢

وكان اليوم حارا . . أحد أيام أكتوبر التى لا تقل درجة الحرارة فيها عن متوسطها خلال شهرى يوليو وأغسطس . . فأسرعت عفاف إلى الحمام فابتردت محاذرة أن يبتل شعرها ثم اختارت ثوبا بسيطا جميلا ارتدته بلا قميص تحته فالتصق بلحمها ليرسم كل تفاصيل جسمها ومفاتنه . . لم تكن ترتدى أكثر من قطعتين هذا الثوب . . والقطعة الأخرى . .

وحملتها إحدى السيارات إلى منزل مراد . . وقبل أن تهبط منها أحكمت - كعادتها - وضع الوشاح فوق وجهها فأخفته تماما . . إن البواب لم ير وجهها أبدا . . لم يره مرة واحدة برغم تكرار ترددها فقد كانت - دائماً - حريصة غاية الحرص على ألا يرى وجهها أو يعرفها . .

كل الزوجات اللواتى على علاقة بغير أزواجهن يفعلن هذا . .

وأسرع واقفا تحية لها فدست فى يده - كعادتها - جنيها فارتفع صوته بدعواته التى لا تتغير :

- ربنا يخليك ياست هانم .

ولم تكن تخاطبه بكلمة أو حتى ترد تحيته فرقت كعادتها مسرعة إلى السلم وتخاطفت قدماها درجاته وفى ثوان كانت أمام باب مسكن مراد فأخرجت المفتاح من حقيبة يدها وفتحت ودخلت وأغلقت الباب خلفها ووقفت ترفع الوشاح عن وجهها وتسترد بعض هدوئها . . وسمعت صوت مراد فى الطابق العلوى يناديها . .

- عفاف . .

كان صوت اصطفاق الباب قد وصل إلى أذنيه .

وصعدت عفاف الدرجات وإذا بمراد ينتظرها عند أعلى الدرج فاتحا لها ذراعيه فاحتواها بينهما وضمها إلى صدره ودخلا غرفته وهو يحيط خصرها بساعده . . وأخرجت من حقيبة يدها علبة البودرة ففتحتها وراحت ترطب بها وجهها وتصقل زينته من جديد ولكن مرادا سحب العلبة من بين يديها قبل أن تتم حاجتها منها وأغلقها وألقى بها فوق مقعد كبير فى أحد أركان الغرفة وهو يقول :

- لست فى حاجة لهذا يا عفاف .

- عرقانة يامراد . .

- إنى أحب عرقك . . أحب رائحته فهى أشد سحرا من أى عطر وأحب طعمه فهو بين شفتى شهد مصفى .

وكان على المنضدة الصغيرة صينية من الفضة تحمل طعاما لاثنين وزجاجة ويسكى وكأسين ووعاء فضيا مملوءاً بمكعبات الثلج وزجاجتين من ماء الصودا .

ولم تأكل عفاف كعادتها ولم تمس كأسها التى ملأها مراد لها برغم إلحاحه عليها لتشربها فظلت كما هى .

وفرغ مراد من طعامه وشرابه ولم يكن ممن يفرطون فى الشراب ثم مد لها ذراعيه

مبتسما فألقت بنفسها بينهما وسألها وهو يطوف بشفتيه بين شفتيها وخديها وعنقها وعينيها وأذنيها .

- ألا تريدين أن تعرف ما هى المفاجأة . .

فاعتدلت بين ذراعيه وهى تقول :

- صحيح . . ما هى المفاجأة ؟

- أولا . . ما رأيك فى سيارتى كيف ترينها ؟

- وهل هذا سؤال ؟ إنها من طراز هذا العام .

- ولكن أريد تغييرها .

- أرجوك أن تفصح .

- اسمعى . .

وفتح درج مائدة الزينة وأخرج منه قطعة من الورق المقوى فى مساحة تقويم الحائط . . بها مائة صورة صغيرة مختلفة تحت كل منها دائرة صغيرة تحيطها ثقوب دقيقة كتلك التى تفصل بين طوابع البريد وبعضها فإذا ضغط الإنسان وسط الدائرة بخنصره أو بقلم رصاص أو بأى جسم مدبب رفيع . . انفصل جسم الدائرة عن محيطها وخلفت ثقبا مستديرا يرمز إليه بالرسم الذى يعلوه . . وفى أعلا هذه الرقعة من الورق مساحة صغيرة مزدوجة . . إذا فتحت وجد بين وجهيها رسم واحد من المائة رسم المبينة فوق صفحتها .

- هذه إحدى مشتقات ألعاب الحظ والنصيب ياعفاف .

قالها مراد وهو يتأهب لشرح غايته .

واعتدلت عفاف أكثر مما كانت فقد أحست أن مرادا قد بدأ حديثه الجاد .

- هنا مائة دائرة صغيرة . . كل دائرة يعلوها رسم . . انظرى . . هذا قلم . .

هذا تمساح . . هذا مصباح . . هذه محبرة . . هذا كلب . . هذه شجرة . وهكذا . . أنا أريد أن أبيع سيارتى . . ويرضينى أن أبيعها بألف جنيه مثلا . . فأقول لك ادفعى عشرة جنيهات واختارى صورة من هذه الصور واثقبى الدائرة التى تحتها واكتبى اسمك عليها . . وهكذا . . كل من يريد أن يشترك فى هذا النصيب يدفع عشرة جنيهات ويختار رسما يثقب دائرته ويكتب اسمه عليه . . وبعد أن يتم بيع المائة رسم نفتح هذا المخبأ الصغير فنجد بداخله إحدى هذه الصور فيكون صاحب هذه الصورة هو صاحب النصيب . . أعنى يربح السيارة . . مفهوم ؟

– مفهوم جدا .

– لقد بدأت التوزيع فعلا .. أصدقائى ومعارفى . . لم أكد أعلن هذا بينهم حتى أصابهم صرع الرغبة فى كسب سيارتى بعشرة جنيهات . . الليلة سأقابل أحمد وسأبيع له صورة و . .

وقاطعته عفاف سائلة :

– وكيف تضمن أن أحمد سيختار الصورة الرابحة .

– هذه مسألة تتناهى سهولة . . إنى سأفتح هذا المخبأ بطريقة خاصة بحيث يسهل إعادته إلى ما كان عليه تماما بعد أن أعرف الصورة الرابحة وأطلب من أحمد أن يختارها .

– تعنى أنك ستغش كل من سيشتركون فى اللعبة .

– كلهم غجر . . وما من واحد منهم لم يستغلنى مرة .

– أنت ؟ ؟ ممكن أن يضحك على ذقنك إنسان ؟ ؟

– برضائى طبعا . . أعنى أدعه يعتقد أنه استغفلنى وأنا فى الحقيقة أعلم كل شىء . .

وفكرت عفاف قليلا وهى تقول :

-كم من الوقت يستغرق توزيع هذه الدوائر؟

- لا تهتمى لهذا . . عشرة جنيهات يدفعها أى وغد ممن سيشتركون فى العملية لا قيمة لها أبدا أمام احتمال كسب سيارة لاتباع بحالتها الراهنة بأقل من ألفى وخمسمائة جنيه .

وشهقت عفاف وهى تقول :

- ألفان وخمسمائة ! ! !

- طبعا . . ولهذا فكرت أنا فى هذه الوسيلة . . وبمجرد السحب وفوز أحمد بها تستطيعين بيعها بهذا المبلغ . . ثم تشترين سيارة صغيرة بألف جنيه وتحتفظين بالباقى .

وأحاطت عفاف عنقه بذراعيها وراحت تقبله وهى تقول :

- أنت فعلت وتفعل من أجلى الكثير يامراد .

- ليس أكثر مما أعطيتنى ياعفاف . . اسمعى . . الجديد فى الأمر أننى سأصارح أحمد بحقيقته .

- وكيف ؟

- يجب أن أخبره أننى سأفتح هذا المخبأ لأطلع على الصورة الرابحة التى سيثقب دائرتها ويكتب اسمه فوقها . . أعنى سأخبره أنى أريد له الكسب عامداً حتى لا يخالجه أى شك عندما يجد نفسه قد ربح السيارة .

قد يتساءل عن هذا الخط الغريب فيربط بين ربحك أنت الثلاثة آلاف جنيه وربحه هو السيارة .

- تعنى أنك ستفهمه أن هناك مؤامرة بينك وبينه على المشتركين فى العملية ؟

- بالضبط .

- وهل يرضى أحمد ؟

- ولم لا ؟

- يخيل إلى أنه قد يعتذر ففى خلقه - كما تعلم - شىء من الوعورة .

- سأتولى إقناعه . . ومادامت السيارة سيربحها حتما أحد المشتركين . . فلم لا يكون هو ؟ إنه أولى من الجميع . . أولى من أى واحد منهم . . كلهم لديهم سياراتهم . . أما هو ففى حاجة لها أو لثمنها . . ملعون أبوهم جميعا . . إن ظفره برقابهم كلهم .

وضحكت عفاف لطريقته فى التعبير عن رأيه فى أصحابه ومعارفه . . وضمها إلى صدره وهو يقول فى حنان صادق :

- لو ملكت القمر ياعفاف لوضعته بين يديك .

وخفضت عفاف رأسها وهى تقول :

- أنا عارفة يامراد . . كل هذا من أجلى .

وامتدت أصابعه إلى المحبس الجانبى فى ثوبها فجذبه فارتخى الثوب عن خصرها بعد أن كان مشدوداً عليه كالرق .

وارتفعت يد عفاف فنزعت القرط من أذنيها ووضعته فوق المنضدة الصغيرة بجانب حقيبة يدها . . ثم خلعت الساعة من معصمها الأيسر والسوار من الأيمن والمصحف الذهبى من حول عنقها والدبابيس من شعرها وألقت بكل هذا إلى المنضدة الصغيرة .

هذا . . وهو يفك أزرار ثوبها ومحابسه حتى لم يعد إلا أن تنضو عنها ثوبها .

وتخلصت من حذائها على النحو الذى يعجبه وهى تبتسم له ابتسامة القطة . . ولم تمض ثوان حتى كانت فى فراشه . . عارية بين ذراعيه والمرآة مكشوفة أمامها

والمذياع فى ركن بعيد من الغرفة تنبعث منه موسيقى خافتة ناعمة .

-كأنى لم أكن معك بالأمس . .

قالتها عفاف فى صوت هامس مثير ومراد يعصر مفاتن جسمها بين شفتيه . .

فأجابها وقلبه يطل من عينيه :

- لا أمس لى ولا غد ياعفاف . . إن حياتى وكيانى ووجودى . تلك اللحظات التى أراك بجانبى فى خلالها . . إنى لا أشبع منك أبدا . . أبدا . . أريد أن أفنى فيك وأن تفنى فى . . إنى أتصور دمى يجرى فى عروقك ودمك يجرى فى عروق . . أجرح إصبعى وتجرحين إصبعك ونلصق كلا من الجرحين بالآخر فترة من الوقت . . دقيقة تكفى لأن تتسرب قطرة من دمى إليك وقطرة من دمك إلى وارتفع بجسمه عنها قليلا واقترب بوجهه من وجهها وأطال النظر فى عينيها . . فى أعماق عينيها الخضراوين . . وسمعها تقول فى صوت نحيل كأنه آت من بئر عميقة مجهولة العمق :

- إذا كان هذا يسعدك . . نفعلها معا قبل أن أتركك . . أنا أجرحك وأنت تجرحنى ونلصق الجرحين ببعضهما إلى أن نتبادل هاتين القطرتين من دمى ومن دمك .

فضم ما بين عينيه وهو يقول فى حنو عميق :

- قلبى لا يطاوعنى أن أمسك الموسى لأجرح إحدى أصابعك مهما كان الجرح صغيراً وغير ذى خطر .

وأغمضت عفاف عينيها ولم تقل شيئاً فقد رأت فى عينيه اللحظة الكبيرة المقبلة . . كان يغلى رغبة وشبقا بلغ به حد السعار . . كان يحس بشرايينه وأوردته كما لو كانت ضاقت بضغط دمائه وغليانها وأنها تكاد تنفجر فتدمره .

وكان لفرط حبه لعفاف ولفرط إحساسه بجمالها وبسعادة اللحظات التى يمضيها

بين ذراعيها يستعذب هذا العذاب . . هذه اللحظات التى تسبق وصالها . . وكلما أطال هذه اللحظات فى هجير شوقه إليها وهى مختفية فى حضنه كلما تضاعف إحساسه بظل الجنة بمجرد أن يطرق أعتابها وكان لابد أن تجىء هذه اللحظة الكبيرة فأصبحا جسما واحدا . . وسادتهما لغة الأنفاس التى بدأت هادئة منتظمة راتبة . . ثم شيئا فشيئا فشيئا . . راحت تتسارع وتتلاحق وتضطرب وشفتا مراد تعتصران من أحد نهديها خلاصة الشهد .

وفجأة . .

ولحظة أن كان يمنحها بعض دمه وكل عضلة فى جسمه وكل عصب وكل غدة تتناهى - جميعا - يقظة وحيوية . .

فجأة . .

هوى فوق صدرها بكل ثقله فسقط رأسه جانبا وارتخت ذراعاه وهرب نهدها من بين شفتيه مجهدا ملتهبا تبرق قمته تحت طبقة من لعابه .

وصرخت عفاف فى صوت مبحوح .

- مراد .

وأمالت رأسه بيدها ونظرت فى وجهه فإذا بعينيه مفتوحتين تنظران إليها ولكن . . بلا نور . . بلا بريق . . بلا حركة . . بلا حياة . وصرخت ثانية .

- يامصيبتى . . مراد . .

ولم تكد تتحرك تحته حتى سقط رأسه فوق الفراش بلا حراك . . وصرخت مرة ثالثة وفى صوت متحشرج .

- مراد . . مراد . . يامصيبتى . . مراد . .

وأمسكت بمعصمه محاولة أن تختبر نبضه فلم تشعر بنبض الحياة تحت

أصابعها . . وضربت صدغيه بكفيها عدة ضربات خفيفة وهى تصيح به .

– مراد . . مراد . .

ورددت شفتاها دون وعى منها .

– مات . . مات . . يامصيبتى . .

وسحبت جسمها وقفزت عن الفراش وكل جارحة فيها ترتعد . . ودست قدميها فى حذائها ولم تكد تسير خطوة واحدة حتى أحست أنها ستسقط أرضا فتبينت أنها وضعت قدمها اليمنى فى مكان اليسرى واليسرى فى مكان اليمنى فأسرعت وأعادت وضع قدميها فى حذائها الوضع الصحيح .

وكانت عارية . . عارية كما ولدتها أمها . . .

فأسرعت إلى المشجب فخطفت ثوبها ودخلت فيه وراحت تقفل أزراره ومحابسه بأصابع ترتعش رعبا وفزعا ودست كفيها فى قفازها الشفاف الرقيق وفتحت حقيبة يدها وراحت تلقى فى داخلها بأشيائها الصغيرة التى كانت خلعتها قبل أن يحتويها ومرادا فراش الموت .

وأحست بقلبها يكاد يتوقف عن حركته عندما سمعت خلفها صوت حركة صغيرة فالتفتت مذعورة فإذا بليلى – قطة مراد السوداء – واقفة بباب المخدع تموء بصوت ضعيف .

فى هذه اللحظة . .

فى هذه اللحظة بالذات التى التفتت عفاف إلى الخلف لتتبين مصدر الحركة التى كادت تشل قلبها رعبا . . كانت يدها على بعض أشيائها الصغيرة القرط والساعة والسوار والمصحف ودبابيس الشعر . . كل ما خلعته وتجردت منه قبل أن تصعد إلى الفراش لتمنح مرادا نفسها مرة الوداع . . وألقت بكل هذا فى حقيبة يدها دون أن

تنظر إليه . بلا وعى ولا تفكير ولا تدبير فقد كانت عينها على القطة التى أخافتها . .

ثم ضغطت فكى الحقيبة وأسرعت إلى المرآة فأمسكت بشعرها وجعلت منه فى ثوان تلك الضفيرة الواحدة الغليظة . . إنها أبسط وأسرع تسريحة تلجأ إليها لتستطيع أن تخرج إلى الطريق فلا تلفت إليها الأنظار بشعر محلول مهوش غير مرتب .

والتقطت عن أحد المقاعد منشفة نظيفة وهمت بأن تمحو عن شفتيه الذابلتين الباردتين أثر الطلاء البرتقالى الذى أنتقل إليهما من شفتيها . . ولكنها توقفت قليلاً ثم ألقت بالمنشفة بعيدا وأخرجت من حقيبة يدها منديلها الصغير فأزالت به هذا الأثر .

كانت تعرف أنها الوحيدة فى القاهرة التى تستعمل هذا اللون غير المألوف ومن يدرى ما يتمخض عنه الحادث وما قد يؤدى إليه التحقيق . . إنها تريد أن تتجنب أية شبهة . . بل يجب أن تتجنب أية شبهة . . وأحمر شفتيها هذا بمثابة إصبع مضيئة تشير إليها فى مقام البحث والتقصى . . إنهم سيبحثون طبعا وسيتقصون فعليها أن تخرج من هذا المأزق خروج الشعرة من العجين .

وكان المذياع لا يزال يبعث تلك الموسيقى الخفيفة الهادئة فأسرعت وأدارت مفتاحه إلى اليسار فصمتت الموسيقى . . ولكنها عادت بعد تفكير قصير فأدارته ثانية إلى اليمين فانطلقت الموسيقى من جديد . . إنها تريد أن تترك المكان كما لو أن شيئاً لم يحدث حتى إذا اكتشف الأمر لم يجد المحققون فى ملابساته ما يدعو للريبة فى أن الوفاة قد فاجأته كما يجوز أن تفاجئ أى إنسان غيره فيطوى الحادث فى دقائق .

والتقطت حقيبتها وبدأت تتسلل خارجة من الغرفة فى خفة القط . . كانت تعلم أن المسكن خال . . ولكنها أرهفت سمعها جيدا قبل أن تبدأ هبوط الدرجات إلى الدور الأول . . فلما اطمأنت إلى هذا السكون الشامل بدأت النزول فوق أطراف أصابعها .

أى صوت كانت تحدثه قدماها أو حفيف ثوبها كان يصل إلى أذنيها كما لو كان دويا يمزق هذا الصمت المميت .

وأحست بحلقها يكاد يتشقق جفافا . . إن لعابها قد جف فى فمها رعبا . . ودمها توقف فى أوعيته وشرايينه من الخضة . . ورفعت يدها تمس بأصابعها رقبتها محاولة أن تستنشق نسمة هواء . . إنها فى حاجة لقطرة ماء بارد تجرى بها ريقها الذى نضب فاتجهت إلى المطهى ففتحته ودخلت وجذبت باب الثلاجة الكهربية والتقطت إحدى زجاجات الماء المثلج . . وإذ همت برفعها إلى شفتيها صك أذنيها صوت المفتاح يدور فى الباب المفضى من المطهى إلى السلم الخلفى للبناء . . السلم الخاص بالخدم . . وأحست بقلبها يسرع إلى قدميها . . إلى أصابع قدميها . . وخطر لها ألف خاطر وخاطر . . من يكون الداخل ؟ ؟ من هذا الذى يحمل مفتاح باب المطهى ؟ ؟ وأسرعت بإخفاء رأسها فأخفت وجهها خلف باب الثلاجة المفتوح .

وكان الداخل عبد المجيد . . البواب .

وفوجئ برؤية الثلاجة مفتوحة وبالجزء الأسفل من ساق السيدة فأسرع يعتذر فى لهجة صادقة .

– لا مؤاخذة ياست هانم . . الرجل مندوب شركة الجاز أحضر الأنبوبة الجديدة ولا يريد تسليمها إلا إذا تسلم الفارغة . . لامؤاخدة . . لامؤاخذة .

ولم ترد عفاف . .

إنه لم يسمع صوتها أبدا . . لم ير وجهها ولم يسمع صوتها مرة واحدة فى حياته .

وسمعته يقول – مخاطبا مندوب شركة الغاز .

– هات يا أخى . . هات . . كأن الدنيا ستطير إذا لم تتسلمها الآن . . هات . .

صك أذنيها صوت احتكاك أنبوبة الغاز بأرض المكان يدفعها عبد المجيد إلى الداخل . . ثم صوت جذب الأنبوبة الفارغة إلى الخارج وهو يقول :

– خذ . . مع السلامة . . لا ضرورة لتوصيلها بالموقد الآن . . عد غداً لإتمام المهمة .

وعاد يكرر أسفه واعتذاره وهو يغلق الباب .

– لا مؤاخذة ياست هانم . . لا مؤاخذة . . رجل قليل الذوق .

كل هذا دون أن يتجاوز خطوة واحدة داخل المطهى بعد أن أحس بوجود السيدة ودون أن يرى وجهها المختفى خلف باب الثلاجة ودون أن يسمع مجرد ترديد أنفاسها .

وإذ اطمأنت عفاف إلى خروجه أسقطت بين شفتيها شربة ماء ثم أعادت الزجاجة إلى مكانها وردت باب الثلاجة فأغلقتها وبارحت المطهى وأغلقت بابه كما كان وبدأت تتجه إلى باب المسكن .

كل هذا تم فى أقل من دقيقة . . ثوان مرت عليها سنين طويلة . . واقتربت من الباب ومدت يدها إليه . . وإذ همت بفتحه لتهرب من هذا المكان الرهيبة شق رنين جرس الباب قلبها . .

ما أحلك سواد هذا النهار ؟ ! !

إنها تذكر ليلة مرت بها منذ عشر سنوات . . كانت إذ ذاك فى الرابعة عشرة من عمرها . . استيقظت فى هذه الليلة على رنين جرس سيارة إطفاء الحريق وكانت تحت نافذتها . رهيبا عاليا مفزعا شق سكون الليل فأراق فوق صفحته ذعرا ورعبا ونذيرا لم تستطع السنون أن تنسيها بشاعة صوت هذا الجرس برغم ما باعدت الأعوام بينها وبين تلك الليلة . . ولكنه تضاءل الآن إلى جانب صوت هذا الجرس

الصغير الذى شق السكون فى مسكن مراد .

وشلت يدها فى مكانها وظلت معلقة فى الفضاء بضع توان ثم بدأت تهبط إلى أن عادت إلى مكانها . . والتصقت عفاف بالجدار قريبا من الباب وتصبب العرق من كل مسام جلدها وأحست به يسيل تحت ثوبها متخذا من انخفاض عمودها الفقرى مجرى له .

وعاد الجرس يمزق السكون مرة أخرى . . ومع كل ذبذبة من ذبذباته كان قلبها يترنح بين جنبيها فكانت تحس به يعلو ويهبط ويسرع ويبطئ كما لو كان يريد أن ينطلق من مكانه .

ولم يكن هناك غير سؤال واحد يكاد يفتك بأعصابها .

– من هذا الطارق الذى اختار هذه اللحظة بالذات ؟ ؟ إنها لن تفتح الباب أبدا . . أبدا . . لن تفتحه تحت أى ظرف ومهما تكن شخصية الطارق . . لن تفتحه أبدا . أبدا .

وتذكرت أن الباب تتوسطه عين سحرية فاقتربت منها ووضعت عينها عليها ولم تلبث أن وضعت يدها على قلبها وأسرعت بالالتصاق ثانية بالحائط وقد تفصد جبينها عرقا ولبستها – من فرعها لقدمها – رعدة ضارية مفاجئة كما لو أن الملاريا قد سكنت جسدها على غير انتظار مهلكة مدمرة .

كان أحمد بالباب . .

كان الطارق زوجها أحمد . .

ما الذى أتى به ؟ ما الذى أتى به ؟ ؟

إذن فهو يعرف كل شىء . . يعرف علاقتها بمراد . . شعر بها فظل يتعقبها

ويراقبها ويرصد حركاتها إلى أن حانت اللحظة السوداء ليطرق باب مراد وهى فى مسكنه .

إنه لهذا اتصل بها وأنهى إليها أنه سيتناول غداءه خارج المنزل . . أراد أن يهيئ لها الفرصة ثم تعقبها ورآها تغادر منزلها ثم تستقل إحدى السيارات التى حملتها إلى هذا المنزل المشئوم .

أيكون أحمد على هذا الدهاء ولم تكن تدرى ! ! !

وجلجل الجرس ثانية فى ردهة المسكن فانتفضت وأحست أنها تكاد تسقط إعياء . . أحست بصوت الجرس وكأنه يهزها من كتفها بعنف صارخا بها افتحى . .

وراحت كل أعضائها ترتعد فى عنف كما لو أن تيارا كهربيا سرى فى كل جسمها . . ووضعت عينها مرة أخرى على العين السحرية التى تتوسط الباب فإذا بزوجها لا يزال واقفا فى مكانه جاد الملامح صارما يبدو كمن يغالب انفعالا يزلزل كيانه . . وامتدت يده إلى ضاغطة الجرس مرة ثالثة ووجهه صورة ناطقة كاملة الألوان والظلال لليأس والمرارة ونفاد الصبر . . ثم ألقى إلى الساعة حول معصمه نظرة . . وتقوست شفته السفلى قليلا كمن لا حيلة له واستدار ليهبط السلم . .

وظلت عفاف فى مكانها منحنية على العين السحرية الكاشفة . . تتبعه هابطا درجة فدرجة إلى أن غيبه منعطف السلم فأسرعت إلى إحدى النوافذ المطلة على الشارع فاقتربت منها فى حذر بالغ وراحت ترقب الطريق . . ولم تمض ثوان حتى رأت زوجها يسرع الخطى . . وراح يبتعد ويبتعد ويبتعد . . ثم استوقف إحدى السيارات الخاصة فركبها وانطلقت به .

وعادت هى إلى باب المسكن وتوقفت لحظة أرهفت فى خلالها السمع واقتربت بعينها من العين الكاشفة وسط الباب فلم تر أحدا . .

وكان الرعب والانفعال قد بلغا بها حدا لم تألفه من قبل . . لقد مزقت التجربة أعصابها وفتنتها وطحنتها . . كانت شيئاً جديدا عليها . . شيئا أخضع كل الأجهزة فى جسمها لهذه الضواغط الشاذة غير المألوفة فأخل بضوابط وظائفها فأحست بقطرات ماء دافئ تسيل فوق ساقيها وتغمر تحت قدميها مساحة كفها الصغيرة .

لقد ردها الرعب طفلة فى سن الرضاع . .

انهمرت دموعها فى صمت فأخرجت منديلا تلقتها فيه ثم انحنت فجففت به ساقيها ثم التقطت بين طياته رعبها المراق بللا فوق أرض المكان . .

وأحكمت إخفاء وجهها بالوشاح كالعادة ثم فتحت الباب وخطت خارجة غير مصدقة أنها نجت بجلدها .

* * *

٣٣

وحياها عبد المجيد – البواب – عندما رآها خارجة فوقف رافعا يده فى تعظيم وإجلال وهو يقول :

– مع السلامة ياست هانم .

وكعادتها لم تجبه . . بل أسرعت وأسرعت وأسرعت . . كانت تريد أن تبتعد عن هذا البيت أسرع ما يكون الابتعاد . . وتنفست الصعداء إذ رأت سيارة مسرعة فى نفس الاتجاه الذى كانت تسير فيه . . وعندما أصبحت أمامها أشارت لها بالوقوف ولكن السائق لم يلتفت إليها لأنه كان يحمل ركابا . . فجدت ماشية فى عين الطريق . . ولم تلبث أن رأت سيارة أخرى مقبلة عليها فأشارت إلى السائق عندما اقترب منها ولكنه لم يتوقف فقد كان هو الآخر يحمل ركابا .

وبلغ بها الغيظ منتهاه . . إن السيارات الخاصة أكثر عددا من المشاه . . وهى لا تكاد – فى ظروفها العادية – تخطو فى أى شارع حتى يتسابق نحوها السائقون كل يريد أن يحملها فى سيارته فما لهم الآن قد أنشقت الأرض فابتلعتهم . .

وضحكت – وشر البلية ما يضحك – فقد مرت بها فى هذه اللحظة سيارة ثالثة ولم تقف عندما أشارت لها لأنها كانت كسابقتيها . . تحمل ركابا . .

وكانت قد ابتعدت كثيرا عن منزل مراد ورفعت الوشاح عن وجهها وبدأت خطواتها تهدأ قليلا . . ولم تمض لحظات حتى وجدت نفسها – عن غير قصد – أمام البيت الذى تسكنه شقيقتها أمينة .

وأحست أنها وصلت إلى شاطئ الأمان وأنها تستطيع أن ترسو عنده ريثما تهدأ تماما . .

إنها تائهة . . مضيعة . . تبدو الشوارع لعينيها وكأنها تراها لأول مرة . . الحى كله يبدو لها كأنه غريب عنها أو هى غريبة عنه برغم انقضاء شهور على سكناها أحد منازله .

ستجد الأمان فى بيت أمينة . . ستجلس إليها وستحدثها إلى أن تهدأ نفسا وقلبا وأعصابا . . وأمينة ملاك فى صورة إنسان . . صدق ما يقال عنها أو ينطبق عليها أنها كالبلسم إذا وضع فوق الجرح التأم وشفى .

ومرقت من باب المبنى إلى السلم وجاهدت لتبدو هادئة كعادتها وراحت ترقى الدرج إلى أن أصبحت أمام باب مسكن أمينة فضغطت الجرس . .

– عفاف . . أهلا وسهلا .

قالتها أمينة وهى تعانق عفاف وأدخلتها وأغلقت الباب وسارت بها فى ردهة المسكن وسرعان ما لاحظت تغيرها .

– ما بك يا عفاف ؟

– لا شىء يا أمينة .

– أراك مجهدة .

- أحسست بشيء من التعب وأنا فى الطريق .

- تعالى . . تعالى إلى غرفتى . . سلامتك .

وفى حنان . . وضعت أمينة كفها وسط ظهر عفاف ودفعتها برفق إلى غرفتها الخاصة . غرفة نومها . . وأجلستها فوق مقعد طويل أشبه بفراش صغير ووضعت خلف ظهرها وسادتين وهى تقول :

- استريحى . . تمددى . . أأحضر لك كوب ماء ؟

- لا بأس .

فأسرعت أمينة خارجة من الغرفة ولم تمض ثوان حتى عادت بكوب ماء مثلج تناولتها عفاف بيد مرتعشة ولم تكد ترفعها إلى شفتيها حتى راحت أسنانها تصطك بحافتها وهى تشرب منها ببطء شديد .

وأشفقت أمينة عليها فعادت تسألها فى حنوها الآسر .

- عفاف . . ما بك يا حبيبتى ؟

- إنى متعبة قليلا يا أمينة .

- بل كثيرا يا عفاف . . منذ متى أحسست بهذا ؟

- منذ قليل . . وأنا فى طريقى إليك .

هل تناولت طعامك ثم استحميت ؟

فهزت عفاف رأسها إيجابا برغم أنها لم تفعل هذا ولكنها أحست بوجوب تمشيها وافتراضات أمينة حتى يبدو اضطرابها وعكة صحية ولا شىء غير هذا .

وصح ما توقعته إذ قالت أمينة :

هذا هو السبب . . تحسين بغثيان . . أليس كذلك ؟

- نعم .

– سأعد لك قدح قهوة يذهب بكل ما تحسينه فى دقائق .

ورفعت عفاف عينيها إلى أمينة وعلى وجهها ابتسامة رقيقة ثم همست .

– أرجوك .

– حالا . . أنا أيضا أشتهى قدحا من القهوة .

وغادرت أمينة الغرفة إلى المطهى وهى تقول :

– سأصنعها بيدى .

ورفعت عفاف وجهها إلى مرآة مائدة الزينة القريبة منها فراعها شحوب وجهها وهالتان قاتمتان حول عينيها . . كانت تبدو كمن أمضت أياما بلا طعام ولا نوم ولا راحة . . خيل إليها أن العمر تقدم بها عشرة أعوام كاملة . . والتقطت حقيبة يدها تريد أن تصقل زينة وجهها . . وهمت بفتحها ولكنها توقفت فجأة وماتت أصابعها فوق محبسها وصرخت بصوت ذبيح .

– يا مصيبتى . . (البودريير) علبة البودرة نسيتها هناك فوق الكرسى .

ولطمت خدها بأطراف أصابعها وهى تولول فى صوت منخفض .

– يا مصيبتى . . ياداهيتى . . ستضبط هناك . . من لى بها . . كيف أستعيدها .

ووجدت المسرة فرفعت المسمعة وأدارت القرص برقم مراد . . وانتقلت كل حواسها إلى أذنيها وراحت تستمع إلى دقات الجرس . . مرة . . ومرتين . . وثلاث مرات . لا أحد بالمنزل . . إن المسرة فى مخدع مراد . . قريبة من فراشه الذى تركته ميتا فوقه . .

هل تستطيع أن تسترد هذه العلبة ؟ ولكن كيف ؟ هل تستطيع أن تعود إلى هناك ؟ مستحيل مستحيل مستحيل . .

وفجأة أحست بالمسمعة ترتفع فى الجانب الآخر فتوقف دق الجرس وحملت لها الأسلاك صوتا هادئا متزنا :

– آلو . . . .

وارتعشت يدها . . وكادت المسمعة تسقط منها . . وخيل إليها أن صاحب هذا الصوت يراها . . وعاد يقول فى صوت أعلى من المرة الأولى :

آلو .

وتسارع وجيب قلبها وهى تسمعه للمرة الثالثة وفى صوت أعلى من المرة الثانية .

– آلو .

إنه قطعا ليس صوت مراد . . فمراد مات . . مات لا شك فى هذا . . فمن يكون صاحب هذا الصوت .

ومرت لحظة صمت قصيرة جاءها صوت بعدها ولكنه يحدث شخصا بالقرب منه .

– ألا أحد يجيب ؟

وسمعت صوتا آخر . . واضحا برغم بعده عن المسمعة .

– من المحقق أن من كانت هنا تريد أن تعرف ما إذا كان الحادث قد اكتشف أم لا . . علبة البودرة هذه لا شك فى أن صاحبتها تبذل الكثير لتستردها .

وأعادت عفاف المسمعة إلى مكانها وألقت برأسها بين راحتيها وراحت تفكر . . إن هذه الكلمات التى تناهت إلى سمعها عن طريق المسرة تحمل معنى هائلا . . معنى واحدا واضحا لا خلاف عليه . . هذه العلبة إحدى علامات الطريق إليها . . إلى كشف أمرها وفضيحتها وأنها يجب أن تبذل الكثير كما قال صاحب الصوت المجهول لكى تستردها . . ولكن كيف ؟ كيف ؟ إنها لم تعد تملك هذا . . إنه المستحيل

الرابع الذى يحكون عنه . .

ثم . . من هؤلاء الأفراد الذين هناك ؟ من الذى رفع المسمعة وأجابها ومن هذا الذى سمعته يقول إن عليها أن تبذل الكثير لتسترد العلبة التى نسيتها فى مسكن مراد ؟

أتكون الشرطة برجالها ومحققيها ؟ ولكن كيف جاءوا بهذه السرعة ؟ وما هى سبيلهم لتحقيق الحادث ؟ وإلى أى مدى وعلى أى نحو يكون اعتمادهم على علبة البودرة الخاصة بها للوصول إلى أصل الحادث .

لو لم تنسها هناك . .

لو لم يتناولها مراد منها ويلقى بها على هذا المقعد الكبير .

ولمعت فى ذهنها بارقة أمل . . . .

قامت من مكانها واتجهت بسرعة إلى مائدة الزينة الخاصة بأختها أمينة وفتحت أحد أدراجها فإذا فى قاعه علبة للبودرة مماثلة تماما لعلبتها المنسية وعليها حرف A اللاتينى رمزا للحرف الأول من اسم أختها أمينة . . A

هى اسمها عفاف وأختها اسمها أمينة . . والاسمان يبدأن إذا كتبا بالحروف اللاتينية بحرف A .

ونشطت فى نفسها غريزة الدفاع عن النفس . . إنها تريد أن تحتاط لما قد تنبئ عنه الظروف . . من يدرى ؟ هذه العلبة كفيلة بتغطيتها . . بتغطية موقفها وستره إذا حدث وساءت الظروف فساقت المحققين إليها لسؤالها إذا كانت هذه العلبة تخصها أنكرت وأخرجت من حقيبة يدها هذه العلبة التى أخذتها من درج أختها وقالت لهم هذه علبتى معى أما هذه فلا تخصنى .

وارتاحت قليلا لهذا المخرج . . وامتدت يدها لتلتقط العلبة من قاع الدرج ولكنها ارتدت . . أيجوز أن تفعل هذا ؟ أيجوز أن تسرق علبة أختها ؟

وجاءها الجواب سهلا منطقيا مريحا .

– ولم لا ؟ إنها لن تؤذى شقيقتها ولن تسوقها لأى مأزق . . إنما هى تحتاط فقط وتتحصن لما قد يحمله المجهول فى الساعات المقبلة . . أمينة لا شأن لها بكل ما حدث وما سيحدث فهى بعيدة كل البعد عن الحادث ومسرحه وما قد يسفر عنه . . إنها لا تعرف مرادا ولم تره فى حياتها مرة واحدة . . من حسن حظها أنها تعلم أن لأمينة علبة للبودرة تماثل علبتها تماما .

وبينما هى قشة فى هذا اليم المتلاطم من الأفكار والوساوس . . سمعت أختها تقترب من باب الغرفة وهى تقول :

– القهوة صنعتها لك بيدى يا عفاف . . بن درجة أولى .

وفى أقل من الثانية . . التقطت عفاف علبة البودرة وأغلقت الدرج وأسرعت إلى حيث تركتها أمينة راقدة . . ففتحت حقيبة يدها وألقتها بداخلها . .

ودخلت أمينة تحمل القهوة فجلست بالقرب من عفاف وبدأت كل منهما تحسو من قدحها . . وكانت عفاف قد استعادت بعض هدوئها وبدأت الابتسامة ترتسم على وجهها فرفعت القدح الصغير بين أصبعيها وهى تقول :

– هذه فناجين جميلة يا أمينة .

– صحيح ؟

– غاية الذوق .

– من إيطاليا . . المهم أن تعجبك القهوة لا الفنجان .

– أنت مشهورة بإجادة صنع القهوة .

– أرجو أن تفيدك .

– إنى أحسن حالا .

- ألف مرة نصحتك ألا تستحمى بعد تناول الطعام .

وغالبت عفاف ضحكة كادت تفلت منها . . إن أمينة مازالت تعتقد أن ما بها من تأثير الاستحمام بعد تناولها الطعام . . وابتسمت . . وربتت أمينة خدها بأطراف أصابعها فى حنوها المطبوع وهى تقول :

- سلامتك يا عفاف .

- شكرا يا أمينة .

- ورفعت أمينة قدحها إلى شفتيها وهى تسألها :

- من أين ؟ البيت طبعا .

- كنت فى طريقى لزيارة صديقة فأحسست الوعكة وأنا قريبة من هنا فجئت إليك .

- خيرا فعلت . . كيف تحسين الآن ؟

- الحمد لله . . أحسن بكثير .

ونهضت واقفة تأهبا للانصراف فسألتها أمينة :

- بهذه السرعة ؟

لا بأس يا أمينة فهذه زيارة غير معدودة لأنها طارئة وصديقتى تنتظرنى ولا يليق أن أذهب إليها متأخرة .

وحاولت أمينة أن تستبقيها قليلا لتخرج معها لأنها هى الأخرى على موعد مع طبيبها . . ولكن عفاف اعتذرت قائلة :

- لا ترتبطى بى يا أمينة . . البسى أنت على مهلك وسأذهب أنا لصديقتى .

وخطت إلى ردهة المسكن وأمينة إلى جانبها تحدثها وتدعوها أن تحضر مع أحمد الليلة لتناول العشاء معها هى وكمال . . ووعدتها عفاف بذلك وتبادلا قبلتين

وغادرت عفاف المسكن وهبطت السلم وخرجت إلى الشارع .

ولم تكد تخطو خطوتين حتى رأت شرطيا مقبلا نحوها باهتمام وهو يقول :

- لحظة من فضلك يا هانم .

وتسمرت فى مكانها . . وأحست بدوار مفاجئ يكاد يصرعها أرضا كالفأر الصغير المسكين أغلقت عليه المصيدة .

هذا الشرطى . . كيف تعقبها ؟ ؟ كيف عرفها ؟ ؟ ما دليله إليها ؟ ؟ ماذا يريد منها ؟ ؟ أيلقى القبض عليها ؟ أيسوقها إلى نقطة بوليس الزمالك ؟ ؟

وأغمضت عينيها . . ومرت هذه الثانية عليها سنة كاملة . . وتقدم الرجل منها يدق بلاط الإفريز بحذائه الضخم ثم انحنى بجانبها والتقط الوشاح الذى سقط من بين أصابعها دون أن تحس ثم قدمه لها بمنتهى الأدب وهو يقول :

- هذا الوشاح سقط من يدك دون أن تحسى به .

وترنحت عفاف وكادت تسقط إعياء وهى تمد يدها تأخذ الوشاح منه قائلة :

- أشكرك .

ولم تفت الرجل هزتها فسألها مشفقا .

- السيدة بحاجة لأية معونة ؟

فشدت ابتسامة إلى شفتيها وهى تقول :

- شكرا . . أننى بخير .

وفى هذه اللحظة رأت إحدى السيارات تقترب منها فاستوقفتها ثم أسرعت متجهة نحوها . .

وهبطت عن الإفريز . . وكانت تلاصقة فى هذا المكان بالضبط إحدى البالوعات العامة فانزلق كعب حذائها بين قضيبين من القضبان التى تؤلف

شبكتها . . وتعذر عليها تخليصه من بينهما فراحت تحرك قدمها يمنة ويسرة ثم جذبتها بعنف وقد ضاقت بكل شيء فانقصف الكعب وبقي الجزء السفلى منه بين قضيبي شبكة البالوعة . . وأسرعت -- عرجاء -- إلى السيارة التي تنتظرها فقفزت إلى داخلها وصفقت بابها بشدة وأمرت السائق أن ينطلق . .

كانت كمن يفر من شبح يتعقبه .

* * *

٣٤

وقف البواب - عبد المجيد - أمام ضابط نقطة بوليس الزمالك - وأنفاسه تتقطع وتتلاحق بعد أن قطع المسافة بين مسكن مراد ونقطة البوليس جرياً - وقف يبلغ نبأ وفاة السيد مراد عزمى ساكن الشقة رقم ٣ من المنزل رقم ١ بشارع الأمير بدر الدين بالزمالك.

وفتح الضابط - حسين المصرى دفتره وسجل أقوال عبد المجيد التى لم تخرج عن صعوده إلى مسكن المتوفى بعد انصراف سيدة كانت فى زيارته ودخوله المسكن من الباب الخلفى المخصص للخدم ليرى إذا كان السيد فى حاجة إليه . . ففوجئ بصمت مريب يشمل المسكن . . فأحدث صوتا لينبه السيد فى الطابق العلوى إلى وجوده ولكن الصمت زادت وطأته . . ولاحظ أن قطته تموء على نحو غير مألوف منها . . كان مواءها أقرب إلى عواء الذئب أو نحيب الكلب منه إلى مواء القط . . وكانت تقفز الدرجات بين الطابقين - العلوى والسفلى للمسكن صاعدة هابطة فى حركات أقرب إلى الصرع منها إلى حركات القطط المألوفة فنادى سيده مرة ومرتين وثلاث

مرات ثم صفق بكفيه فلم يجبه أحد فصعد إلى الطابق العلوى فوجد السيد مراد عزمى متوفيا فى فراشه .

ولم ينسى عبد المجيد أن يذكر أن مفتاح باب الخدم فى عهدته وأنه تعود – بأمر السيد المرحوم – أن يصعد إلى مسكنه أصيل كل يوم ليرى إن كان فى حاجة لأى شىء .

واستوفى الضابط أقوال عبد المجيد ثم اتصل فورا بوكيل النائب العام الذى يقع مكان الحادث فى منطقة عمله . . وفى دقائق . . كان مسكن مراد أشبه ما يكون بخلية النحل . .

وكيل النائب العام وقد اتصل من فوره بالإدارة المختصة بالكلاب البوليسية المدربة على اقتفاء الأثر وأمر بإحضار أمهرها .

كاتب التحقيق يحمل أوراقه تحت ذراعه .

الضابط حسين المصرى ، أول من تلقى نبأ الحادث وسجل أقوال المبلغ فى دفتره الرسمى .

مندوب مصلحة تحقيق الشخصية يحمل كل معداته وأدواته لالتقاط ما قد يعثر عليه من بصمات .

طبيب – مفتش صحة المنطقة – وقد فحص الجثة فأشار بضرورة إجراء الصفة التشريحية لعجز الفحص الظاهرى عن الوصول إلى السبب الحقيقى للوفاة بصورة جازمة قاطعة فلم يضيع النائب دقيقة واحدة من وقته فرفع مسمعة المسرة واستدعى سيارة المشرحة لنقل الجثة . . ولم يفته أن يوصى ويلح فى ضرورة إنجاز التقرير بسبب الوفاة وإرساله إلى مقر نيابة قصر النيل فى نفس المساء .

الرقيب أحمد نور الدين والعريف عبد العال رمضان من قوة منطقة شرطة الزمالك .

وأمر النائب ألا يمس أحد الموجودين شيئا إلا بعد أن ينتهى مندوب تحقيق الشخصية من التقاط كل ما قد يعثر عليه من بصمات . .

وأتم هذا مهمته وراح يقارن محصوله ببصمات مراد ، وفجأة . .

دق جرس المسرة فتنبه الجميع وأرهفوا حواسهم . . ثم رفع النائب المسمعة وألصقها بأذنه وقال فى صوت هادىء متزن .

– آلو .

ولكن أحدا لم يجبه .

كانت عفاف على المسرة فى غرفة نوم شقيقتها عندما اكتشفت أنها نسيت علبة البودرة الخاصة بها فى غرفة نوم مراد .

وكرر النائب الإجابة مرة ثانية وثالثة وبصوت أعلا . . ثم التفت إلى الضابط الواقف بالقرب منه وقال .

– لا أحد يجيب .

فأجابه الضابط .

– من الجائز أن من كانت هنا تريد أن تعرف ما إذا كان الحادث قد اكتشف أم لا . . علبة البودرة هذه . . لاشك فى أن صاحبتها تبذل الكثير لتستردها .

وصك أذن النائب صوت وضع المسمعة فى الجانب الآخر فأعاد مسمعته إلى مكانها وهو لا يدرى بالأثر الهائل الذى أحدثته فى نفس عفاف . الكلمات القليلة المعدودة – التى تبادلها والضابط الواقف إلى جانبه .

والتفت إلى عبد المجيد البواب وراح يستوضحه بعض النقاط . . ولكن هذا لم

يضف إلى ما سبق أن أدلى به للضابط شيئا . . ولكن النائب عاد يستفسر من جديد .

– ألا تعرف هذه السيدة التى كانت فى زيارته ؟

– لا يا سيدى .

– كيف لا ؟ ألم تقل أنها متعودة على المجىء إليه وأن هذه المرة لم تكن الأولى ! !

– إنها دائما تحجب وجهها تماما . . حريصة دائما على تغطيته تغطية كاملة . . لا تريد أن يراها أو يعرفها أحد . . وعندما اضطررت للصعود إلى المسكن لإبدال أنبوبة الغاز الفارغة بالجديدة الملآنة وفتحت الباب الخلفى للمطهى . . كانت هى فى هذه اللحظة إلى جانب الثلاجة الكهربية . . فلما أحست بى أسرعت بإخفاء وجهها خلف الباب .

– أى باب ؟

– باب الثلاجة . . كان مفتوحا .

– ألا تعرف اسمها ؟

– لا أعرف عنها شيئا . . هذه سيدة تجىء لزيارته وأنا لا شأن بها أو بغيرها . . . أنا بواب . . والمرحوم كان يحبنى ويعطف على ويثق بى إلى حد تسليمى مفتاح باب الخدم .

هل تحمل مفاتيح غيره من سكان المبنى ؟

– لا

– لو أحضرت هذه السيدة وأوقفتها بين عدد من السيدات – ألا تستطيع أن تتعرف عليها من بينهن ؟

– لا أظلم نفسى ولا أظلم غيرى .

– ألم يزره أحد غير هذه السيدة ؟

– زاره أحدهم .

– من هو ؟

– سألنى قبل أن يدخل المبنى . . المرحوم فوق ؟ قلت له فوق . . فصعد ولم أره ينصرف .

– وكيف ؟

– بالعقل . . لابد أنه انصرف فى خلال فترة غبتها أنا عن الباب .

– إلى أين ذهبت خلال هذه الفترة .

– إلى زميلى بواب المبنى الملاصق لأوصيه أن يشترى لنا شايا وسكرا للمساء وأعطيته لهذا عشرة قروش وقد وقفت معه قليلا نتجاذب الحديث .

– وبعد ؟

– عندما عدت إلى مكانى رأيت السيدة تنصرف .

– كيف كانت هيئتها ؟ كيف كان حالها ؟

– كانت مسرعة كعادتها . . إنها لا تكلمنى أبدا . . لم أسمع صوتها أبدا .

– غريبة ! !

– ليست غريبة يا سيدى . . كلهن هكذا .

– وهذا الرجل الذى رأيته يدخل المبنى ولم تره ينصرف . . أتعرفه ؟

– أنا لا أعرفه . . يعنى لا أعرف اسمه ولا شخصيته ولكن لو أوقفته بين ألف رجل لأخرجته لك . .

وكان كاتب التحقيق يسجل كل ما يسمعه سؤالا وجوابا .

واقترب مندوب تحقيق الشخصية من النائب وهو يقول .

- من كان أو كانت هنا . لم يمس ولم تمس شيئا من محتويات الغرفة ، اللهم إلا إذا كانت يداه أو يداها داخل قفاز . . كل البصمات التى التقطتها للميت دون سواه .

والتفت النائب إلى الضابط وسأله .

- أوجدت شيئا يلقى ولو بصيصا على الحادث ؟

فقدم له الضابط ورقة صغيرة وهو يقول .

- وجدت هذه فى درج مائدة الزينة .

والتقط النائب الورقة وجرت عيناه فيها بسرعة ثم تبادل هو والضابط نظرة وهو يقول :

- الخط واضح .

- والمعنى أيضا واضح .

- ولكن التوقيع عسيرة قراءته .

فأجابه الضابط فى لهجة الواثق المطمئن :

- حتما سنصل إلى تفسيره وقراءته .

وفى هذه اللحظة دخل الرقيب أحمد نور الدين وعظم النائب والضابط وهو يقول :

- حضرة المساعد وصل يا سيدى ومعه الكلب البوليسى نمر .

فأجابه النائب :

- فليتفضل .

وصعد المدرب ومعه الكلب . . وفى ثوان كانا ضمن الهيئة المحققة فى مخدع مراد

بالدور العلوى من مسكنه .

- نريد أن نتبع هذا الأثر يا حضرة المساعد .

قالها النائب وهو يشير بأصبعه إلى علبة البودرة ملقاة فوق المقعد دون أن يمسها . . فاقترب المدرب من المقعد والكلب بجانبه ثم أشار إلى العلبة فدس الكلب أنفه فيها . . وقال المدرب فى صوت آمر .

- اتبع . . . .

وكان مشهدا فريدا .

الكلب يدور فى الغرفة تقوده أنفه إلى كل ما لمسته عفاف بيدها أو اتكأت عليه بجسمها . .

الفراش . .

المنضدة الصغيرة .

المذياع . .

المنشفة التى خطر لها أن تزيل بها عن شفتى مراد أثر أحمر شفتيها . .

أرض الغرفة . . راح يتشممها شبرا فشبرا . . إلى أن خرج منها والجميع يتبعونه وهبط الدرجات إلى الطابق الأول من المسكن وأنفه فوق كل درجة منها . . ودار فى ردهته دورة قصيرة ثم وصل إلى باب المطهى ليدخل . . وساعده مدربه ففتح الباب له فانطلق إلى الداخل وراح يشم مواطئ قدمى عفاف إلى أن وصل إلى الثلاجة فشم مقبضها ثم قفل راجعا إلى الردهة ثانية ودار فيها دورة أخرى يتشمم الأرض إلى أن وقف أمام باب المسكن وراح يتشمم مكان البلل الصغير حيث كانت تقف عفاف تنظر من العين السحرية الكاشفة . وتوقف الكلب عند هذا الاثر أطول مما توقف عند أى أثر آخر . . وكان باب المسكن مفتوحا ، يقف على جانبيه

الرقيب والعريف .

وهم الكلب بالخروج . . وقبل أن يتبعه الجميع قال النائب لرجلى الشرطة :

– يا رقيب نور الدين . . عربة المشرحة ستصل الآن . . تسلم لها الجثة بالمحضر اللازم ثم تصاحبها أنت . . ويظل المحضر مع العريف رمضان . . وعبد المجيد البواب يظل هنا معه .

ورفع الرجل يده إلى جبينه بالتحية وهو يقول :

– علم يا فندم .

وكان الكلب قد بارح المسكن وبدأ يهبط الدرجات إلى أن وصل إلى الباب الخارجى للمبنى حيث يستقبله الشارع وهنا قال المدرب للنائب .

– أرجو أن أنبه سيادتكم إلى حقيقة لها أهميتها . . إذا كان صاحب الأثر قد ركب إحدى السيارات فيسنقطع هذا الأثر عند المكان الذى ركب منه . . كذلك إذا كانت الشوارع التى مر بها قد رشت بالماء فلن يستطيع الكلب أن يصل بنا إلى غايتنا .

وتفكر النائب قليلا فى قول المدرب ثم التفت إليه قائلا :

– لا بأس يا حضرة المساعد . . نحن نؤدى ما علينا وحسب . . من يدرى . . . قد لا يكون استقل أو استقلت إحدى السيارات . . وعربة الرش – كما أرى – لا أثر لمائها فوق أرض الطريق .

وهنا سأل مندوب تحقيق الشخصية النائب إن كانت مهمته قد انتهت فيستطيع أن ينصرف فأذن له بالانصراف .

وبدأت القافلة – يقودها الكلب – مسيرها فى نفس الطريق التى سلكتها عفاف .

ومشى الكلب . . ومشى . . ومشى . . وكأن أنفه ومواطئ قدمى عفاف قضيبان من الصلب الممغنط أحدهما سالب والثانى موجب التصق كل منهما بالآخر ولا يكاد يباعد بينهما حتى يجذب كل منهما الآخر تلقائيا . . إن أنفه لم يرتفع عن الأرض أبدا طوال الرحلة الغريبة الفريدة .

كان يعرف طريقه جيدا . . كان يعرفه تماما . .

إلى أن وصل البالوعة الواقعة أمام البيت الذى تسكنه أمينة فدس أنفه بين قضبانها وقبض بأسنانه على كعب حذاء عفاف عالقا بين قضيبين منهما فعالجه حتى انتزعه ورفعه بين أسنانه إلى مدربه الذى بسط له كفه فتلقاه فيه . . وقدمه هذا بدوره إلى النائب فأخذه منه .

إن عفاف كانت تنتعل حذاء مؤلفا من لونين . . الجزء الأمامى من الجلد الأسود والخلفى من الأبيض . . فكان الكعب الذى تركت نصفه بين قضبان البالوعة من الجلد الأبيض .

ووضع النائب الأثر الجديد فى جيبه وقفز الكلب إلى الإفريز ومرق داخلا من باب المبنى حيث تسكن أمينة مع زوجها كمال التهامى .

وصعد الدرجات وأنفه يتشمم كل درجة منها إلى أن وصل باب أمينة وكمال فرفع مقدمتيه وراح يدفعه بهما فى إصرار وعناد .

وقبل أن يرفع النائب يده ليضغط زر الجرس . . فتح الباب وإذا بكمال وجها لوجه أمام هذه المجموعة الغريبة من الناس .

كان قد أحس بباب مسكنه يدفعه شىء من الخارج فقام وفتحه قبل أن يضغط أحد القادمين زر الجرس .

وتقدم الكلب داخلا غير عابئ بغير الأثر الذى يقوده إليه أنفه فأسرع النائب

بتقديم نفسه لكمال .

– أنا وكيل نيابة قصر النيل . أيسمح لنا السيد بتتبع الكلب إلى أين يقودنا ؟

وبهتت المفاجأة كمالا فأجاب دون وعى .

– وكيل نيابة ! ! طبعا . . طبعا . . تفضلوا . . تفضلوا .

وسار الكلب فعبر ردهة المسكن يتشمم الأرض إلى أن وصل غرفة نوم أمينة وكمال فدخلها والجميع يتبعونه . . ودار فيها فشم المقعد الطويل الذى رقدت عفاف فوقه ثم اتجه إلى المسرة فشمها وإلى مقبض درج مائدة الزينة فشمه ثم عاد يدس أنفه فى الطنفسة حيث مواطئ قدمى عفاف ثم رفع رأسه إلى مدربه واقترب منه كأنه يعنى انتهاء مهمته .

– الأثر انتهى هنا يا سيدى .

قالها المدرب للنائب الذى أجابه :

– حسن جدا . . فى هذا الكفاية .

وكان كمال لا يزال فى دهشته فسأل النائب :

– ما الحكاية يا سيدى ماذا هناك ؟

فأجابه النائب :

– ستعرف كل شىء فى الحال . . تفضلوا . . هيا بنا إلى الردهة .

وعادوا جميعا إلى ردهة المسكن ونظر النائب إلى كمال وسأله .

– أتسمح لنا بالجلوس ؟

– طبعا طبعا . . تفضلوا .

وهنا اقترب المساعد من النائب وسأله :

– سيدى النائب ألا تزال فى حاجة إلىّ أم نستطيع أن نعود أنا ونمر ؟

فربت النائب رأس الكلب فى لطف وهو يقول :

- تستطيع أن تنصرف يا حضرة المساعد . . لقد انتهت مهمتك وشكرا .

وخرج المساعد والكلب بجانبه يسير فى هدوء واعتزاز كمن يعرف قدر نفسه .

وجلس الجميع . . ولكن كمالا ظل واقفا يتساءل :

- أنى لا أفهم شيئا من كل هذا . . ما الخبر يا سيدى ؟ ما القصة ؟

فأجابه النائب :

- ستعرف كل شىء حالا .

- أرجوك .

- اجلس أولا .

- الوقوف يريحنى أكثر . . تكلم أرجوك .

- سيادتك ساكن هنا ؟

- نعم . . هذا مسكنى .

- ما أسمك ؟

- كمال التهامى .

- ما صناعتك . . ؟

- مهندس . . مكتبى فى شارع قصر النيل .

- من يعيش معك ؟

زوجتى .

- ما اسمها ؟

وبان الضيق على وجه كمال .

ما هذه الأسئلة السخيفة التافهة ؟ إنه يريد أن يعرف ما هنالك . . وهذا يسأله

أسئلة لا يرى لها أية قيمة . . ولكنه عاد فتمالك هدوءه وسأل النائب .

– أرجوك . . ألا تخبرنى بما وراء كل هذا .

– يا سيدى . . ستعرف كل شىء حالا . . ما اسم السيدة زوجتك ؟

– اسمها أمينة .

قالها كمال وكأنه يتعجل الوصول إلى ما يريد معرفته . . ولكن النائب عاد يسأله .

– أهى هنا الآن ؟ أعنى موجودة فى المسكن ؟

– إنها ذهبت لزيارة الطبيب .

– متأكد ؟

– طبعا متأكد .

قالها كمال دون أن يستطيع إخفاء انفعاله . . ثم أردف قائلا :

– أرجوك . . ألا تشرح لى كل شىء ؟ ماذا تريد منى أو منها ؟ ؟ لماذا أنتم هنا ؟ نحن ناس فى حالنا و . . . .

وقاطعه النائب – وقد أخرج علبة البودرة من جيبه وقدمها له – سائلا .

– أتعرف هذه .

وحملق كمال فى العلبة جيدا ثم قال فى لهجة متقطعة تشى باضطرابه وانفعاله :

– نعم . . نعم . . هذه . . هذه علبتها . . علبة زوجتى . . ما الذى جاء بها إليكم ؟

ما القصة ؟ ما الخبر؟ ما الحكاية .

– يا أستاذ كمال . . أريد منك أن تتمالك نفسك وأعصابك .

– تكلم يا سيدى . . أنت تقتلنى ببطء .

– هذه العلبة وجدناها فى مسكن رجل أعزب . . ووجدناه ميتا . .

وساد الجميع سكون ثقيل عميق أغبر كدر . . وأحس كمال إحساس من فاجأته لطمة ضارية غادرة على غير تأهب ولا استعداد . . وراحت عيناه تنتقلان بين الضابط والنائب كمن يلتمس عند أحدهما كلمة . . أى كلمة غير هذا السم الذى اخترق أذنيه .

لقد سمع مرة عن رجل أقدم على الانتحار بأن سكب فى أذنه قدرا صغيرا من الزئبق . . أشنع وسائل إزهاق النفس وأكثرها إيلاما وألما . .

هذه الكلمات التى اخترقت مسمعيه الآن ليست إلا قطرات من الزئبق ثقبت طبلتى أذنيه وراحت تنزلق مسرعة إلى مخه لتصيبه بالشلل فتطفئ حياته .

وأحس النائب بالعذاب الذى يعانيه . .

ولكنه لم يرحمه . .

إنه يريد أن يصل للحقيقة فسأله :

أريد أن أرى كل ما لدى السيدة من أحذية .

وردد كمال كلمة النائب فى صوت خال من الحياة :

– أحذية ! !

– نعم أحذية . . أحذية السيدة زوجتك . . ألا تملك عددا من الأحذية ؟

وأجاب كمال بذات الصوت الخالى من الحياة .

– آه . . نعم . . طبعا . . لديها مجموعة من الأحذية .

– أتقودنا إليها لنراها ؟

– بلا شك . . بلا شك . . تفضلوا . . فى غرفة النوم . . هنا فى غرفة النوم .

كان كالمريض الذى تعذبه آلامه فيحاول أن يغرق هذه الآلام فى تكرار ما يقول .

- فى غرفة النوم التى كنا فيها الآن . . تفضلوا . . نعم . . الأحذية .

قالها مرة ثالثة وقادهم إلى حيث قادهم الكلب عند حضورهم منذ دقائق . . وأشار كمال إلى خوان أنيق مصنوع كله من البللور وقد صفت فيه أحذية زوجته . . بضعة عشر زوجا مختلفة الألوان والرسوم .

- ها هى ذى أحذيتها .

وألقى النائب نظرة إليها وسأل الزوج المنكوب . .

- أهذه كل ما تملك ؟

- نعم .

- هذه طبعا بخلاف الحذاء الذى فى قدميها الآن ؟

- طبعا .

- أيمكنك أن تحدد لى لون وطراز الحذاء الناقص من هذه المجموعة ؟

فألقى كمال نظرة ثانية إلى أحذية زوجته ثم قال :

- أظنه . . الحذاء الأبيض .

- تظن ؟ ؟

- بل هو الحذاء الأبيض . . قطعا هو لأنه الذى تنقصه مجموعة أحذيتها .

فدس النائب يده فى جيبه ثم أخرجها بالكعب الأبيض المقصوف الذى التقطه الكلب البوليسى من بين قضبان شبكة البالوعة وقدمه لكمال وهو يسأله :

- يعنى . . هذا جزء من الحذاء الذى فى قدميها ؟

وأطلت الحيرة من عينى كمال . . وردد النظر ثانية بين النائب والضابط وازدرد

لعابه بصعوبة وهو يقول :

– جائز . . جائز .

وأشفق النائب عليه فحاول أن يلطف من وقع مهمته الثقيلة فقال :

– أنا آسف يا سيد كمال . . إنما نريد أن نصل إلى الحقيقة ولا أكثر .

وأشار بيده إلى كمال والضابط وكاتب التحقيق وقال :

– تفضلوا . . تفضلوا .

فانتقلوا إلى الردهة وكمال يدق كفا بكف ويعصر أصابع يديه بالأخرى وهو يتمتم فى صوت تخنقه الدموع .

– أمينة . . أمينة ! !

وجلس النائب وهو يقول له :

– اجلس يا أستاذ كمال . . إنى أرجو منك أن تتمالك أعصابك .

– وهل بقى لى أعصاب يا سيدى النائب ؟ هل بقى لى أعصاب ؟

– إنى أقدر حالك .

– مستحيل . . لا يمكن . . رجل واحد فقط يستطيع أن يقدر حالى ويدرك ما أعانيه . . رجل واحد فقط يا سيدى النائب . . يجب أن يكون قد مر بما أمر به الآن .

وابتلع دمعة خانته ففرت من عينه وسالت إلى إحدى زاويتى فمه .

وفجأة أز الجرس فى الردهة حيث يجلسون فانتفض كمال واقفا كمن وخزه مسمار محمى أو لدغة ثعبان ماكر على حين غرة . . واندفع إلى الباب وفتحه فإذا بزوجته أمينة أمامه .

وجذبها من معصمها كمجنون وصفق الباب وسألها والألفاظ تتسابق على لسانه

وبين شفتيه :

– أين كنت ؟

وروعها حاله فنظرت إليه مندهشة . . ولم تكن رأت بعد ضيوف الشؤم الجالسين فى جانب من الردهة . . فكرر سؤاله صارخا .

– تكلمى . . أين كنت ؟

– ما بك ياكمال ؟ كنت عند الطبيب . .

وهوت كفه – ظهر كفه – على خدها وهو يصرخ مسعورا :

– أى طبيب ؟ تكلمى ؟ . .

وصرخت أمينة مذعورة . . ورفعت كفها إلى مكان الصفعة . . وتنبهت إلى وجود غرباء فى مسكنها عندما هب الضابط واقفا وحال بين كمال وبينها وهو يقول :

– من فضلك . . لا تمسها .

ودارت أمينة بعينيها المذعورتين بين الموجودين وهى تتساءل والدموع تخنق صوتها :

– من أنتم ؟ ماذا جرى ؟

ولاحظت أن الجميع ينظرون إلى قدميها باهتمام . . بتحديق . . ثم يتبادلون النظرات فسألتهم .

– ما بكم – ما لكم تنظرون إلى قدمى ؟ ؟

فاقترب النائب منها وسألها :

أخرجت من بيتك بهذا الحذاء ؟

وكانت أمينة تنتعل حذاء أسود لامعا جديدا .

فأحنت رأسها تنظر إليه ثم رفعت عينيها والذعر لا يزال يطل منهما وقالت فى

صوت مضطرب من هول المفاجأة . . مفاجأة الاعتداء عليها . . كانت أول صفعة تلقتها فى حياتها .

- لا . . لا . . لم . . أخرج بهذا . . بهذا الحذاء .

فسألها كمال والغيظ يأكل كلماته :

- فما هذا الحذاء إذن ؟

وهنا تدخل النائب فقال لكمال :

- يا أستاذ كمال . . أنا الذى يسأل لا أنت . أرجوك .

ثم وجه حديثه لأمينة فسألها :

- يا سيدة أمينة . . هل بارحت منزلك بهذا الحذاء ؟

وابتلعت أمينة دموعها وهى تقول بصوتها المرتعش ،

- لا .

وهنا صرخ كمال ثانية :

- فما هذا إذن ؟

فنظرت أمينة إلى زوجها وكأنها بدأت تشك فى سلامة قواه العقلية .

- اشتريته اليوم .

- اليوم متى ؟ ؟ متى . .

- منذ . . منذ ساعة . . ساعة تقريبا .

وسألها النائب .

- وأين الحذاء القديم ؟

- تركته فى المتجر لإصلاحه .

واقترب كمال منها ونظر إليها بعينين مشتعلتين وسألها :

– أى جزء منه بحاجة للإصلاح ؟

وهنا قاطعة النائب :

– يا أستاذ كمال . . للمرة الثانية أقول لك أننى أنا الذى يسألها :

ثم التفت إلى أمينة وسألها :

– أى جزء منه فى حاجة لاصلاح ؟

– النعل .

– وعاد كمال يسألها متحديا :

– النعل أم الكعب ؟

وحارت أمينة . . وأحست كما لو أن دوامة رهيبة تبتلعها فقالت :

– بل النعل . . أنا لا أفهم شيئا مما تقصدون .

ومسح كمال الفضاء بكفيه فى حركة هسترية وهو يصرخ بصوت منغم وبطريقة لم يألفها هو نفسه من نفسه .

– لا تفهمين شيئا ؟ ؟ لا ياشيخة ؟ لا تفهمين شيئا ، يا ناعمة يا سهتانة ياتبن فوق ماء آسن . . ولكن . . لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

– يا أستاذ كمال . . أرجوك أن تدعنا نكمل مهمتنا فى هدوء .

قالها النائب محاولا تهدئة كمال الذى بدا كالنمر السجين . . ولكن سرعان ما انهار وأخفى وجهه بين كفيه وارتعش صوته وهو يقول :

– هدوء ! ! لقد كنت أعيش فى هدوء الغفلة . . ولكنى أحس الآن بصراخ العالم كله فى أذنى .

وأخرج النائب علبة البودرة من جيبه وقربها من عينى أمينة وهو يسألها :

– علبة البودرة هذه . . تخصك ؟

ونظرت أمينة للعلبة جيدا وهى تقول :

– تخصنى . . نعم . . تخصنى . . أين وجدتموها . . لحظة من فضلك .

وجرتْ إلى غرفة نومها وجذبت درج مائدة الزينة إلى آخره وألقت نظرة إلى داخله ثم عادت إليهم بوجه مربد ودى تتساءل :

– أين وجدتموها :

– ورفع كمال يده يريد أن يصفعها وهو يقول :

– فى بيت صاحبك يا عاهرة .

وصرخت أمينة للسبة التى لم تخدش سمعها مرة فى حياتها . . حتى ولا من الصبية الذين يتبادلون السباب تحيات يتهادونها فى الشوارع وعلى مسمع من المارة . .

لم تكن تتصور أن يجىء يوم توجه فيه إليها هذه السبة البشعة المقيتة . . وممن ؟ من زوجها كمال .

وكان الضابط أسرع من كمال فأمسك بذراعه قبل أن يهوى بكفه على خدها وهو يقول :

– من فضلك . . المتهم فى حماية الشرطة ما دام فى حضرة رجالها .

وبكت أمينة .

بكاء الأطفال وهى تقول :

– متهم ! ! وهل أنا متهمة ؟ وبأى شىء ؟ أنا مظلومة . . أنا لم أفعل شيئا . . أنا لا أفهم من كل هذا شيئا .

– ستعرفين كل شىء بعد قليل يا سيدتى .

قالها النائب ثم وجه حديثه للضابط قائلا :

– يا حضرة الضابط . . سأصحب المتهمة إلى مقر النيابة . . المسكن مكان

الحادث لم تعد لى به حاجة . . أما أنت فيمكنك أن تتم استيفاء إجراءاتك هناك إذا رأيت لهذا ضرورة .

وغادروا المسكن . . وعند الباب الخارجى للمبنى قال النائب للضابط :

– صاحب الرسالة التى وجدت فى درج مائدة الزينة الخاصة بالمجنى عليه ، أرجو أن تجرى التحريات للعثور عليه فورا .

– سنجرى اللازم . . سيدى النائب :

والمسكن يغلق باباه . . الباب العادى وباب الخدم ويختما بالشمع الأحمر ويؤخذ مفتاح باب الخدم من البواب .

وافترقوا عند الباب الخارجى للمبنى .

النائب وكاتب التحقيق وأمينة وكمال إلى قسم بوليس قصر النيل .

والضابط إلى مسكن مراد .

* * *

٣٥

وصعد الضابط إلى مسكن مراد فوجد رمضان جالسا بالباب وقد جلس القرفصاء بجانبه – البواب عبد المجيد .

وهب الاثنان واقفين ورفع كل منهما يده إلى جبينه بالتحية وقال العريف :

– عربة المشرحة وصلت يا سيدى وحملت الجثة وصحبها الرقيب نور الدين وها هو محضر التسليم .

وقدمه للضابط الذى سأله :

– ألم يجىء أحد فى خلال هذه الفترة ؟

– لا يا سيدى .

وطوى الضابط الورقة المدون عليها محضر تسليم الجثة ثم دسها فى جيبه وأخرج ورقة أخرى وقلما ورفع عينيه فدار بهما بين أرجاء المكان وهو يقول :

– أريد رسما سريعا للمكان .

وقبل أن يبدأ الرسم طلب من البواب أن يسلمه المفتاح الذى فى حوزته فقدمه

له عبد المجيد فأخذه منه وأسقطه فى أحد جيوبه وبدأ - يجرى بالقلم فوق الورقة مبتدئا رسمه من باب المسكن الذى كان مفتوحا .

ولم تمضى دقائق حتى ظهر أحمد . .

أحمد زوج عفاف .

ظهر أمام الباب . . باب المسكن فراح ينظر إلى داخله وقد عقدت الدهشة لسانه ، أنه يرى مسكن صديقه مفتوحا و يرى بداخله ضابطا وجنديا فما الذى جرى ؟

ولمحه الضابط واقفا بالباب متردداً فى الدخول فدعاه قائلا :

- تفضل . . تعال . . ادخل . . تفضل .

وخطا أحمد داخلا كالتائه وقد تضاعفت دهشته . . ولم يكد يتوسط الردهة حتى اقترب البواب منه ثم نظر إلى الضابط وهو يصيح صيحة أرشميدس :

- وجدته . . هذا هو يا سيدى الضابط .

ونظر أحمد إلى البواب كما ينظر إلى من به مس . . وكان الضابط قد أحس أن هنالك شيئا فسأل البواب :

- من هو يا رجل ؟

- الذى جاء للمرحوم وصعد إليه وغاب عنده قليلا - هذا هو . . هذا هو .

وعاد أحمد ينظر إلى عبد المجيد وهو فى حيرة من أمره ثم سأله :

- عن أى شيء تتحدث ؟ ما الحكاية ؟

فسأله الضابط :

- ما اسمك ؟

- أحمد راغب .

- أين تعمل ؟

– فى مصلحة البريد .

– لمن جئت إلى هنا ؟

– لصديقى مراد .

– هل جئت له قبل ذلك ؟

– جئت ولم أجده .

– هل تركت له ورقة ؟ أعنى رسالة ؟

– رسالة ؟ أية رسالة ؟

– ألم تترك له رسالة ؟

– عندما جئت له عصرا لم أترك له شيئا . . لقد ضغطت الجرس عدة مرات فلما لم يفتح الباب أيقنت أنه خارج بيته فانصرفت وعدت له الآن .

– ماذا تريد منه ؟

– إنه صديقى .

– ألا تعرف أين هو الآن ؟

– هذا ما أريد أن أعرفه .

– مراد فى المشرحة .

– مشرحة ! ! !

– للتعرف على سبب وفاته .

– سبب وفاته ! ! !

– ألم تكن تعرف ؟

– أعرف ماذا ؟

– إنه توفى . .

– مستحيل . . مستحيل . . مستحيل . .

– تفضل معنا .

– إلى أين .

– إلى النيابة . .

– النيابة ! ! إننى لا أفهم من كل هذا شيئا .

– كلكم لا تفهمون شيئا . . ألا من واحد فقط يفهم ! ! !

– أؤكد لك أننى أسمع هذا النبأ لأول مرة . . لا أعرف عنه شيئا . . أى شيء .

– ستعرف كل شيء بعد قليل . . اقبض عليه يا رمضان .

٣٦ وكان النائب فى هذه اللحظة يعصر أمينة بأسئلته دون أن ينتزع منها جوابا شافيا .

إنها لا تعرف شيئا . . لا تعرف المجنى عليه مراد عزمى . . إنها لم تذهب إلى بيته من قبل . . لم تقابله مرة واحدة فى حياتها . . لم تسمع باسمه .

وزوجها كمال جالس يقرض أظفاره والغيظ والقهر وخيبة الأمل والنكبة فى عرضه تقرض بدورها أعصابه وقلبه وتمتص دمه .

وفى اللحظة التى دخل الضابط وفى صحبته أحمد مقبوضا عليه كان النائب يسأل أمينة :

– ما هو بالضبط . . أتعرفين ما معنى بالضبط ؟ . . ما هو بالضبط التصليح الذى تركت الحذاء فى المتجر لإصلاحه .

– النعل .

فالتفت النائب إلى كاتب التحقيق وأملى عليه ؟

– اكتب يا سيد عبد المنعم . . للمرة الثالثة أصرت المتهمة على أنها تركت الحذاء فى المتجر الذى تتعامل معه لتصليح النعل دون غيره .

ثم التفت النائب إلى أمينة وسألها :

– ما اسم صاحب هذا المتجر وما عنوانه ؟

– حامد محمود بشارع قصر النيل .

فكتب النائب أمر حضور دفع به لشرطى واقف بباب حجرة التحقيق وقال له :

– احضر لى السيد حامد محمود هذا . . حالا . .

ودق الشرطى عقبيه ببعضهما محييا وخرج لإحضار الرجل الذى ستلقى شهادته على موقف أمينة ضوءا ساطعا .

فى هذه اللحظة كان أحمد مع الضابط وسط الغرفة ففوجئ بوجود أمينة وزوجها كمال فاندفع إليهما :

– أمينة . . ماذا تفعلين هنا ؟

وارتمت أمينة بين ذراعيه وهى تنشج كالأطفال .

– الحقنى يا أحمد . . أنا وحدى هنا ولا أحد بجانبى .

ونظرت إلى كمال نظرة الخصم لخصمه . . كانت تعتبر نفسها وحيدة بلا نصير فكمال أصبح عدوها الأول .

وهب كمال واقفا وهو يتساءل وقد أدهشه إشراك أحمد فى الاتهام :

– أحمد ! ! ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

ودق النائب سطح مكتبه بقلمه فلزم الجميع الصمت ثم سأل الضابط :

– من هذا يا حضرة الضابط ؟

– هذا الذى تعرف عليه البواب وقال إنه صعد للمجنى عليه .

– وكيف وصلتم إليه ؟

– والله . . حملته قدماه إلينا من تلقاء نفسه .

– لينتظر قليلا .

والتفت النائب إلى أمينة وسألها .

– ألديك أقوال أخرى ؟

– ليس لدى ما أضيفه سوى أننى بريئة . . مظلومة . . لا أعرفه . . لم أعرفه من قبل .

وقدم لها كاتب التحقيق القلم وطلب منها أن تذيل أقوالها بتوقيعها . فوقعت وردت قلمه إليه .

والتفت النائب إلى كاتب التحقيق وقال له :

– أعد فتح المحضر من جديد لاستجواب المتهم الثانى . . اكتب . . وهنا حضر السيد الرائد حسين المصرى نائب مأمور نقطة بوليس الجزيرة ومعه السيد . .

والتفت إلى أحمد وسأله :

– اسم سيادتك ؟

– أحمد راغب .

– ومعه السيد أحمد راغب وسألناه بالآتى . . اسمك ؟

– أحمد راغب .

– عمرك ؟

– خمسة وثلاثون عاما .

– عملك ؟

– مصلحة البريد .

– أتعرف مراد عزمى ؟

– صديقى .

– أذهبت له اليوم فى منزله ؟

– ذهبت ولم أجده .

– كم مرة ذهبت إليه .

– مرتان .

– متى ؟ ومتى ؟

– حوالى الساعة الثالثة والنصف ثم الآن .

– ماذا فعلت عنده الساعة الثالثة والنصف ؟

– إنى لم أجده .

– تعنى أنك لم تقابله اليوم ؟

– نعم لم أقابله .

– أتعرف لِمَ أنت هنا الآن ؟

– هذا ما أرجو أن أعرفه .

– أنت متهم بقتل مراد عزمى .

– هذا غير صحيح .

– ما دليلك على عدم صحته ؟

– وما البينة على صدق اتهامى ؟ . . هذا صديقى واتهامى بقتله شىء لا يقبله العقل .

– اسمع . . لن يفيدك هذا التجاهل بشىء .

- وأنا أؤكد لسيادة النائب . .

ولم يدعه النائب يتم حديثه فسحب الرسالة التى وجدت فى حوزة مراد وقدمها لأحمد وهو يقول :

- هذه الرسالة تخصك ؟

وعرفها أحمد للوهلة الأولى فأجاب فى هدوء :

- نعم تخصنى .

- بخطك .

- بخطى ؟

- وهذا توقعيك .

- وهذا توقيعى .

- والتفت النائب إلى كاتب التحقيق وأملى عليه :

- اكتب يا سيد عبد المنعم . . عرضنا على المتهم الرسالة المضبوطة فى أحد أدراج المجنى عليه فاعترف أنها بخطه وبتوقيعه وأنها صادرة منه للمجنى عليه .

والتفت ثانية إلى أحمد وسأله :

- فسر لى هذه الرسالة :

- وراح النائب يقرأ بصوت واضح :

عزيزى مراد .

المبلغ وإلا فأنت أدرى . . حضرت ولم أجدك . . سأعود مرة أخرى وإذا لم أجد المبلغ معدا فأنت وحدك الذى يعلم ما ستكون النتيجة .

أحمد راغب

وسادت لحظة صمت قصيرة قطعها النائب سائلا :

– ماذا تقصد بهذا التهديد ؟

– إنه ليس تهديدا .

– ماذا تسميه إذن .

– إنه . . .

– وصمت أحمد فاستحثه المحقق قائلا :

– تكلم .

– إن مرادا صديقي . . أو كان صديقي . . وقد وعدني بمبلغ معين كنت في حاجة إليه . .

– أتعني أنك في مأزق مالي ؟

– نعم .

– وأنك تعني شخصك بما ورد في هذه الرسالة ؟

– هذا ما أعنيه بالضبط .

واعتدل النائب في جلسته كمن حلا له التحقيق والاستجواب ثم التفت إلى كاتب التحقيق وقال :

– اكتب يا سيد عبد المنعم س سؤال . . ما هي طبيعة هذا المأزق الذي يدفعك لكتابة مثل هذه الرسالة بمثل هذه اللهجة ؟

– هذا موضوع غير مطروح للتحقيق .

وكأن النائب استنكر من أحمد تنبيهه إلى ما يجوز وما لا يجوز فحدق فيه باهتمام وهو يقول :

– غير مطروح ! ! وما هو المطروح اذن ؟

– المطروح أمر الرسالة وما هو مكتوب فيها .

– حضرتك محام ؟

– لست محاميا ولكنى أحمل إجازة القانون .

– إذن تعرف أن للمحقق أن يسأل فيما يشاء وكيفما يشاء لكى يصل إلى الحقيقة .

– أنا لم امتنع عن الأجابة .

فأعاد المحقق ذات السؤال :

– ما هى طبيعة المأزق الذى يدفعك لكتابة مثل هذه الرسالة بمثل هذه اللهجة ؟

ولم يحر أحمد جوابا فقال له المحقق :

– أجب .

– كما قلت لسيادتك . . إنه صديقى وكان قد وعدنى بمبلغ من المال .

وبان الضيق على وجه المحقق وفى نبرات صوته فقال كأنما يخاطب نفسه :

– عدنا إلى الحلقة المفرغة .

ثم التفت إلى كاتب التحقيق وهو يقول :

– اكتب يا سيد عبد المنعم . . للمرة الثانية يرفض المتهم الإجابة على السؤال . . س . . يفهم من إجابتك أنك تعنى نفسك بالنتائج السيئة إذا لم يكن المبلغ الذى تريده من مراد معك ، فهل أنت مدين مثلا لشخص ومطلوب منك أن تسدد هذا الدين غدا ؟

– شىء مثل هذا .

– حسن جدًّا . . اكتب يا سيد عبد المنعم . . س . . من هذا الشخص الذى تلجؤك ضرورة سداد دينك له لأن تكتب هذه الرسالة ؟

– شخص لا شأن له مطلقا بما نحن فيه .

– من هو ؟

وسكت أحمد . . ولكن المحقق لم يرحمه فقال له . .

– تكلم .

فرفع أحمد رأسه وهو يقول :

– لا أستطيع الكلام إلا إذا كان محامى الخاص بجانبى .

– والتفت إلى كمال جالسا يقرض أظافره وقال له :

– أرجوك يا كمال أن تتصل بالأستاذ فريد الحسينى المحامى وتطلب منه أن يحضر حالا .

وقام كمال عن مقعده واستأذن المحقق فى الخروج فأذن له . . ولاحظ أحمد وجود المسرة فوق مكتب النائب فأشار بيده إليها وهو يقول :

– أيسمح لى سيادة النائب أن أتصل بمنزلى لاطمئن زوجتى . . أنى أرى الليل قد بدأ يقبل وقد نضطر للبقاء هنا أطول مما نتوقع ويحسن أن أتصل بها حتى لا تنزعج .

وأحنى النائب رأسه إيجابا وهو يقول :

– لا بأس . . تفضل .

ورفع المسمعة عن المسرة وأدار القرص برقم بيته . . واقتربت أمينة منه وقالت فى صوت مرتعش كضوء شمعة قاربت الفناء :

– استدعها يا أحمد لتكون بجانبى . . أنى أريدها قريبة منى .

ومضت ثوان . . وبدأ أحمد يتحدث . . وفى صوت خفيض حاول جهده أن يجعله يبدو هادئاً لا أثر للانفعال فى نبراته ، أخبر زوجته أنه فى نقطة بوليس الجزيرة .

وأنهى إليها فى إيجاز واقتضاب أنه وأمينة متهمان بقتل مراد وأن أمينة تلح فى وجودها إلى جانبها فى محنتها . . ثم أعاد المسمعة إلى مكانها وشكر للنائب سماحه له باستعمال المسرة .

٣٧ وأعادت عفاف مسمعتها إلى مكانها . . كانت قد وصلت إلى منزلها منذ دقائق . . وكانت لا تزال بثيابها التى خرجت بها وحذاؤها قد أصلح وألصق به كعب جديد . . وبلغ بها الحرص غايته فلم تكتف بتجديد الكعب المقصوف فقط - الأيمن - بل جددت الأيسر أيضا حتى لا يبدو للعين الفاحصة المدققة أى فرق بينهما لونا وجلدا واستهلاكا .

ولكنها - مع ذلك - لم تستطع أن تتخلص من الشعور بالقلق فى أعنف صوره .

أنها لا تدرى ما الذى حدث ! ! لقد بارحت منزل شقيقتها عصرا أو بعد العصر بقليل . . فاستقلت إحدى السيارات وأسرعت لإبدال كعبى حذائها ثم ذهبت لزيارة صديقة لها أمضت معها بعض الوقت . . وكانت وهى عائدة إلى بيتها تقدم رجلا وتؤخر أخرى . . كانت تتوقع أى شىء إلا أن تسمع باتهام زوجها وشقيقتها بقتل مراد .

ما الذى حدث ؟

إن هذا الاتهام خرافة لا شك فيها .

ولكن . . كيف تم ؟ كيف تم اتهامها ؟ وما الدوافع أو الأدلة التى أحاطت بها ؟ وكيف تم القبض عليها . . ثم أمينة ! ! ما شأن أمينة بمراد ؟ ؟ إنها لا تعرفه وهو لا يعرفها ليست هناك أية صلة بينهما فما الذى ركز الضوء عليها لتتهم بقتل رجل لم تره مرة واحدة فى حياتها ! !

أيمكن أن يتم القبض على الناس بهذه السهولة ! !

ورجحت أن تكون علبة البودرة سبب هذا التحول الظالم . . ولكن على أى نحو ؟

وكيف ؟

ولم يسعفها خيالها بالوصول إلى حقيقة ما حدث بالضبط فقد كان هذا أبعد ما يمكن لها أن تتصوره .

وأحست برأسها يكاد ينفجر . فقامت عن مقعدها وبارحت المسكن – كما هى – بكل ثيابها التى عليها منذ بارحت منزلها إلى منزل مراد . . وتعمدت أن تظل بذات الحذاء الأبيض فى قدميها .

إنها تريد أن تدرأ عنها كل شبهة . . أية شبهة .

وحملتها إحدى السيارات إلى نقطة بوليس الجزيرة . . ولم يكد يؤذن لها بالدخول إلى غرفة التحقيق حتى اندفعت إلى أمينة فعانقتها وقبلتها وراحت تطمئنها وتربت كتفيها وذراعيها وهى تؤكد لها أن ما من أحد إلا واتهم ظلما ولو مرة فى حياته .

وشرقت عينا أمينة بالدمع وهى تقول :

– ليس كهذا الاتهام يا عفاف :

واتجهت عفاف إلى زوجها وراحت تشجعه وتحثه على ألا يتخاذل فالتهمة الموجهة إليه لا يقبلها عقل ولا منطق . . وكان أحمد متماسكا واثقا من براءته من تهمة القتل ولكنه كان يبدو مهموما كأنه يحمل أثقال الدنيا فوق كاهليه فنظر إلى عفاف وهو يقول :

– اطمئنى . . الأستاذ فريد الحسينى المحامى إلى جانبى . . ومنذ حضوره والتحقيق بدأ يتجه لصالحنا . . أمينة . . وأنا .

وكان المحامى قد حضر فى خلال هذه الفترة فاتخذ التحقيق صبغة أخرى من الأناة وجدية الاعتراض على بعض الأسئلة التى كان يوجهها المحقق إلى أحمد . .

لقد أحس أن أحمد يخفى شيئا . . شيئا يكتمه ويخشاه ويشفق أن يكشفه التحقيق . . ولمس إصرار النائب على معرفة ما وراء لهجة الرسالة التى وجدت فى حوزة مراد فقال :

– مع تقديرى التام لمهمة النيابة وحرصها على الوصول إلى الحقيقة ، لا أرى ضرورة لإصرارها على معرفة طبيعة المأزق المالى الذى يجتازه موكلى ولا الجهة التى لابد له من أن يسدد لها المبلغ الذى كان يريد اقتراضه من صديقه المتوفى .

واعتدل النائب فى جلسته وهو يشرح للمحامى فكرته :

– يا أستاذ فريد . . أنا أقدر مهمتك وأقدر مركزك الدقيق دفاعا عن المتهم . . ولكنى أمام تهديد صريح .

فقاطعه المحامى .

– ليس تهديدا يا سيدى النائب .

– ليس تهديدا صريحا . . لا بأس . . إنه شبه تهديد . . النيابة لا تريد أكثر من

تفسير يوضح لها كل شيء .

ومرت لحظة صمت كان المحامى يفكر خلالها ثم قال :

– أيسمح لى سيادة النائب بالانفراد بموكلى قليلا .

– تفضل . . لا مانع بالمرة .

ونهض المحامى عن مقعده وأشار إلى أحمد وإلى أمينة وقال :

– تفضل يا أستاذ أحمد . . معى . . تفضلى يا سيدة أمينة .

وانتحى بهما ركنا بعيدا من ذات الغرفة . . وإذ هم بالحديث . . قاطعته أمينة والدموع فى عينيها .

– يا أستاذ فريد . . أنا بريئة . . أقسم لك . . أنا بريئة .

وهز المحامى رأسه وهو يقول :

– أنا واثق من براءتك . . ومن مصلحتك أن أرسل النائب فى إحضار صاحب متجر الأحذية ولست أشك فى أن شهادته ستلقى ضوءا على موقفك . . المهم أنت يا أحمد .

والتفت إلى أحمد وخفض من صوته وهو يقول :

– هذه الرسالة تحمل تهديدا أو فى القليل شبه تهديد . . أنا أعرف أنك لم تقتل صاحبك . . ولكنا أمام وثيقة بخط يدك قد توقعنا فى مأزق . . فتكلم . . أرجوك . .

ونكس أحمد رأسه وظهر عليه أنه يعانى آلاما هائلة . . فعاد المحامى يستحثه ويشجعه :

– يا أحمد . . نحن لسنا كأى محام وأحد موكليه . . إنما نحن صديقان منذ عهد الدراسة فلا تكتم شيئا عنى . . صارحنى بكل شىء حتى أستطيع أن أوقف هذه

المأساة . . أنا واثق . . أنك لم تقتل مرادا . . ولكن هناك شيئا لا أعرفه . . قد لا تكون له أية علاقة بموت مراد . . ولكنه – هذا الشيء الذى لا أعرفه – أقحمته الظروف ففرضته على موقفك . . . شيء من تأليف أعظم القصصيين وأخصبهم خيالا . . أعنى القدر . . تكلم . .

ورفع أحمد رأسه وقال فى صوت منخفض ذليل :

– الأمانات فى عهدتى تنقص مائتى جنيه يجب أن أسددها غدا صباحا فأودعها الخزانة فقد علمت عن طريق سرى أن جردا مفاجئا سيجرى على ما فى عهدتى فى التاسعة من صباح الغد . . فإذا لم أستوقف هذا العجز سأؤخذ بجناية الاختلاس . وأنت تعرف معنى هذا .

وعصر أحمد كلا من كفيه بالآخر وهو يقول فى صوت هربت منه الحياة .

– مراد كان وعدنى بتقديم هذا المبلغ لى . . وأبطأ على أو هكذا صور لى القلق فتركت له هذه الرسالة لأستحثه إنجاز وعده . . وقطعا كان سيحمل إلى المبلغ هذا المساء . . أنا أعرف هذا جيدا فهو صديقى والمروءة أبرز صفاته . . ولكنه مات قبل أن نلتقى . . من أجل هذا لا أستطيع أن أتكلم يا أستاذ فريد . . فلكى أبرئ نفسى من تهمة أنا برىء منها فعلا – أعنى قتل مراد – سأوقع بنفسى إذا أنا فتحت فى بكلمة – فى تهمة صحيحة ثابتة . . أعنى اختلاس أموال الحكومة .

ولمعت عينا أمينة . . وأطلت منهما شفقتها المطبوعة وحبها وإعزازها أحمد وهى تقول له :

– ولِمَ لم تطلب هذا المبلغ من كمال يا أحمد ؟

وهز رأسه كدرويش فى حفلة ذكر وهو يقول :

– لم أكن داريا بنفسى يا أمينة . . لم أكن أدرى إلى أين أروح ولا من أين

أجىء . . كنت فى دوامة . . فى هذا الزحام الكبير من الحيرة والقلق واليأس . . لم أكن داريا بنفسى كما قلت لك .

وعاد المحامى بهما إلى حيث يجلس خلف مكتبه وقال له :

– يا سيدى النائب . . لازلت عند رأيى الأول وهو أننى لا أرى مبررا لإصرار النيابة على معرفة حقيقة الضائقة المالية التى يجتازها موكلى . . المسألة تتلخص فى كلمتين . . رجل فى حاجة ملحة لمبلغ من المال . . وله صديق تعود أن يلجأ إلى مروءته فى مثل هذه الأزمات . . وهذه أسرار عائلات لا شأن لنا ولا للنيابة بها .

وظهر على وجه المحقق عدم الرضا عما يقوله المحامى فقال :

– على أية حال . .

وقطع عليه الحديث دخول الشرطى الذى أرسله ليحضر صاحب متجر الأحذية الذى تركت أمينة حذاءها فى متجره . . دق عقبيه ببعضهما ورفع يده بالتحية فسأله .

– أين صاحب متجر الأحذية يا عسكرى .

وأنزل الشرطى يده عن جنبيه واعتدل فى وقفته وهو يقول :

– اليوم السبت يا سيدى . . وكل المحال تغلق أبوابها بعد ظهر السبت وكل الأحد ولم أستطع التوصل لمعرفة بيته وإلا أحضرته .

– يعنى لن يحضر إلا يوم الاثنين .

ورفع الشرطى يده بالتحية مرة أخرى وهو يقول :

– وعليك خير يا فندم .

واستدار خارجا من الغرفة بينما انهمرت الدموع من عينى أمينة .

ورفع النائب عينيه إلى وجهى أحمد وأمينة . . واتخذ صوته مسحة أكثر جدية

مما كان وهو يقول :

- إنى مضطر - مع الأسف - لإلقاء القبض عليكما .

وشلت المفاجأة ألسنتهم جميعا . . وتبادلوا النظرات دون أن يفتح أحدهم فمه بكلمة إلى أن صاح أحمد :

- القبض ! ! لا يمكن . . لا يمكن . . أنا برىء . . لم أقتله .

وصاحت أمينة :

- وأنا لا أعرفه . . لم أره فى حياتى مرة واحدة . والتفت المحامى إلى النائب المحقق وقال :

- القبض لا ضرورة له ياسيادة النائب . . إنهما معروفان . . ومن أسرتين معروفتين ولن يهربا لأنهما بريئتان حقيقة . . والتهمة - بعد - لا دليل عليها .

ولكن النائب لم يستجب لمنطق المحامى وكأنه أراد أن يهدم حجته فقال :

- يا أستاذ فريد . . نحن أمام حادث . . المتهمان به تحت أيدينا . . وهناك قرائن . . فإلى أن يصل - فى القليل - تقرير الطبيب الشرعى . . فإذا كانت الوفاة جنائية . . استأنفت التحقيق معهما . . وإذا لم تكن صرفتهما بسلام .

وعاد المحامى يدور حول غايته . . إن مهمته أن يخلى سبيل أحمد بأى ثمن ليستطيع أن يرد الناقص من عهدته المالية صباح غد وإلا كانت الكارثة . . ولكن المحقق قال فى لهجة من لا حيلة له :

- إنى لآسف يا أستاذ فريد . . فأمامى قرائن تكاد ترقى لمرتبة الأدلة .

والتفت إلى كاتب التحقيق وقال له وهو ينظر فى ساعة صغيرة موضوعة فوق مكتبه .

- اكتب يا سيد عبد المنعم . . وكانت الساعة التاسعة إلا عشر دقائق مساء

عندما أمرنا بإلقاء القبض على كل من . . السيد أحمد . .

وانتفض أحمد مقاطعا متوسلا :

– لا يمكن . . أنا برىء . . أرجوك يا سيادة النائب . . أرجوك . . لا تقبض على . .

ولكن المحقق لم يأبه لمقاطعته وراح يتم إملاء أمر القبض . . ولكنه لم يكد يملى كلمة أخرى حتى دخل أحد رجال الشرطة وهو يقول :

– تقرير الطبيب الشرعى وصل يا سيدى . فتوقف المحقق عن إتمام إملاء أمر القبض .

– انتظر يا سيد عبد المنعم .

قالها ثم التفت إلى الشرطى وقال له :

– أدخله بسرعة .

ودخل رجل فى نحو الأربعين من عمره يحمل ظرفا أصفر مختوما بالشمع الأحمر ودفترا صغيرا . . فحيا وقدم الظرف للمحقق وهو يقول :

– والله يا سيادة النائب . . الدكتور رأفت هو الذى اهتم شخصيا بالمسألة فأجرى التشريح وكتب التقرير بيده . . لقد كلفنى أن أبلغ سيادتكم هذا مع تحياته .

وابتسم النائب وهو يقول :

– الدكتور رأفت صاحب همه . . بلغه تحياتى .

وقرب الرجل الدفتر الصغير إلى النائب وهو يقول :

– لو يسمح سيدى بالتوقيع بالاستلام .

فوقع النائب مقرًّا باستلامه التقرير وانصرف الرجل .

واشرأبت الأعناق . .

كمال وعفاف وأمينة وأحمد والمحامى . .

وتحولت مسام جلودهم جميعا إلى أعين يراقبون بها النائب وهو يفض خاتم الظرف وإلى آذان يحصون بها عليه أنفاسه . . ومرت ثوان ليست من العمر . . وكانت عفاف تحاول أن تتحكم فى أعصابها وأنفاسها وضربات قلبها . . وراح المحقق يمر بعينيه بين سطور التقرير بعد أن سحبه من ظرفه وكان عبارة عن ورقة واحدة مكتوبة على الآلة الكاتبة . . ومرت ثوان أخرى ألقى النائب بعدها بالتقرير أمامه – فوق سطح مكتبه . . وراح ينقل عينيه بين أحمد وأمينة ثم قال :

– الآن أستطيع أن أخلى سبيلكما .

فسأله المحامى :

– الوفاة إذن . .

– طبيعية . . هبوط مفاجئ فى القلب نتيجة إجهاد شديد .

ومع العبارة الأخيرة ، رمق أمينة بنظرة جانبية لم يفتها معناها الجارح . .

هذا بينما رفعت عفاف عينيها إلى سماء الغرفة وهى تهمس لنفسها دون أن تتحرك شفتيها .

– الحمد لله . .

ووقفت أمينة واقتربت من مكتب المحقق وارتكزت إلى حافته بكفيها وهى تسأله :

– ولكن . . أنا ؟ ؟

وابتسم النائب ابتسامة هزيلة وهو يقول :

– لا تخافى . . سيفرج عنك .

وشرقت عيناها بالدموع وهى تقول بصوت مختنق :

- أنا لا أخاف شيئا . . ولست أسأل عما إذا كان سيقبض على أو سيخلى سبيلى ولكن هناك تهمة أخرى أفظع بكثير من تهمة القتل وما زالت عالقة بى ، أنى أفضل أن أتهم بالقتل على أن أتهم التهمة الشائنة .

ولم يلتفت النائب إليها بل إلى كاتب التحقيق وهو يقول :

- لا شأن لنا بهذا . . نحن أمام اشتباه فى سبب وفاة . . ومادامت قد وضحت حقيقته . . انتهت مهمتنا . . اكتب يا سيد عبد المنعم . . وكانت الساعة التاسعة إلا خمس دقائق عندما ورد تقرير الطبيب الشرعى وفيه أن وفاة المدعو مراد عزمى طبيعية نتيجة هبوط مفاجئ بالقلب فقررنا الإفراج بلا ضمان ولا كفالة عن كل من :

أولا - السيد أحمد راغب .

ثانيا - السيدة أمينة التهامى .

وهنا هب كمال عن مقعده واقفاً وقد تلون وجهه بلون كبد حيوان مسموم وصاح بالمحقق .

- من فضلك . . من الليلة . . من الآن . . لم تعد تحمل اسم التهامى .

ونظر إلى زوجته أمينة وهو يبصق حطام هنائه الذى عاش فيه زمنا .

- أنت مطلقة .

وصرخت أمينة :

- كمال .

فأعادها كمال فى خوار ثور يمرق النصل فى نحره .

- مطلقة بعدد المرات التى أهدرت فيها عرضى .

وانطلق خارجا من الغرفة كالقذيفة .

وعبثا حاول أحمد وعفاف أن يستبقياه . . لقد تحول جسمه كله إلى عضلة واحدة صلبة متحجرة . . لو اجتمع عليه عشرة رجال فى هذه اللحظة لكنسهم جميعا أمامه .

وانهارت أمينة . . فحطت جالسة فوق أقرب مقعد بجانبها واعتمدت وجهها بين كفيها وراحت تهتز جميعها كما لو تلقت صدمة كهربية . . واقتربت عفاف منها ووضعت كفيها فوق كتفيها تحاول تهدئتها وقد طفرت الدموع من عينيها .

لم تكن تدرى أن الأحداث ستكون أقوى منها وأسرع منها . . ضاربة ظالمة على هذا النحو المفاجئ الغريب .

وهل كانت تقدر أن تنقلب محاولتها تغطية نفسها هذا المنقلب فتصيب أختها التى تحبها فى صميم حياتها وسيرتها وسمعتها وكرامتها وشرفها وأن يهدم بيتها ومستقبلها على هذا النحو الأليم ! !

وكان المحقق قد أتم إملاء أمر الإفراج واختتام المحضر فقدم كاتب التحقيق القلم إلى أحمد وطلب منه أن يوقع بإمضائه فوقع أحمد . . ثم قدم ذات القلم إلى أمينة فتناولته بيد مرتعشة فكتبت اسمها بجانب توقيع أحمد وقدم النائب لها علبة البودرة التى فى حوزته قائلا :

– تفضلى يا سيدة أمينة . . هذه علبتك . . أصبح من حقك أن تسترديها .

فتناولتها أمينة منه – وعين عفاف عليها ترصدها فى تفكر وتأمل فيما جرت إليه . . ثم ألقتها فى حقيبة يدها دون أن تفطن أبدا إلى أنها ليست لها . .

وهل كان من الميسور أن تفطن لهذا ؟ ؟

٣٨

وفى السيارة – إحدى سيارات الأجرة – كان أحمد وعفاف يحاولان تهدئة أمينة وتأكيد خطأ ما أقدم كمال عليه فى لحظة انفعال وتسرع . . ولكن أمينة التفتت إلى أحمد وهى تقول :

– دعك من هذا الآن يا أحمد واهتم بالأهم . . هذا المال الذى عليك أن تسدده غدا . . يجب أن تحصل عليه الليلة وإلا ساءت العاقبة .

فهز أحمد رأسه فى يأس وهو يقول :

– سأرى . . سأرى الآن .

ولم تكن عفاف تدرى بالمأزق الذى يمر به زوجها فشرحه لها فى إيجاز فأدركت لتوها ماكان يعنيه مراد بحديثه عن أحمد وقوله لها :

– كل شيء سيسوى الليلة . . أنت تعرفين مقدار أحمد عندى . . إن قدره من قدرك .

ولكن شيئا من هذا لم يتم . . عاجله الموت فكان أسبق إليه من الجميع . . لم

يتح لأحمد أن يأخذ منه هذا المال الذى يحتاجه وهو فى أمس الحاجة إليه . . ولم يتح لها أن تأخذ سيارته بالطريقة التى رسمها ودبرها .

ووقفت بهم السيارة أمام المنزل منزل أحمد وعفاف - ولم تمض دقائق حتى كانوا ثلاثتهم داخل المسكن . . ذراع عفاف فى إحدى ذراعى أمينة . . وذراع أحمد فى ذراعها الأخرى كل منهما يحاول أن يهون وقع المصاب عليها .

قالت عفاف .

- نتناول الآن طعام العشاء . . وهذه الغرفة تامة الإعداد مهيأة للنوم فيها أهدأ ما يكون النوم .

وكانوا ثلاثتهم قد وصلوا غرفة النوم ودخلوها . . وألقت عفاف بحقيبة يدها فوق مائدة الزينة فاقترب أحمد من أمينة محاولا مواساتها .

- صبرك إلى صباح الاثنين . . يعنى هذه الليلة والليلة القادمة . . وسترين كمالا نائما على عتبة متجر الأحذية ليسأل صاحبه .

وكان حديث أحمد بارقة أمل لها فسألته :

- أتظن هذا يكفى بتبرئتى أمامه .

فأجابها أحمد محاولا قدر طاقته بعث الأمل إلى نفسها :

- طبعا طبعا . . أنها قرينة ضدك ستصبح فى صالحك . . وهل هذا معقول . .

والتفتت إليه زوجته وقالت :

- اترك لى أمينة يا أحمد واذهب أنت لتتدبر مسألة المال المطلوب وإلا أصبحنا على مصيبة .

- الحق معك يا عفاف . . إلى من أذهب ؟ إلى من ؟ إلى من ؟ . .

وراح يستعرض من يستطيع أن يلجأ إليهم فى مثل هذه الضائقة . . ولكن أمينة

قطعت عليه تفكيره إذ قالت :

– أحمد . . اذهب إلى كمال يا أحمد .

– فى مثل هذا الظرف يا أمينة ؟ وهو على هذه الحال ؟

– وما شأنك أنت ؟ تلك مسألة أخرى . .

وتحسس أحمد جيوبه وهو يقول :

– إنى فى حيرة . . إن لى صديقا قديما يسكن شارع الأهرام . . سأقصده ولو أننى لا أضمن وجوده فهو غالبا فى مزرعته قرب الفيوم .

وأحست أمينة بكربه . . وهى تعرف حساسيته وطيبته فقالت له :

– إذا لم تجد هذا الصديق فلا تتردد فى الذهاب لكمال .

– أظن هذا هو الحل الوحيد .

والتفت إلى عفاف وسألها :

– أمعك نقود يا عفاف ؟ ؟ إن المسافة طويلة والدنيا ليل ويستحسن أن أستقل سيارة خاصة .

فتناولت أمينة حقيبة يدها تريد أن تخرج منها نقودا ولكن عفاف وضعت يدها فوق يد أختها بلطف وقالت لأحمد :

– عندك حقيبتى يا أحمد . . خذ منها حاجتك .

وأنهضت أمينة بلطف وهى تقول لها :

– تعالى بنا إلى الشرفة . . بعض الهواء النقى سينعشك .

وأطاعتها أمينة كطفلة . . بينما اتجه أحمد إلى مائدة الزينة ففتح حقيبة زوجته ودس يده بداخلها وراح يعبث بمحتوياتها باحثا عن نقود ثم سحبها ببطء فإذا بها .

– وبين أصابعه – القداحة التى أهدى مرادا أياها .

قداحته البسيطة المنقوش عليها اسمه وتاريخ ترقيته إلى الدرجة الرابعة .

وأحس بدمائه تجف فى عروقه وبصفير حاد يخترق أذنيه . . وخيل إليه أن الغرفة بكل محتوياتها تدور به وأنه يكاد ينكفئ فيصطدم وجهه بالأرض فتساند وارتكز بكفه إلى حافة مائدة الزينة . . وبدأ كل شئ يبدو لعينيه واضحا صريحا مكشوفا .

هذا هو المنطق . .

وهذا هو المعقول . .

أن تصاحب عفاف مرادا وأن تقوم بينهما علاقة فتذهب إليه فى بيته يموت بين ذراعيها .

أما أمينة فلا تعرفه ولا يعرفها ولم ير أحدهما الآخر مرة واحدة فى حياته ومن الظلم أن يظن بها هذا مجرد الظن .

٣٩ إن عفاف فى رعبها وفزعها فى اللحظة التى التفتت إلى الخلف لتتبين مصدر الحركة التى كادت تشل قلبها رعبا وكانت قطة مراد بباب غرفته تموء . . فى هذه اللحظة كانت يدها على بعض أشيائها الصغيرة . .

القرط والساعة والسوار والمصحف ودبابيس الشعر . . وكانت هذه القداحة بينها .

شىء صغير بين أشياء صغيرة . .

فألقت بكل هذا فى حقيبة يدها دون أن تنظر إليه بلا وعى ولا تفكير ولا تدبر . كانت عينها على القطة التى أخافتها . . ثم ضغطت فكى الحقيبة فأغلقتها على المفتاح الأول لفضيحتها .

وفى هدوء أسقط أحمد القداحة فى جيبه ثم مد يده ثانية إلى داخل الحقيبة وأخرجها بورقة من فئة الجنيه . . وكانت مطوية . . ولم يكد ينشرها بين أصابعه حتى سقط فى كفه مفتاح دقيق صغير غريب تماما عن كل مفاتيح مسكنه . . وكان

منقوشا عليه رقم ٣ .

إنه رقم مسكن مراد .

وأحس أحمد خدرا غريبا يسرى فى كل أعضائه . . ملايين من النمل . . بعدد مسام جلده تكاثفت لتفقده الإحساس بجسمه . وضغط كفيه بأظافره ضغطا شديدا حادا عنيفا حتى كان يمزقها ولم يكن إحساسه بهذا أكثر من إحساس المريض عندما يسوخ مبضع الجراح فى خلاياه بعد أن خدروا نصف جسمه لإجراء جراحة لا تقتضى تخديرا عاما . . ولكنه تحامل على نفسه . . وأغلق الحقيبة وبدأ يجر ساقيه خارجا من الغرفة .

وأحست به عفاف وقد هم بالخروج فسألته وهى بعتبة باب الشرفة . .

أتبطئ كثيرا يا أحمد ؟

فابتلع ما تبقى فى فمه من لعاب يبل به حلقه الذى جف فجأة ليقول .

– إذا أبطأت . . نامى أنت وأمينة . . ولا تنتظرانى .

واستقبله الطريق . .

ولطم هواء الليل خديه فخفف قليلا من حدة النار التى كانت تلتهم أعصابه وتفتك بخلايا جسمه وتحرق كل قطرة من دمه فتفقده خصائصه . . وراح يدق الأرض بقدميه وقد تجهم وجهه فأصبح كما لو كان قطعة من الحجر لا ملامح لها ولا معارف .

وتسارعت أمام عينيه أحداث العام الماضى كله . . منذ أن التقى بمراد فى ملهى الأوبرج .

ليلة عيد ميلاد عفاف .

واستعرض كل تصرفات مراد حياله وحيال زوجته منذ هذه الليلة المشئومة ، كل

مافعله من أجلها ، كل ما قدمه لها ، هذا الإقبال الشديد عليها ، هذه التضحيات وهذه الهدايا وهذه الخدمات وهذه التسهيلات ، كل ما يعلمه أحمد ، وكل مالم يعلمه وهو بلا ريب أدهى وأعظم .

فى هذه اللحظة فقط أدرك أن كل هذا لم يكن من أجل سواد عينيه ولا من أجل زمالة باهتة هزيلة بضع سنوات فى كلية الحقوق صورتها له طيبته وسلامة طويته صداقة يمكن أن تستأنف أواصرها بينهما .

وهمست شفتاه :

– صحيح . . أنا سطحى النظرة . . أنا مغفل .

ودمعت عيناه فابتلع دموعه . . وجد فى المسير إلى أن وجد نفسه أمام المبنى الذى كان مراد يسكنه . . وإذ هم بالدخول . . تناهى إلى مسمعيه صوت البواب يتحدث مع زميل له فى غرفته الخشبية الصغيرة المختفية تحت درجات السلم . . وكان حديثا فاضحا مخزيا بلغة السوقة عن المرأة التى مات سيده بين أحضانها وكيف أن الزمالك كلها لا حديث لها الليلة إلا فضيحة هذه المرأة . . أمينة . . زوجة المدعو كمال التهامى الذى طلقها فى غرفة التحقيق وكيف كانت أختها وزوج أختها الذى كان متهما معها أكرم من أن يتخليا عنها فاصطحباها للمبيت فى بيتهما .

وأخذت العزة بالشرف أحد الرجلين فقال :

تعرف يا عبد المجيد . . لو أنا زوج أختها ؟ ؟ لو أنا أحمد راغب هذا . . يستحيل أن أقبل أمينة هذه فى بيتى وألمها . . أأدخلها بيتى لتفسد زوجتى . .

اهتز رأس أحمد فى مرارة وهو يهمس :

– مسكينة أمينة .

وصعد الدرج فى خفة . . ولم تمض ثوان حتى وجد نفسه أمام باب مسكن مراد

وقد ختم عليه بالشمع الأحمر من مكانين . . أعلا ثقب المفتاح وأسفله بنصف المتر تقريبا . . وأخرج المفتاح من جيبه فى تردد .

إنه الدليل الأخير . . الدليل الحاسم . . إنه لم يعد يشك فى علاقة عفاف بمراد . . ولكنه يريد أن يصل إلى نهاية الشوط فى جمع الأدلة . . لو دار هذا المفتاح فى الباب وفتحه لتعرت الحقيقة أمام عينيه أكثر مما هى عارية بكل قبحها وفظاعتها وبشاعتها .

ولم تطل وقفته . . فأدخل المفتاح فى ثقب الباب وأداره يمينا فانفتح . . ودفعه قليلا . . وبرفق بحيث لا يمزق قطعتى النسيج تحت الشمع الأحمر المختوم فتخلخل الباب ثم لم يلبث أن جذبه إليه ثانية . . وأدار المفتاح يسارا فأغلقه وسحبه وأعاده إلى جيبه .

واستقبله الطريق ثانية عائدا إلى بيته وقد أحس بأنه غريب على هذا العالم وأن هذا العالم غريب عليه . . أنه لم يعد ينتمى إلى هذه الحياة التى عاشها والناس الذين عرفهم والشارع الذى يسكنه والمسكن الذى أمضى فيه أهنأ ساعات حياته . . لم يعد ينتمى لأى شىء ولا لأى إنسان فى هذا الوجود . . أنه وحيد . . لقد عاش طول عمره وحيدا إلى أن دخلت عفاف حياته عندما تزوجها فأحس أن الدنيا كلها دانت له .

ولكنه صحا الآن من هذا الحلم على حقيقة تتناهى بشاعة ومرارة فعاد من جديد إلى وحدته التى عاش فيها زمنا .

وحمله المصعد إلى الطابق السابع حيث مسكنه ففتح ودخل فى هدوء . . وللوهلة الأولى أحس أن زوجته وأختها قد لجأت كل منهما إلى فراشها . . كانت الأنوار مطفأة إلا ذلك المصباح الساهر الصغير الذى يظل مضاء طول الليل فيضفى

على المكان شيئا من الرهبة . . فسار أحمد على هديه إلى أن دخل غرفته حيث تنام زوجته فى فراشه .

واقترب منها . . وكانت غارقة فى نوم هادئ . . وظل ابتسامة شاحبة على زاويتى شفتيها . . وكانت ترتدى قميص نومها الوردى . . يكشف عن مفاتن جسمها وثناياه وخباياه . . ومن تحته ورقة التوت من ذات لون القميص ونسيجه . . وظل واقفا أمامها يرمقها بعينين حزينتين . . ثم التقط الساعة ذات الجرس المنبه الموضوعة قريبا من رأسها وأدار المسمار فى ظهرها فحدد دق الجرس بساعة معينة لينطلق مدويا متى حانت هذه الساعة .

وأخرج القداحة والمفتاح فوضعها فوق هذه الساعة المنبهة ثم كتب سطرين فى ورقة صغيرة وضعها تحت حافتها وبارح الغرفة فى هدوء .

وفى الردهة وقف أمام باب الغرفة التى يعلم أن أمينة تنام بداخلها فدق الباب دقة واحدة خفيفة . . فجاءه صوت أمينة من الداخل تقول :

أدخلى يا عفاف . . أنى لم أنم للآن .

كانت أمينة تظن أن عفاف هى الطارقة .

وفتح أحمد الباب . . وما أن رأته أمينة حتى أسرعت إليه سائلة فى اهتمام :

– عدت يا أحمد ؟ ؟ هل توصلت للحصول على المال اللازم لك .

ولكن أحمد ربت كتفها بيده وهو يقول :

– لا أهمية لهذا الآن . . ارتدى ثيابك بسرعة . . بسرعة .

– إلى أين ؟

– إلى بيتك . . إلى زوجك .

وتسارعت أنفاس أمينة وهى تسأل فى لهفة .

– كيف ؟ ما الذى حدث ؟

فدفعها أحمد فى ظهرها بكفه بلطف وهو يقول :

– لا وقت للشرح . . ستعرفين كل شىء بعد قليل .

وأسرعت أمينة فنضت عن جسمها قميص النوم الذى كانت ترتديه ودخلت فى ثوبها ثم دست قدميها فى حذائها والتقطت حقيبة يدها وهى تقول :

– أنا على استعداد .

ونظر أحمد إليها – ملاكا طاهرا بريئا – وغالب دموعه وهو يقول لها :

– أنت ذاهبة للقاء زوجك . . ألا تزيلين آثار هذه الدموع عن خديك . . هيا . . امسحى هذه الدموع وأصلحى من زينة وجهك . . أنت ذاهبة إلى بيتك . . إلى كمال .

وفتحت أمينة حقيبة يدها وهى تقول :

– ألا تفصح لى ؟

ولكن أحمد لم يزد على قوله :

– لا تتعجلى . . ستعرفين كل شىء .

وأخرجت أمينة علبة البودرة ففتحتها وراحت تصقل وجهها من جديد . . ولكن يدها توقفت فجأة وكأن شللا أصابها وراحت تحدق فى صورتها فى المرآة الصغيرة الملتصقة بغطاء العلبة من الداخل ثم اقتربت من أحمد وهى تقول فى صوت مبحوح :

– أحمد . . علبة البودرة هذه . . ليست لى .

واقترب أحمد منها باهتمام وهو يقول :

– وكيف ؟

– أبدا . . ليست لى أبدا . . لم تكن لى أبدا . . لا تخصنى أبدا .

– متأكدة ؟

– تأكدى من أننى أخاطب الآن أحمد لا المرحوم أبى مثلا .

– كيف . . كيف ؟ ؟

– إن المرآة التى بداخل علبتى مكسورة . . بها صدع يقسمها نصفين . . أما هذه فسليمة . . سليمة . . أنظر . .

فسحب أحمد العلبة من بين يديها وهو يقول :

– انتظرينى لحظة .

وعاد إلى غرفة زوجته وكانت لا تزال غارقة فى نومها العميق ففتح حقيبة يدها الموضوعة فوق مائدة الزينة وأخرج علبة البودرة التى بداخلها وفتحها ونظر فى غطائها من الداخل وإذا به يرى وجهه مشطورا نصفين .

كانت مرآتها مصدوعة .

فوضعها فى جيبه وذهب بتلك التى أعطتها أمينة له . . فضمها إلى جانب القداحة والمفتاح .

وعاد إلى أمينة وقدم لها العلبة التى أحضرها من حقيبة يد زوجته وهو يقول :

– أهذه التى تخصك ؟

وخطفتها أمينة من يده وفتحتها ونظرت إلى داخلها ثم رفعت عينيها إليه وهى تقول :

– نعم . . أنها هى . .

ثم قربت عينيها من عينيه وهى تسأله فى صوت مبحوح .

– ولكن . . من أين جئت بها ؟

ولم يجب أحمد . . ولكنها قرأت كل شىء فى عينيه الذليلتين . . فاقتربت منه أكثر مما كانت وهى تقول فى شبه همس :

- عفاف ؟ ؟

فهز رأسه إيجابا دون أن يفتح فمه بكلمة .

وانفجرت باكية وقد ألقت رأسها فى صدره . . ولكنه أسرع فوضع أصابعه فوق فمها حتى لا يجاوز صوتها باب الغرفة التى تضمهما . . وراح يمسح شعرها بكفه فى شفقة وحنو ثم ربت ظهرها وهو يقول :

- هل زارتك عصر اليوم ؟

فهزت أمينة رأسها إيجاباً وقد وضح لها كل شىء . . وسمعته يقول لها .

- هيا بنا .

وحملتهما سيارة إلى منزلها . . وصعدا الدرج وهما يتهامسان . . كان الضوء ظاهرا من إحدى نوافذ مسكنها المطلة على فضاء النور بالمبنى (المنور) .

٤٠ وفى اللحظة التى وضع أحمد إصبعه فوق ضاغطة الجرس ليدعو كمالا ليفتح له ولأمينة . . دق جرس آخر فى رنين مزعج متواصل بجانب أذن عفاف وقد كانت غارقة فى نومها . . فتقلبت فى الفراش ثم مدت يدها وضغطت زر المصباح القريب منها ثم إلى الساعة لتسكت رنين جرسها فسقط فوق يدها جسم صلب فهبت من فراشها لترى أمامها علبة البودرة والقداحة والمفتاح .

وأطلق صدرها صيحة واحدة .

– يا مصيبتى . .

وأدركت لتوها كل شىء . . ثم لفتت الورقة الصغيرة نظرها فجذبتها من تحت حافة الساعة وكانت تحمل هذه الكلمات .

لحظة أن تستيقظى على صوت هذا الجرس المزعج الملعون أكون أنا استيقظت من غفلتى الطويلة يا عفاف . . وأختك التى تركتها تحل محلك فى هذا الاتهام البشع دون أن يهتز فيك أى معنى من معانى الإنصاف أو الرحمة تكون – فى نفس اللحظة

أيضا - فى بيتها . . بين ذراعى زوجها بعد أن عرف ثلاثتنا الحقيقة .

لم يعد لى فى هذا البيت شىء . . وليس لدى ما أقوله لك إلا أن الورقة التى كانت تربط بيننا ستصلك فى خلال أربع وعشرين ساعة والله يتولى كلا منا بمثل ما قدم لصاحبه .

أحمد

وظلت عفاف جالسة فوق حافة الفراش . . واعتمدت رأسها بين كفيها ولم تدركم من الوقت مر بها فى جلستها هذه .

هذا بينما كانت أمينة بين ذراعى كمال وهو يقبل يديها وشعرها وعينيها وكل ما تقع عليه شفتاه منها وهو يقول .

- سامحينى . . أرجوك . . أنى ظلمتك ظلما صارخا . . سامحينى .

كان أحمد قد روى له كل شىء .

ورفعت أمينة وجهها عن صدر زوجها وهى تقول له .

- هناك ما هو أهم من كل هذا ياكمال .

- أهم من عودتك إلى .

- نعم . . أحمد يجب أن يسدد غدا مائتى جنيه تنقص ما فى عهدته .

وكان أحمد يقف فى نفس الغرفة قريبا من إحدى نوافذها فالتفت كمال نحوه وقال له :

- ولم لم تلجأ إلى يا أحمد .

فالتفت أحمد إلى جهته وهو يقول :

- لم أكن أدرى ما أصنع ياكمال . . كنت فى دوامة . . فى هذا الزحام الرهيب الذى كان يعصرنى عصرا . . كنت قد فقدت السيطرة على تصرفاتى . . عفاف

ساوتنى بالوحل وأنا ماكنت عمرى كذلك . . وأنت تعرف ياكمال .

وبينما كان كمال يخرج من حافظته المبلغ الذى يحتاجه أحمد ليقدمه له . . كانت أمينة تربت كتف أحمد وهى تقول له فى لهجتها الطيبة الحنون .

– تشجع يا أحمد . .

– لا تؤاخذينى يا أمينة .

– إنى أقدر حالك .

وقدم كمال له النقود وهو يقول كان يجب أن تلجأ لى من أول الأمر ولم يمد أحمد يده ليتناول المال فأخذته أمينة من زوجها وأخرجت بيدها حافظة نقود أحمد من جيبه وصفت بداخلها الأوراق المالية وأحمد يطل من النافذة على الشارع المظلم .

وسحب كمال أمينة من يدها قائلا .

– تعالى ننام فى غرفة أخرى . . لنترك له هذه ينام فيها الليلة .

وخرجا . . وأغلقا عليه الباب .

وأخرج أحمد سيجارة أشعلها وراح يدخن فى هدوء ودموعه تتساقط فوق خديه . . وتبين بعد قليل أن السيجارة لا طعم لها كالعادة فألقى بها من النافذة فسقطت فوق أفريز الشارع وراح الهواء يدفعها شيئا فشيئا إلى أن سقطت عنه فتلقفتها البالوعة الملاصقة له . . وارتسمت على وجهه ابتسامة جمعت مرارة الدنيا بأسرها وهمس فى صوت أشبه ما يكون برنين وتر العود غير المشدود .

– واسمها عفاف ! ! !

. . . وأغلق النافذة .

الخاتمة

فرغت من كتابة قصة عفاف فحملتها وتوجهت إلى صديقى الصحفى الكبير وما رآنى مقبلا عليه أحمل حافظة أوراقى حتى اعتدل فى مقعده ونظر إلى كمن لا يصدق وبادرنى بقوله .

– غير معقول . . ظننتك أهملتها فقد انقضى عام كامل . . أكثر من عام .

ولم أفتح فمى بكلمة . . بل زلقت محبس حافظتى وأخرجت له القصة فى سبعمائة صفحة بخط يدى ثم وضعتها أمامه – فوق مكتبه – وأنا أقول .

– استغرقت كتابتها أربعة عشر شهرا بالضبط .

فجذبها إليه وهو يتمتم كأنما يخاطب نفسه .

– أكاد لا أصدق عينى . . قصة عفاف مكتوبة أمامى ! !

ثم نظر إلى وهو يقول :

– ألا زلت عند رغبتك فى الزواج بها ؟

ولم أجبه . . بل تشاغلت فى جذب محبس حافظتى يمينا ويسارا . . فعاد يكرر

سؤاله . . ولكنى قاطعته وقلت له :

– أنت قلت لى أنك ستكتب السطر الذى بعد الأخير . . ألا زلت تذكر هذا أم . .

وقاطعنى قائلا :

– أبدا لم أنس . لأنه جزء من قصة عفاف . ولكن يجب أن أقرأها أولا .

وضغط زرا بجانبه أعلم أنه خاص بإضاءة مصباح أحمر خارج باب مكتبه حتى لا يدخل أحد عليه مادام هذا المصباح مضاء .

وأشار إلى ثلاجة كهربية قائمة فى أحد أركان الغرفة وهو يقول :

– هنا تجد شطائر وفاكهة وقهوة وكل ما قد تشتهيه نفسك . . إن جلستنا ستطول كما أرى . . هذه سبعمائة صفحة . . ولو أنها من الحجم الصغير . . ولكنها سبعمائة . .

وراح يقرأ قصة عفاف إلى أن طوى الصفحة الأخيرة منها بعد ست ساعات كاملة . . ورأيته يرفع عينيه إلى دون أن يتكلم . . ثم التقط قلما من الأقلام الكثيرة فوق مكتبه وكتب الآتى :

إن أمينة – بعد أن ظهرت براءتها لزوجها – لم تحاول أن تظهر بقية الناس على الحقيقة لأنها لم تشأ أن تقضى على سمعة أختها وعلى مستقبلها . .

تركت الناس كلهم يعتقدون أنها هى التى كانت صاحبة مراد . . وهى التى مات مراد بين أحضانها لأنها لم يكن يهمها إلا زوجها . . وزوجها عرف الحقيقة وهذا حسبها .

أما الناس فقد حرصت على أن تظل عفاف فى نظرهم فتاة طاهرة مظلومة ضحية زوجها أحمد راغب الذى طلقها لأنه لم يقبل أن يكون زوجا لأخت المرأة

التى أصبحت فضيحتها على كل لسان .

كل هذا . . لتمنح أختها التى كانت منها دائما بمثابة الابنة . . أملا جديدا ومستقبلا جديدا وزوجا جديدا بعد أن غرست فى نفسها التجربة الرهيبة التى مرت بها معنى التوبة – أصدق ما تكون التوبة .

لقد ركعت على ركبتيها – عندما ذهبت أمينة إليها صباح تلك الليلة السوداء لتعود بها إلى بيتها لتقيم معها ومع زوجها كمال . . ركعت على ركبتيها وهى تقول :

– اغفروا لى . . فأنا – بعد – بشر ومن طين .

وعاشت بعد ذلك عامين فى دموع التوبة والتكفير .

والبنت – ولست فى حاجة لهذا القول – على قدر غير مألوف من الجمال . . فتهافت عليها الخطاب من معارف كمال ومن غير معارفه . . كل من يراها يريد أن يتزوجها ولو كان زوجا لأربع . . فكانت ترفض وترفض وترفض . .

عشرات من أكفأ وأغنى شبان مصر تقدموا إليها فرفضتهم . . إلى أن قبلت أحدهم بعد إلحاح منه ومن أختها وزوج أختها .

إنه شاب ومتعلم وثرى . . ومقر وظيفته فى الخارج . . وحفيت قدماه سعيا للفوز بها . . ويوم أن كنا معا فى فندق سميراميس فى الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ ودخلت أختها وزوج أختها فصافحانى ثم اختفيا فى البهو وعادا بها . . فى مساء ذلك اليوم عقد قرانها فى بيت كمال . . وفى ذات المساء ودع العروسين فى مطار القاهرة جمع كبير من أسرة الزوج أما عفاف فلم يكن فى وداعها غير أختها أمينة وزوجها كمال . . كل من لها فى الحياة .

ودارت بها الطائرة – وزوجها إلى جانبها – فى الأرض الفضاء الواسعة لتستقبل طريقها الذى ستسلكه فى الجو . وأضواء المطار . . ومن خلفها أضواء مصر .

الجديدة . . ومن خلفها أضواء القاهرة تبدو لعينيها من بعيد صغيرة متلألئة مختلفة الألوان كالترتر اللامع فى ثوب راقصة تتلوى تحت الأضواء .

كان حلمها الكبير القديم أن تركب الطائرة وأن ترى أوربا .

فركبت الطائرة لتعيش فى أوربا .

رقم الإيداع	٥٢٤٣ / ١٩٨٣
الترقيم الدولى ٩-٠٢٣٦-٠٢-٩٧٧	ISBN

١ / ٨٣ / ١٥٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه الرواية

أعرف أن عشرات الآلاف ينتظرون ظهور هذا العمل الروائى « الثوب الضيق » بعد أن نفدت نسخ طبعته الأولى عندما صدرت فى جزأين عام ١٩٧٠

ولقد تسلمت خلال هذه الأعوام التسع المنقضية مئات الرسائل يطلب منى أصحابها أن أرشدهم : من أين يستطيعون الحصول على الجزء الأول أو على الجزء الثانى منها ، أو على الرواية كاملة بجزأيها ، فكنت أكتب لكل هؤلاء بأنني – شخصيا – لا أملك من هذه الرواية غير نسخة واحدة أحتفظ بها لأقدمها للمطبعة فى الطبعة الثانية .

واليوم وبعد أقل قليلاً من عشرة أعوام ، تصدر « الثوب الضيق » فى طبعتها الثالثة فى جزء واحد ضخم يضمها هذا الغلاف الجديد .

أقدمها تحية لكل من تفضل أو تفضلت بالكتابة لى خلال هذه الأعوام يطلبون نسخة منها أو ليستفسروا من أين يستطيعون الحصول عليها ، واليوم أقدم هذه الطبعة الثالثة تحية لكل من بحث عنها ولم يجدها .

والتحية ليست منى وحسب ، ولكنها – ضمنا – من أبطال هذا العمل ، عفاف وأحمد وأمينة ومراد وكمال التهامى .

وشكراً ،

فتحى أبو الفضل

١٦٢٨٥/٠٢

ص
٧٥٠